

مطبوعات



قطاع الثقافة

رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سمده

١٣٤

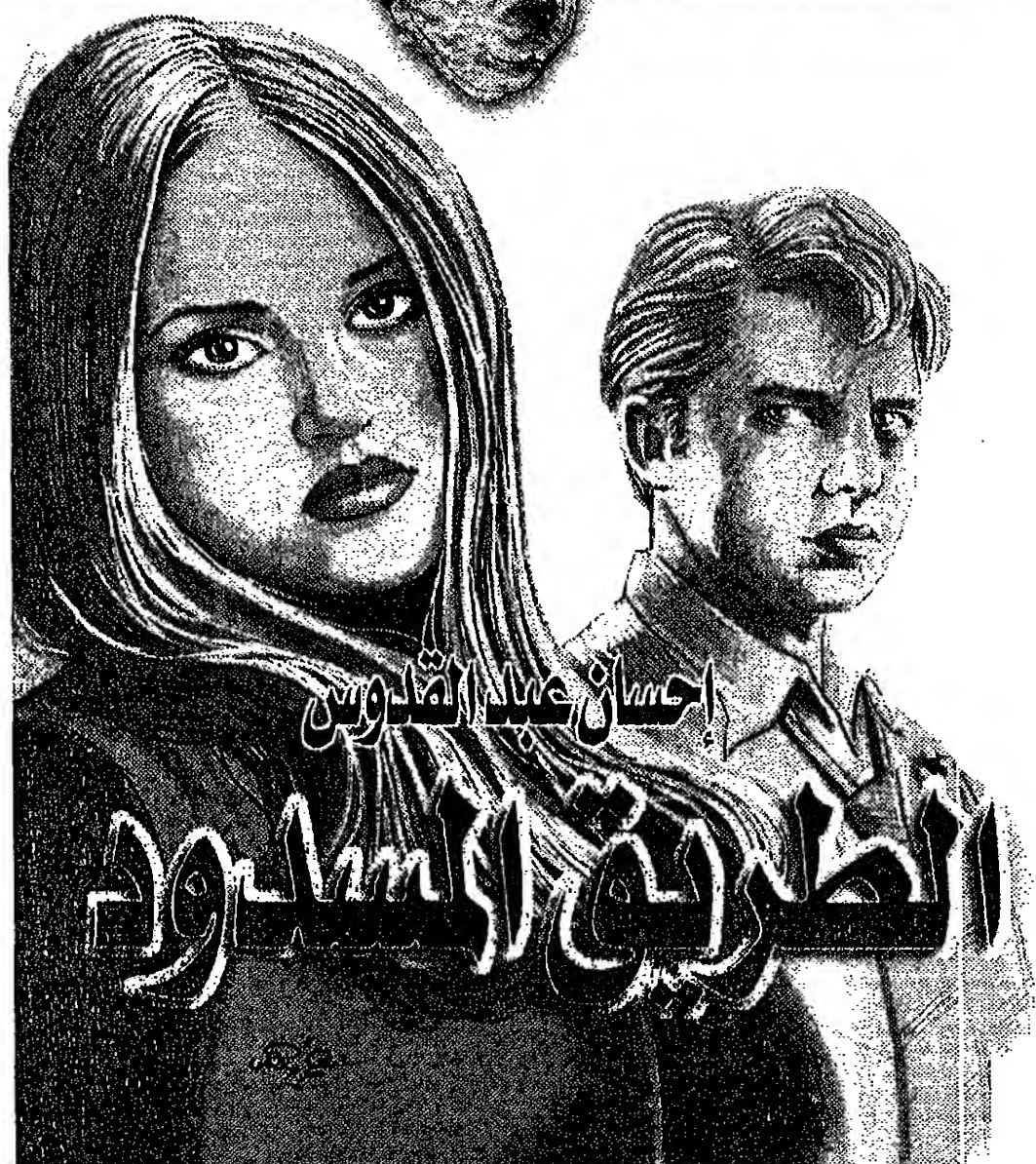


قطاع الثقافة

دار أخبار اليوم
قطاع الثقافة
جمهورية مصر العربية
٦ ش الصحافة القاهرة
تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠

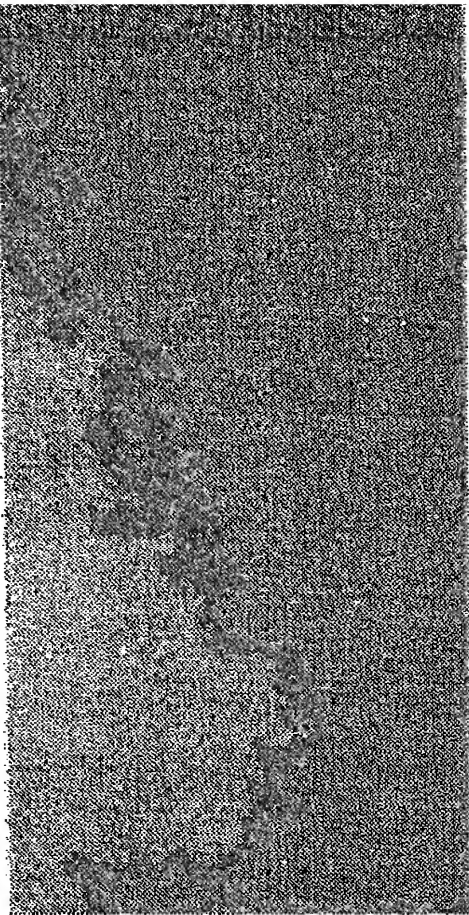


اختيار اليوم
قناع الحقيقة



إحسان عبد القدوس

الطريق المسدود

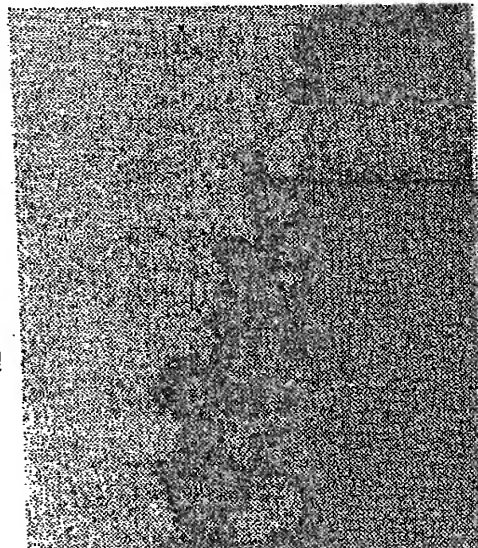


الإخراج الفني :

أحمد السعيد

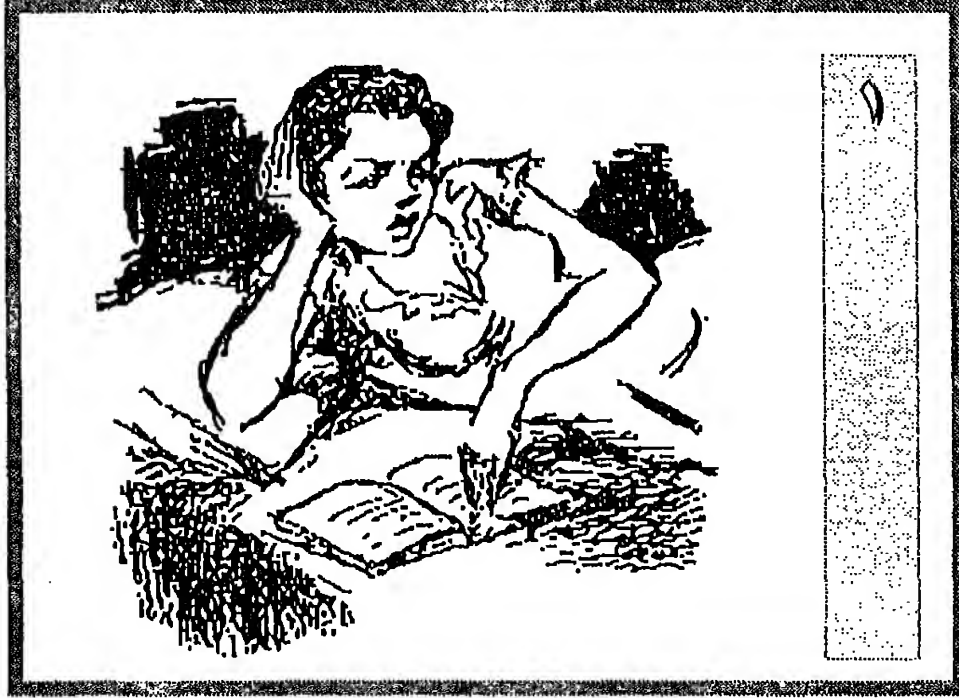
الغلاف بريشة الفنان :

عمرو فهمي



ان الخطيئة لا تولد
معنا، ولكن المجتمع
يدفعنا اليها..

«احسان»



كانت راقدة فى فراشها.. كل شىء فيها نائم إلا عينيها وقلبها..

ولو حسبت الساعات التى تقضيها راقدة فى فراشها، لوجدت انها تستغرق نصف عمرها..

دنياها كلها فوق هذا الفراش.. خيالها فوق الوسادة، وآلامها تحت اللحاف.. دنيا لا يشاركها فيها احد.. فلا احد يشاركها خيالها، ولا احد يحس بآلامها..

انها تعود من المدرسة، فتلقى تحية عابرة لمن يصادفها.. ثم تدخل حجرتها وتغلق بابها بالمفتاح، وتلقى بشبابها فوق الفراش..

أو تتناول طعامها، وتأكّل معه تهكمات أختيها، وتأنّيب أمها .. ثم تقوم الى حجرتها وتغلق بابها بالمفتاح، وتلقى بنفسها فوق الفراش ..

لم يستطع شيء في حياتها ان يبعدها عن فراشها .. ولم يستطع احد ممن حولها ان يمنعها من ان تغلق باب حجرتها بالمفتاح ..

وكانت الساعة في تلك الليلة قد بلغت الحادية عشرة .. وعيناها لا تزالان مفتوحتين، وقلبها لم ينم .. وبين يديها كتاب .. وسمعت أكرة الباب تدور في عنف .. ولم تتحرك ..

وسمعت طرقات عنيفة على بابها ..

ولم تتحرك ايضا .. إنما رفعت عينيها عن الكتاب، دون أن يبدو تعبير جديد على وجهها، وأخذت تنظر الى سقف الحجرة، وكأنها لا تزال هائمة في خيالها، أو هائمة في سطور الكتاب الذي تقرأه، وكأن هذه الطرقات ليست على بابها ..

واشتدت الطرقات فوق الباب، والأكرة تدور ناحية اليمين وناحية اليسار كأنها تحاول ان تتخلص من يد مجنونة تقبض عليها .. ثم سمعت صوتا مخمورا يصرخ في كلمات متعثرة:

- انتم قافلين الباب ده ليه .. مخبيين عنا ايه جوهه؟ ..

ثم سمعت صوت أختها خديجة، تقول بين طيات ضحكات خليعة مفتعلة:

- ابعد عن الباب ده .. مالکش دعوة بيه! ..

وقال الصوت المخمور:

- ماليش دعوة ازاي.. ليه دعوة ونص.. ده انا خلاص.. بقيت صاحب بيت.. والا ايه؟..

وسمعت اختها تقول وهى لا تزال تلقى كلماتها بضحكاتها الخلية المفتعلة:

- صاحب كل البيت، إلا الأودة دى..

وسمعت المخمور يقول وقد رفع يده عن اكرة الباب:

- ودى تبقى أودة مين دى؟..

وسمعت خديجة ترد:

- دى اودة الشريحة فائزة.. اللى يخشها ينزل عليه سهم الله.. ويطلع مبلم!..

وقال الرجل:

- شىء لله يا ست فائزة.. ما تفتحى علشان تحصل لنا البركة!!..

ثم سمعت أختها تقول للمخمور:

- تعال بس وطاوعنى.. تعال قبل الويسكى ما يبرد!!..

وقهقه الرجل فى صوت عال كرية:

- كويسة دى.. قبل الويسكى ما يبرد.. كويسة دى!!

وابتعدت الضجة عن الباب..

وعادت فائزة الى كتابها، وكأن شيئاً لم يحدث..

ولم تكن تقرأ هذا الكتاب للمرة الأولى.. انها تقرأه للمرة العشرين، بل انها تستطيع ان تتلو صفحات منه وهى مغمضة العينين..

ما أرق مؤلف هذا الكتاب.. وما أطيب قلبه.. وما أسمى

خياله.. ان كل كلمة يكتبها تكاد تتنهد فوق الصفحات ، وكل قصة ينشرها ليس لها إلا نهاية من نهايتين: اما الزواج واما الانتحار!!..

انه يعيش مع قلمه فى سماء نقية طاهرة، فلا يدرى أن على الأرض قوما لا يتزوجون ولا ينتحرون!!..

ومنذ سنوات وهى تعيش مع الأستاذ منير حلمى فى سمائه.. تقرأ كل ما يكتبه، وتبكي اذا بكى احدى بطلات قصصه، وتضحك اذا مرت ضحكة بين سطورهم، وتتمنى الزواج كلما اقام بقلمه حفلة زفاف، وتتمنى الانتحار اذا أراد لبطلته ان تنتحر!!.. انه الانسان الوحيد الطاهر فى هذه الدنيا..

ترى كيف كانت تكون الدنيا، ولو لم يلتق خيالها بخياله، وتضم عيناها سطور قصصه ومؤلفاته..

وكم تمنى ان تراه رؤية العين، ولكنها لم ترم منه الا صورته التى تنشرها له بعض الصحف.. صورة وجهه الهادىء الوسيم كأنه طيف من عالم الخيال، وعينييه الصافيتين كأنهما لم تقعا ابدا على شر يعكرهما، وشفتيه الغليظتين كأنهما اكتنزتا بتنهداته، والشعرات البيض فى فؤديه كأنها أجنحة ملاك، وابتسامته الحنون كأنها رسالة يحملها نبي لإسعاد البشرية..

وكم تمنى ان تكتب له قصتها ليهديها الى نهايتها.. ولكنها خافت ان تعكر بقصتها صفو سمائه..

ان السماء التى يعيش فيها الكاتب الكبير، ليس فيها كل هذا العذاب الذى تعانيه، وليس فيها كل هذا البشر الذى يحيط بها، وليس فيها صراخ الحيوانات التى تعيش معها، ولا دبيب البهائم التى تسعى حولها..

انه يكتب على الانسان.. عن قلب الانسان، ودموع الانسان..
ولا يدري ان الحيوانات لها ايضا قلب، ولها دموع ومن حقها ان
تسعد!!..

وازاحت الكتاب من امام عينيها وأسقطته فوق ركبتها،
والقت برأسها فوق الوسادة، وراحت تستعرض قصتها، كما
تعودت ان تستعرضها كل ليل..



ان قصتها تبدأ فى خيالها منذ اليوم الذى وقفت فيه بجانب
والدها وهو مسجى على فراش الموت..
كان كل شىء فيه يموت.. عيناه.. شفثاه.. أنفاسه.. وكان
وجهه ناصع البياض، كأن الحياة قد انسحبت منه وتركته
فراغا..

وكانت تقف بجانبه صامتة، تبذل فيه كأنها تبحث فى هذا
الجسد عن والدها الذى عرفته.. عن الرجل الذى كان يضحك
دائما، وينثر السعادة من حوله.. والذى كان يغالى فى تدليلها دو
ن أختيها.. والذى كان لايفتح عينيه فى الصباح إلا اذا قبلته
بينهما، ولا يغمضهما لينام إلا اذا قبلها بين عينيه..
ترى لو قبلته الآن بين عينيه، هل يصحو؟..

وانحنى فوقه قبله.. وأحست بذراعه تتحرك وكأنه يهم بأن
يضمها الى صدره، ولكن الذراع ما لبثت ان ارتخت قبل ان
تصل اليها..

ثم سمعت امها تصرخ..
وعرفت ان اباها قد مات.

كانت فى الثانية عشرة من عمرها فى ذلك الحين.. وكان حزنها على والدها ذهولا اكثر منه حزنا، كأنها لم تكن تصدق ان الموت يستطيع ان يمتد حتى الى والدها.. وكانت فى ذهولها ترقب الضجة الكبيرة التى اقامتها امها فى لياالى المائم، دون ان تشترك فيها.. كل ما تذكره انها هرعت فى الصباح التالى للوفاة الى حجرة امها، تريد ان تلقى بنفسها بين احضانها وتبكي معها.. فقد استيقظت خائفة من حلم مر بها وهى نائمة، وخائفة من يوم تصحو عليه دون ان تجد فيه اباه.. ولكنها وجدت امها امام المرأة كعادتها دائما، وكانت تربط الطرحة السوداء فوق رأسها بعناية ثم تميلها على جانب رأسها حتى تمس حاجبها وتشده الى اعلى فيبدو كأنه السيف المشهور..

ثم رأت امها تمسك بعلبة البودرة، وتلقى بعضها منها على وجهها وعنقها وما يكشف عنه الثوب من صدرها، ثم تمسك بعلبة «احمر الخدود» وتلقى منها ظلا خفيفا على خديها حتى يبدو احمرارها طبيعيا..

ووقفت ترقب امها وهى امام مرآتها، وقد بدأ صدرها يمتلىء بالسخط، دون ان تدري بالضبط السبب الذى يدعوها الى السخط وأحست انها تريد ان تلوم امها ولكنها لم تكن تدري ايضا سببا واضحا يدعوها الى لومها..

لقد كانت تحس دائما فى حياة والدها، ان امها بعيدة عنها وعن والدها.. وقد أحست فى ذلك اليوم ان امها ابتعدت عنها اكثر، حتى لم تعد تراها الا كما ترى مسألة حسابية معقدة لا تستطيع حلها..

ولحقتها امها فى صفحة المرأة، فقالت لها دون ان تلتفت اليها:

- يا لالا يا فايضة.. روى البسى فستانك الأزرق لغاية ما
تيجى خالتك نبيهة الخياطة وتخيظلكم الفساتين السوداء.. ياللا
يا حبيبتي، زمان الناس جايه!!
قالتها فى لهجة طبيعية نشطة كأنها تستعد لاقامة فرح أو
حفلة ساهرة، وكأن الناس الذين تنتظرهم سيجيئون مهنيين لا
معزين.

لم يكن يبدو عليها حزن.. إلا هذا الثوب الأسود الأنيق، وهذه
الطرحة السوداء التى تشد حاجبها الى اعلى..
ولم تحاول ان تواسى ابنتها فى ابوها الذى لم يمض على
موته سوى ليلة واحدة، ولم تحاول ان تعوضها عنه بقبلة فوق
جبينها أو بضممة الى صدرها، أو بدمعة تختلط بدموعها..
كان كل ما يبدو عليها.. انها مشغولة.. مشغولة جدا.. وانها
تستعد ليوم ستكون هى فيه «العروسة» التى يفد الناس اليها،
ويحيطونها باهتمامهم.

ولم تخرج فايضة من حجرة امها، انما بقيت ترقبها فى اهتمام
كأنها ترقب عالما غريبا لم تسمع عنه من قبل..
ولم تهتم امها بوجودها، انما قامت من امام المرأة بعد ان
فرغت من زينتها، واتجهت الى الدولاب، وفتحتة واخرجت منه
منديلا صغيرا حليت اطرافه بالسواد، ثم خرجت من الغرفة
وفايضة وراءها..

وما كادت الأم تتبين ان بعض المعزيات قد وصلن فعلا،
وجلسن فى «الصالة» حتى رفعت المنديل الى عينيها وانهمرت
دموعها تدفقا.. وقامت السيدات المعزيات يحتضننها، ويبادلنها
دموعا بدموع و:

- البقية فى حياتك يا ختى.. شدى حيلك يا حبيبتى..
وسمعت امها تنهته قائلة:

- هوه انا باقالى حياة ولا حيل.. ده كان حياتى وحيلى.. يا
وحدتى فى ليلى من بعدك يا حبيبى.. يا ريت ما طلع على صباح
من غيرك ياخويا.. أهوه كان بيقعد على الكرسي ده يا سنيه
هانم.. راجل ولا كل الرجالة.. وكان بيدخل على من الباب ده يا
عزيزة هانم، والخير بين ايديه والسعد فى رجليه.. فين هو.. راح
فين.. أه يا حبيبى!!..

واستمعت فايضة الى نهته امها كأنها تستمع الى حوار فى
فيلم سينمائى تلقيه زينات صدقى.. وربما لو لم يكن ابوها هو
المقصود بهذه الكلمات لضحكت.. ولكنها لم تضحك ولم تزد
كلمات امها من حزنها ولا استدرت منها دموعها.. واتجهت الى
غرفتها وهى لاتزال فى ذهولها، ولا يزال فى صدرها الخوف
الذى استيقظت عليه.. ولكنها فى هذه اللحظة لم تكن تخاف
حلمها، ولا صباحها.. كان الخوف قد اتسع امامها حتى غيل
اليها انها تخاف حياتها كلها..

وكانت تشارك اختيها فى غرفتيهما، ووجدتهما وقد فتحتا
فرجة فى الباب اخذتا ترقبان منها السيدات الوفدات.. ودخلت
بينهما، وخديجة تقول لفوقية:

- شوفى يا اختى عزيزة هانم عاوجه الطرحة ازاي.. حقه ما
فيش زى الست دى فى قمطة الطرحة!!..

وقالت فوقية:

- انا نفسى اشوف تيزه عفيفة حاتيجى عاملة ايه النهاردة،
شفتى الأساور اللى جت بيهم ساعة الجنازة.. اتناشر اسبرة،

واحدة فوق واحدة عيار اربعة وعشرين.. وحتة بروش اد الكف
على صدرها.. يا حسرة علينا.. يدى الحلق للى بلا ودان!!..
وقالت خديجة وهى تقفل فرجة الباب:

- يا لالا فوقية.. احسن نينه تسود عيشتنا!!..

واتجهت كل منهما الى مراتها.. وجلست فايضة على سريرها
ترقبهما كما كانت ترقب امها..

ان كلا منهما صورة طبق الأصل من امها.. وكانتا دائماً
اقرب الى الأم منها.. ورغم ذلك فهما ليستا بعيدتين عنها كأماها..
انها تحس بهما فى خفقات قلبها منذ كانت صغيرة تشاركهما
فراشا واحدا.. ثم بعد ان كبرت معهما واصبح فى الحجرة
سريران.. سرير لأختيها، وسرير لها وحدها..

كل ما كان يضايقها منهما، انهما تصران على اعتبارها
صغيرة، فلا يشركانها فى اسرارهما، ولا يصحبانها فى
زياراتهما، ولا يحاولان ابدا ان يفهما مشاكلها..

وسمعت أختها خديجة تلقى بالمشط من يدها فى عنف، وتقول
فى تأثر عميق:

- انا بابا وحشنى.. يا حبيبى يا بابا..

ثم تنكفىء فوق حافة «التواليت» وتبكي بحرقة..
وهرعت اليها فوقية تربت على كتفها قائلة:

- جرى ايه يا ديدى ما كنا عقلنا.. يعنى حنعمل ايه.. اهو
رينا ريجه من مرضه وعذابه.. الدور والبقية على عذابنا احنا..
ثم لا تتمالك نفسها فتبكي مع أختها..

وترقبهما فايضة من خلال زهولها.. ثم.. ولأول مرة فى هذا

الصباح تنهمر دموعها.. وكانت دموعا صامتة فى اول الأمر، ثم غلبتها دموعها حتى كادت تختنق، فأخذت تنهه كأنها تلتقط انفاسها من الهواء، ثم استبد الحزن بأعصابها فانكفأت على فراشها تبكى بصوت عال، وتضرب الوسادة بقبضتيها، و«المرتبة» بقدميها، كأنما أصيبت بنوبة من نوبات الهوس.. وقامت إليها اختاها، تمسحان دموعهما.. والتفتا حولها..

واختلطت دموع الثلاثة.. دموع صادقة حارة.. دموع البنات اللاتي اكتشفن انهن اصبحن يتامى!!.. وفجأة فتح الباب فى عنف، كأن عاصفة اقتلعت، وظهرت الأم صائحة:

- جرى ايه يا بنات.. انتو سايبينى اشيل الهم لوحدى ولا ايه.. يا للا يا ببت انت وهى بلاش دلع بنات.. اللى عايزه تعيط تطلع تعيط بره مع الناس!!.. وقالت فوقية بين دموعها: - حاضر يا نينه..

وقامت خديجة وفوقية الى مرآتهما تجففان دموعهما وتمشطان شعرهما وتسويان ثوبيهما.. ثم لما وجدنا فايضة لا تتحرك ودموعها لا تزال تغسل وجنتيها، قامتا اليها تبدلان من ثوبيهما، وتمشطان شعرهما.. ثم تركتاها لتتم استعدادها وخرجتا لقتضما الى المعزيات..

وهمست خديجة فى اننها قبل ان تخرج من الغرفة: - خدى بالك من التلفون.. لو حد سال على «اندهيلى!!

وهزت فايضة رأسها علامة الموافقة.. ثم جلست على فراشها وقد جفت الدموع فوق وجنتيها، وعاودها ذهولها وعاودها معه خوفها، وأحست بنفسها كأنها تبتعد عن هذا البيت.. بل رأت في خيالها كأن البيت نفسه يبتعد عنها، ويتلاشى في الأفق حتى يختفى.. ثم وجدت نفسها في فراغ كبير، ربما كان صحراء واسعة لا أول لها ولا آخر، وربما كان هذا الفراغ سماء ليس لها أفق ولا حدود.. وهى تسير فى هذا الفراغ.. تسير متعبة خائفة حافية القدمين ممزقة الثوب.. تبحث عن شىء.. تبحث عن أبيها.. وهى تتلفت حولها، وتصرخ «بابا.. بابا» ولكنها لا ترى شيئاً، ولا يجيبها إلا طنين قوى يملأ أذنيها ويحطم رأسها.. ثم هى تحس بالتعب من كثرة طوافها فى هذا الفراغ بحثاً عن أبيها، وتحس بهواء بارد يضرب جسدها كله من خلال ثوبها الممزق، وتحس برعشة تسرى فى كل أعضائها.. انها يائسة.. لا تريد ان تستمر فى البحث عن أبيها.. تريد ان تنام.. تريد ان تريح جفونها المثقلة. ولكنها قبل ان تسدل جفونها فوق عينيها، تلمح باب الغرفة يفتح، ويدخل خالها -شقيق امها- وتراه من خلال عينيها المحمومتين كأنه الشبح المخيف، ثم تسمعه يقول لها وهو يربت على كتفها بيد ثقيلة:

- ازيك يا فايضة.. مالك.. بلاش الحاجات دى أمال.. اذا كان أبوكى مات، انا لسه فاضلك.. ياللا قومى استقبلى الناس..

ثم يضع يده الثقيلة على وجهها ويقول:

- انت عيانه ولا ايه.. فين نينتك؟..

وقبل ان تحاول ان تجيبه، تلمح من بين جفونها المتعبة، امها وهى تدخل وكأنها ازدادت بدانة، وكأن الاصباغ فوق وجهها قد

اختلطت فيها ألوان فاقعة مضحكة كالألوان التي تغطي وجه
البلياتشو..

ثم تسمع خالها يقول:

- صباح الخير يا توحيدة..

وتسمع أمها تجيب:

- أهو صباح والسلام.. فين الخير ده يا خويا!..

ويصمت خالها قليلا، ثم يصرخ كأن الشيطان ركبه:

- أنا غايز أعرف ابن كلب مين اللي كتب النعى فى الأهرام..

يحط اسمى بعد اسم خليل زهران الموظف السنكوح اللي فى

الدرجة العاشرة.. ده كان نسب مهيب فى أوله وفى آخره..

ولا تسمع فائزة شيئا بعد ذلك.. وتسقط فوق فراشها كأن

صناعة مستها..

وتلتفت إليها أمها قائلة:

- مالك يا بت يا فائزة..

ثم تضع يدها على جبينها، وتقول كأنها تحدث نفسها:

- البنت سخنة زى النار.. بقى دى عملة تعملها يا مقصوفة

الرقبة.. ما لقيتيش يوم تتعى فيه إلا النهاردة.

ثم تلتفت إلى أخيها:

- عن إذنك يا خويا.. لما أشوف قرصين أسبرين لفائزة!

وبقيت فائزة فى فراشها خمسة عشر يوما.. محمومة،

ضعيفة، مدهولة، تمر عليها فى ذهولها أشباح من حزنها تملأ

قلبها بالخوف والحيرة..

ولم تشهد شيئا من المشاكل التي تعقب الوفاة عادة.. ولم تكن

تعتقد ان هناك مشاكل، فإن والدها ترك لهن معاشا يكفيهن وارثا صغيرا يعينهن على الحياة دون حاجة الى احد.. كانت المشكلة الوحيدة التي تخطر على بالها هي انه لم يعد للبيت رجل.. رجل يحميه، ويقوم على شئونه، ويتولى امرها في المدرسة.. فقد تركهن ابوهن.. ثلاث بنات وأم.. ليس لهن أخ، وليس لهن احد من أقاربهن يثقن به، أو يبينه وبينهن ود كبير.. وهي تذكر كلمة قالتها أم نبيهة الخياطة وهي تندب ساعة صراخ النساء وعويلهن: «قالوا لى ليه النعش مايل، قلت ماليش بين الرجال ابن شاييل»!!

وهي تذكر ان عويل النساء وصراخهن قد اشتد عقب ان قيلت هذه الكلمة، كأن كلا منهن قد احست بفداحة مصاب العائلة، اذ مات رجلها دون ان يترك احدا يملأ مكانه.. ويحمل «نعشه»!

ولكن فائزة قامت من فراشها وخرجت من غرفتها وجدت فى البيت رجلا!

كان بدينا، كل شىء فى وجهه منتفخ.. عيناها وانفه وخداه وشفتاه.. وكان متأنقا فى ملبسه اكثر مما يحتمل سنه، وكان اصلع الرأس، يكسو فوديه شعر أسود كالح كأن الصبغة لم تجف عليه بعد.. وكان يجلس بلا كلفة كأنه صاحب بيت، وامها بجانبه تحيطه باهتمامها، وقد أثقلت من الأضباغ فوق وجهها وتركت ثوبها الأسود يكشف عن مساحة اكبر من صدرها.. وأشارت لها امها قائلة:

- تعالى يا فائزة سلمى على عمك شوكت بيه..

ثم التفت اليه واستطردت وبين شفتيها ابتسامة واسعة:

- وادى يا سيدى دلوعة البيت كله الست فايضة..
ونظر اليها الرجل نظرة بلغ من وقاحتها ان أقلقته وكأنه نزع
ثوبها عنها بعينيه، وقال كأنه يشتهي طبقا من الطعام اللذيذ:
- ما شاء الله.. دى كل واحدة احلى من الثانية.. و.. وقاطعته
امها قائلة:
- دى بأه ، زيادة عن اخواتها، غاوية مدرسة.. حتطلع دكتوراه
بانن الله..
وقهقه الرجل قائلا:
- ولا دكتورة ولا حاجة.. كلها سنة ولا اثنين وتكون اتجوزت
وشبعت جواز.. الحلو ما يفضلش فى المدرسة!!
ومد ذراعه كأنه يحاول ان يختطف احد نهديها، وقال:
- تعالى يا فايضة.. تعالى جنبى هنا واحكىلى عن مدرستك.
وتسمرت فايضة مكانها كأنها قد وقعت فى شرك عنكبوت.. ولا
تستطيع ان تتقدم، ولا ان تهرب خارج الغرفة، الى ان انقذتها
امها قائلة:
- روحى انت يا فايضة.. وابتدى ذاكرى احسن زمانك اتأخرت
عن دروسك..
وقال الرجل وفى عينيه حسرة وتوسل:
- ما تخليها معانا شوية يا توحيدة..
وقالت الأم بعد ان نظرت الى ابنتها نظرة تأمرها بالخروج:
- لا والنبي تسببها يا شوكت بيه.. دى بقالها جمعيتين عيانة
وما ذكرتش حاجة من أيام المعزى..
وخرجت فايضة وقد امتلأ رأسها بسحب من الفكر الأسود..

كان هناك معنى لا تفهمه، أو لا تريد أن تفهمه.. ولكنها مع مرور الأيام بدأت تفهم، أو اضطرت أن تفهم.. فقد بدأ شوكت هذا يتردد على البيت كل مساء.. وتتردد معه زجاجات الويسكى ويعد له الطعام الفاخر.. طعام لم تتعوده فائزة في حياة أبيها.. وبدأ شوكت أيضا يصحب معه بعض اصدقائه.. وبدأت اختاها خديجة وفوقية تشتركان مع امهما في استقباليهم. وبدأتا تشريان الويسكى، وتتقلان من الطلاء على وجهيهما، وتشتريان ثيابا لم تكونا تحلمان بها، وتضحكان في خلعة لم تألفها منهما، وتتحدثان في مواضيع جريئة يحمر لها وجه فائزة خجلا لمجرد سماعها..

وكانت فائزة ازاء كل هذا صامته.. تغرق في ذهولها اكثر واكثر.. ولم يدعها احد الى الاشتراك في تلك الليالي، ولم يسألها احد رأيها، ولم يلحظ احد كل هذه الحيرة التي تضطرب في رأسها، وكل هذا العذاب الذي يزحف على صدرها..

واصبحت تحس انها تحمل بأمها واختيها جرما لا تستطيع ان تواجه به الناس.. وكان يخيل اليها ان الجيران كلهم يشيرون اليها كلما مرت بهم ويتهامسون عليها.. وان صديقاتها في المدرسة يتقولن عنها ويعلمن الكثير عما يجرى في بيتها..

ولم تستطع ان تفعل شيئا ازاء كل هذا إلا ان تزداد انطواء على نفسها.. وتزداد صمتا.. وهي في انطوائها وصمتها تزداد تعلقا بذكرى أبيها.. ولو كان حيا ما حدث ما يجرى حولها، ولو كان حيا لصان سمعتها وسمعة امها وأختيها، ولو كان حيا لاستطاعت به ان تواجه الجيران وان تقف مع زميلاتهن على قدم المساواة.. و.. و..

وكانت تنام كل مساء فى بحر من دموعها..
لم يحدث إلا مرة واحدة ان انفجرت وأعلنت ثورتها..
كان ذلك عندما جاءت اخاتها ذات يوم وفى يدها سوار
جديد، وصاحت مرحة قائلة لأختها فوقية:
- شوفتى الأسورة الجديدة يافوفى..
وقالت فوقية وكأنها تتنهد:
- الله.. جنان!!..
وقالت خديجة:
- اربعين جنيه ونص.. دفعهم اسماعيل بيه.. جنيه ينطح
جنيه!..
وقالت فوقية ضاحكة:
- لو كان على ثقل دمه كان لازم يدفع الف!!..
وتنبهت خديجة الى وجود فايضة، فالتفتت اليها وهى تضع
السوار امام عينيها:
- شوفى يا فايضة..
وردت فايضة وهى تسبح بعينيها:
- مش عايزة اشوف..
وهزت خديجة كتفها فى احتقار قائلة:
- عنك ماشفتى..
وانفجرت فايضة:
- تسمى تقوللى اسماعيل بيه ده يطالعك ايه علشان يجيب
لك اسورة!
وصرخت خديجة:

- الله.. الله.. ما بقاش ناقص إلا انت يابت يا مفعوضة!!
وقالت فايضة:
- لو كان بابا موجود.. كان فعصك وقطعك حنت قبل ما
تحطى الأسورة دى فى ايدك..
وأجابت خديجة:
- أهو مش موجود سابنا للفقر وارتاح..
وصرخت فايضة ودموعها تختنق فى عينيها:
- بابا ما سبناش فقرا.. انما سابنا شرفا..
وقالت خديجة:
- طيب انحطى بقى واتلفعى بالشرف بتاعك..
وقالت فوقية:
- بس يا جماعة بلاش زعيق.. جرى ايه يا فايضة.. كل واحد
حر يعمل اللي هو عايزه..
ودخلت توحيدة على صوت البنات:
- جرى ايه.. ايه الزعيق اللي يقلب الدماغ ده؟..
وقالت فوقية وهى تحاول ان تبسم:
- مافيش حاجة يا نينه.. دى مناقشة كده عالطاير..
وقالت خديجة وهى لاتزال فى غضبها:
- الشيخة فايضة بتلقى علينا محاضرة فى الشرف.. مش
عاجبها ان اسماعيل يجيب لى هدية..
- اسمعى يابت انت.. انا عارفاكى، طالعة لأبوكى حرف
بحرف.. كفاية اللي شفته من أبوكى ومن الهم اللي حطه عليه..
تطولى لسانك، تقولى كلمة زائدة ولا كلمة ناقصة، حاقطع رقبتك..

فاهمة!..

وسكنت فايضة..

ومن يومها وهى ساكتة، تطوى الهم فى قلبها ولا تبوح به إلا لخيالها.

وانتقلت العائلة من شارع الروضة. الى شقة فخمة فى الجيزة..

ولم تسأل فايضة عمن يدفع ايجار الشقة الجديدة، ولا عمن دفع ثمن كل هذا الأثاث الجديد.. فقد تعودت ان تفهم وان تسكت. ولكنها ارتاحت عندما اصبح لها فى الشقة الجديدة حجرة خاصة.. بعيدة عن الأبناء الخارجية التى تقام فيها حفلات الليل، وأصبحت هذه الحجرة هى كل دنياها، واختارت السرير لتقضى عليه نصف ايامها.. خيالها فوق الوسادة.. والامها تحت اللحاف.. ولكنها كبرت..

لم تعد طفلة.. ولم يعد احد يريد ان يعتبرها طفلة.. كان الرجال يلمحونها فتجرى عيونهم خلفها.. خلف القوام الذى يتثنى فى رقة وخفر كأنه يتأوه من الألم.. وخلف البشرة السمراء كأنها أستار معبد مقدس لم يجد كاهنه ولم يكتشفه العباد ليتبركوا به.. وخلف العينين الواسعتين وقد اجتمع فيهما الليل والنهار فلا تكاد تغفو بينهما حتى تصحو، وخلف الشفتين الحالمتين وقد نامت احدهما فوق الاخرى كأنها تتدفأ بها.. وخلف الشعر الطويل المرسل الذى تضفره احيانا فى ضفيرة طويلة تلقىها فوق ظهرها كأنها تحمل فى طياتها سرها.. سر الجمال.. وسر الشباب.. وسر الأنوثة البكر المغلقة الأبواب..

وقد بدأت هى نفسها تحس انها كبرت، وبدأت تعى جمالها..

بل تعي انوثتها.. ولكنها كانت تفكر اكثر مما تحس.. كان عقلها
انشط من انوثتها.. كان كل شيء يعرض لها مما يدور حولها
يلتقطه عقلها ويحرك تفكيرها، ولذلك ظلت باردة الانوثة.. وظل
قلبها دائما خاليا إلا من ذكرى ابيها..

ولم تحاول امها أو شقيقاتها ان يدفعنها الى شيء.. لم
يحرصن على الاشتراك معهن في سهرات الليل، ولم يضعن
امامها رجلا من الرجال الذين يترددون على البيت.. تركنها
حرة، ترقد في فراشها كما تشاء، وتنطوي ما شاء لها الانطواء،
وتقفل باب حجرتها بالمفتاح..

كل ما هنالك ان امها كانت تقول احيانا وهي تنظر اليها كما
تنظر الى عمارة جميلة تبنيها وترفعها دورا بعد دور:
- والنبي ما انا عارفه بتمائي عنيكى فى المذاكرة على ايه..
آل الدكتور هآل.. ده أنا لو كنت منك كان زمانى جبت الطب كله
تحت رجليه من غير ما اقرا ولا أذاكر!!..

وكانت خديجة تقول لها احيانا:
- اظن حضرتك فاكره ان العرسان حيچولك لحد عندك..
ويخبطوا عليكى الباب.. الجواز بأه خطف يا حبيبتي.. الى
تخطفيه تتجوزيه..
وكانت فايضة ترد:

- ومين قالك انا عايضة اتجوز.. انا مش حتجوز طول
عمري!!..

وترد خديجة ساخرة:

- العفو.. يا شيخة فايضة!!..

وكانت فوقية تهمس فى اذنها احيانا اخرى!
- شفتى الجدع اللى كان مع شوكت بيه النهارده.. ده شافك
وانت داخله.. وكان حيتهل عليكى..
ولم تنته كل هذه المؤثرات الى شىء..
الى ان كان العام الماضى.. فى اغسطس على وجه التحديد..
دق جرس الباب وكانت بجانبه صدفة ففتحته عن شاب صغير
السن لا يتجاوز العشرين من عمره، وسيم، خجول.. ما كاد يرفع
عينيه اليها حتى خفضهما بسرعة، وقال فى صوت خافت متردد:
- اسماعيل بيه هنا؟..
وأجابته وهى تفحصه بنظراتها:
- أظن.. لا زم يكون هنا.. اتفضل!!
ودخل.. وكانت فائزة تعتقد ان اسماعيل موجود فعلا بحكم
العادة ولكنه لم يكن موجودا، فأظهرت أسفها..
وتردد الشاب قليلا ثم قال:
- والله هو ادانى ميعاد هنا.. و..
وقاطعته فائزة:
- يمكن اتأخر شوية.. اتفضل زمانه جاي..
وجلس.. وجلست معه..

وجاءت خديجة وفوقية على صوت جرس الباب، فوجدتا
اختهما جالسة الى الشاب.. ودهشتا حتى كادت الدهشة تقفز فى
صرخة، فقد كانت المرة الأولى التى تقبل فائزة ان تجلس فيها مع
احد من اصدقاء البيت.. كانت لا تلتقى بواحد منهم حتى تشيح
عنه بوجهها، واذا اضطرت ان تحييه القت تحيتها كأنها تغمد فى

صدره خنجرا..

وكتمت الاختان دهشتها وتغامزتا.. ثم تقدمت خديجة مرحبة:

- اهلا مصطفى.. اسماعيل زمانه جاى..

وقالت فوقية كأنها تحتفل بمناسبة هامة:

- الليلة لازم تشرب يا مصطفى.. ويسكى ولا براندى!!

وقال مصطفى وهو لايزال خجلا:

- مرسى.. انت عارفة انى ما باشربيش!!..

- ولا علشان خاطرى.. طيب بلاش خاطرى.. علشان خاطر

فايزة!!..

ورفع عينيه الى فايزة وكأنه لم يرها بعد، ثم قال فى صوت

خفيض:

- فايزة ما ترضاش تتعبنى!!..

وابتسمت فايزة.. وكانت تريد ان تكون ابتسامتها ساخرة،

ولكنها صدرت رغما عنها ابتسامة حلوة هادئة كأنه حرك فيها

شيئا لم يتحرك من قبل.

وجلس الجميع يتحدثون.. ثم قامت خديجة واستأذنت

وخرجت الى غرفتها.. وبعد قليل لحقت بها فوقية..

واصبحا وحدهما..

وعرف انها طالبة بكلية البنات..

وعرفت انه طالب فى الجامعة..

واستزادته من الحديث عن الجامعة.. عن فتياتها، وعن

حوادثها.. وعن اساتذتها.. وعن نظامها.. وكأنه كان يحدثها عن

احلامها.. وكان دائما فى حديثه مهذبا، تطل كلماته من بين شفثيه

فى بطة ممتع، حتى شغلت بكلامه عن نظرات عينيه التى كان يطلقها عليها من حين لحين..

كانت بريئة فى جلستها معه..

وظنت انها وجدت اخيرا الانسان الذى يفهمها ويحترمها..

ثم جاء اسماعيل «بيه» وجاء معه بعض الاصدقاء، وجاءت الام والأختان.. وفتحت زجاجات الويسكى والصودا.. ومدت اطباق المزه..

وظلت جالسة بين كل هذا، مستمرة فى الاستماع اليه، وكأن كل ما يدور حولها ليس فيه شىء تستهجنه، أو شىء تعيبه.. بل انها فى هذه اللحظة نسيت كل عذابها.. نسيت كل شىء حتى نكرى والدها..

وكانت امها واختاها يرقبونها من بعيد، والفرحة تطوف بهن وكأنهن انتصرن اخيرا على الحصن الحصين..

الى ان همس فى اذنها:

- تيجى نتكلم فى البلكون بعيد عن الدوشة دى..
وخرجت معه الى الشرفة..

وعادا الى حديث الجامعة.. وهما متكئان على حافة الشرفة ولكنها بدأت تلحظ انه يقترب منها شيئا فشيئا.. وبدأ عقلها يتنبه حتى يطفى على احساسها..

ثم بدأت تحس بذراعه يتلصص نحو خصرها.. الى ان امسك به..

وسكتت قليلا ريثما تسيطر على الثورة التى بدأت تندلع فى رأسها..

ثم أحسست انه سكت عن الكلام، وانه بدأ يمد وجهه الى
وجهها، وقبل ان يلمسها بشفتيه، استدارت له فجأة، وقالت فى
صوت غاضب كأنه صراخ خافت:

- عايز ايه؟

وارتبك وقال ملججا:

- ولا حاجة يا افندم.. ولا حاجة!!

وقالت وهى تنظر اليه فى تحد وغضب:

- لا.. كداب.. انت كنت عايز حاجة.. خليك صريح!

- بس.. انا.. اصل..

- كنت عايز تبوسنى.. مش كده؟

وكأنه اسقط فى يده، فقال فى استسلام:

- فعلا..

وقاطعته:

- ليه؟

قال وهو يرفع يده الى ياقة قميصه كأنه يخنق:

- علشان.. علشان.. علشان باحبك!!

قالت وهى تسخر منه:

- بتحبنى .. عال .. كويس خالص .. اتفقنا ... يعنى

حضرتك عايز

تتجوزنى ؟

وتراجع كأنه بوغت :

- ايه .. اتجوزك !!

- طبعا .. مش اللى بيحب واحدة يتجوزها ؟

وقال وهو يضبط أعصابه حتى لا يصرخ فى وجهها :
- بس المسألة دى عايزة تفكير ..
- والبوسة .. مش عايزة تفكير أظن .. لما حضرك تتجوزنى .. ابقى ..
تعال بوسنى !!
وخرجت من الشرفة، وهرعت الى غرفتها دون أن تلتفت الى
أحد فى طريقها .. وأغلقت الباب بالمفتاح ..
ولم تشترك فى سهرة من سهرات الليل بعد ذلك ..
وفشل الجميع فى اقناعها بأن تكرر خطأها ..
وعكفت على دروسها .. حتى نالت شهادة التوجيهية فى آخر
العام ..
هذه هى قصة فائزة التى تستعرضها فى خيالها كل ليل، ثم
تضعها تحت الوسادة وتنام ..
وكانت الساعة الرابعة صباحا عندما استيقظت مذعورة من
نومها فى تلك الليلة على صوت طرقات عنيفة على بابها ..
وسمعت صوت المخمور مرة ثانية قائلا :
- ماتفتحي يا شيخة فائزة .. الفجر أذن !! ..
ثم سمعت صوت أختها :
- ماقولتك أبعد عن الباب ده .. بعدين جازعل معاك !! ..
وأضأت فائزة النور ، والتفتت فوجدت بجانبها الكتاب الذى
تقرأه، وقرأت على غلافه بحروف كبيرة اسم المؤلف : منير
حلمى ...
وقالت وهى تبتسم وكأنها تسخر من عذابها :



- عاجبك كده يا أستاذ !!؟ ..

وأطفأت النور .. وأخرجت قصتها من تحت الوسادة ..
وأخذت تستعرضها فى خيالها من جديد ..
وعادت فائزة ذات مساء من السينما وهى تتصور نفسها
طول الطريق بطللة الفيلم الذى شاهده ..
كانت دائما تعيش فى خيالها، وتعيش فى كل ما يحرك هذا
الخيال .. تعيش فى كل فيلم تشاهده وفى كل قصة تقرأها ولكن
لم يستطع شىء فى كل ما شاهده أو قرأته أن يستحوذ على
خيالها قدر ما استحوذت عليه قصص الأستاذ منير حلمى ..
ان قصصه كلها تصور الحب العف الشاعرى ، وبطلاته

كلهن عفيفات شريفات .. كلهن يهبن أرواحهن للحب ، ويحفظن أجسادهن للحب ..

وقد استبد بها خيالها حتى أصبحت لا تفرق بين الخيال والحقيقة .. أصبحت تتصور الأستاذ منير حلمى بطلا لكل قصة يكتبها، وأصبحت تتصور نفسها بطلا لكل قصة من هذه القصص .. ثم انتهى بها الخيال الى ان أصبحت تعتقد أنها تحب الأستاذ منير حلمى فعلا، وأنه يحبها بخياله هو الآخر.. وان كل قصة يكتبها ما هى الا خطاب غرامى لها وحدها. وكان هذا هو ضعفها الوحيد..

كانت قوية فى كل شىء.. قوية فى عدم الانسياق للتيار الفاجر الذى أنسقت اليه تمها واختاها.. وقوية فى مقاومتها للاغراء الذى يطوف بها.. اغراء الشباب والمال اللذين يفدان الى بيتها كل مساء.. وقوية فى استمرارها فى الدراسة رغم كل الظروف التى تحيط بها.. وقوية فى حرصها على ذكرى أبيها، واحترام هذه الذكرى رغم السنين التى مضت على وفاته.. ولكن ضعفها كان فى خيالها الذى استولى عليه الأستاذ منير حلمى بقصصه..

ووصلت الى بيتها..

وأخرجت المفتاح من حقيبتها وفتحت الباب.. وكل واحدة من الأخوات الثلاث تحمل مفتاحا للباب، وكل واحدة منهن لها الحق فى ان تخرج وقتما تشاء.. وتعود وقتما تشاء.. وامهن لا يهمها أن تذهب بناتها أينما شئن.. كل ما يهمها هو ألا تخفى واحدة منهن عليها أين كانت واين ذهبت!!..

وسارت فايضة داخل البيت فى طريقها الى حجرتها، وألقت نظرة على «الصالون» حيث تقام سهرة كل ليلة.. وكادت تستمر فى طريقها، ولكنها وقفت فجأة كأنها تسمرت فى مكانها.. ثم ادارت رأسها وعادت تنظر داخل «الصالون».

انه هو..

هو بعينه..

هو كما رأت صورته فى الصحف.. الوجه الهادى.. الوسيم.. كأنه طيف من عالم الخيال، والعينان الصافيتان كأنهما لم تقعا أبدا على شر يعكرهما، والشففتان الغليظتان، كأنهما اكتنزنا بتنهداته، والشعرات البيض فى فؤديه.. كأنها اجنحة ملاك والابتسامة الحنون كأنها رسالة يحملها نبي لاسعاد البشرية..

انه الاستاذ منير حلمى.. الكاتب الكبير!!..

ومرت برأسها عواصف من الفكر..

ترى لماذا جاء الى هنا؟!!..

هل هو واحد من هؤلاء الرجال الذين يفدون الى البيت كل ليلة، يسكرون ويصخبون ويعربدون حتى تتعب منهم شهواتهم فتتركهم نياما او اشبه بالنيام؟!!..

وقال لها خيالها: مستحيل.. الف مرة مستحيل.. لا يمكن ان يكون منير حلمى واحدا من هؤلاء الرجال.. لا يمكن ان يكون بطل هذه القصص العفة.. بطلا لقصة دنسة!!..

هل جاء يبحث عنها؟..

وقال لها عقلها الواعى: مستحيل ايضا. انه لم يعرفها ولم

يسمع بها..

اذن لماذا جاء؟..

واشترك خيالها وعقلها الواعى فى نسج جواب يرضيها: لقد جاء ليرى الدنيا على حقيقتها.. نزل من سمائه الى الارض بحثا عن متاعب البشر ليخفف عنهم ويرسم لهم طريق السعادة.. الطريق الذى تبحث عنه هى منذ مات والدها!!..

وتحركت من وقفاتها واتجهت الى الصالون كأنها تسير فوق طيات خيالها..

وكان منير حلمى جالسا بين بقية الرجال يرشف كأسه.. وند جلست بجانبه اختها فوقيه وكأنها تجلس على ركبتيه، وجلست بعيدا عنه خديجة، وبجانبها اسماعيل «بيه» ثم أمها وبجانبها شوكت «بيه»، ثم ثلاثة او اربعة من ذبول اسماعيل وشوكت ويتبارى كل منهم فى القاء نكتة يضحك لها الجميع غير سماحيته ويتبارى كل منهم فى شرب اكبر عدد من كؤوس الويسكى، وفى التهام اكبر عدد من اطباق المزة..

وكانوا جميعا منهمكين فى صخبهم وضحكهم فلم يلاحظوا فائزة وهى تسير اليهم فى خطواتها البطيئة المترددة..

وسارت حتى وقفت بجانب منير حلمى.. ثم قالت وهى لا تنظر إلا اليه:

- الأستاذ منير حلمى!!..

وتنبه الجميع اليها، وصاح شوكت:

- أهلا بالشيخة فائزة.. خطوة مباركة!!..

وصرخ واحد من الدلايل فى لهجة عسكرية:

- مدرسة!!..

ثم رفع يده الى جبينه بالتحية العسكرية وهو يضحك ساخرا..

ولحظ اسماعيل تعلق عينى فايضة بمنير.. فقال ضاحكا:

- سرك باتع يا أستاذ منير!!

وقالت الأم وابتسامتها تكاد تسقط على صدرها من فرط خلاعتها:

- دى بنتى فايضة يا أستاذ منير.. بنت مدارس.. وعمرها ما ترفع عينها عن الكتاب.. خصوصا اذا كان كتاب من كتبك..

ونظر اليها منير حلمى، وفى لمحة كان قد وعى القوام الذى يتثنى فى رقة وخفر كأنه يتأوه من الألم، والبشرة السمراء والشفيتين الحاليتين وقد نامت احدهما فوق الاخرى كأنها تتدفأ بها والشعر الطويل المصفر فى ضفيرة طويلة تلقيها فوق ظهرها كأنها تحوى فى طياتها سرها.. سر الجمال.. وسر الثياب.. وسر الأنوثة البكر المغلقة الأبواب..

وقام منير واقفا وبين شفثيه ابتسامة هادئة كأنه يستنكر بها كل هذه الضجة التى أثارها الصحاب، وقال وهو ينظر فى عينيها:

- تشرفنا يا فايضة هانم..

ومد لها يده.. فوضعت فيها يدها مترددة كأنه انسان غير قابل للهمس..

وقالت فى صوت خفيض:

- أنا تشرفت قوى يا أستاذ.. عمري ما تشرفت قوى اد

النهاردة!!..

وللأستاذ منير حاسة سادسة يعرف بها قارئاته والمعجبات
بقصصه، وقد عرف بحاسته ان فايضة واحدة من المعجبات..
وهو يستقبل جميع قارئاته بشخصية خاصة يضع نفسه
فيها.. شخصية الأستاذ الكبير الرقيق الذي يعيش فى خياله،
والذى يعرف أسرار القلوب، ويعرف لكل سر مفتاحه.. شخصية
الطبيب المخلص الذى يضم مرضاه بقلبه الكبير ويعرف لكل
مرض علاجه..
وقد تقمص شخصيته هذه بمجرد ان وضع يده فى يد
فايزة..

ونظرت فوقية الى اختها دهشة للحيرة والتردد اللذين
تعانيهما.. نظرت الى الوجنتين السمرأوين وقد احتقنت فيهما
الدماء فبدتا فى لون قشر الرمان، والى الشفتين المرتعشتين
كأنهما لم تعودا تطيقان ثقل مافوقهما من أنفاس.. ثم قامت من
مكانها قائلة وهى تنظر الى اختها نظرة عطف:

- تعالى يا فايضة.. تعالى اقعدى هنا جنب الأستاذ!!

وقالت فايضة فى صوت خجول:

- مرسى..

ثم جلست وجلس الأستاذ بجانبها وهو متقمص شخصيته
الخاصة بالمعجبات بقصصه!!

ومد يده الى كأسه يرفعها الى شفثيه..

ونظرت فايضة الى الكأس، وكأنه انقلب الى كأس من النور.
المذاب فى يد منير، فلم تمتعض، ولم تستنكر، وقالت وكلماتها لا

تزال تعاني الخجل:

- ما تتصورش انا معجبة بقصصك أد ايه يا أستاذ.. ما فيش قصة كتبتها الا لما قررتها و..
- وصاح اسماعيل عندما رأى ارتباك فايضة:
- شد حيلك يا أستاذ..
- وصاح واحد من الدلائل فى صوت عال:
- نوبه واحد جه يشد حيله انقطع منه!!.
- وثارت الضحكات.. وترددت كلمات «قديمه».. «بايخه»..
- ولم يشترك الأستاذ منير فى الضحك ولا فى التعليق على النكتة «البايخة» انما ظل محتفظا بابتسامته الهادئة التى تحتماها عليه شخصيته التى تقمصها منذ دخلت فايضة..
- شخصية المؤلف الكبير!!.
- ونظرت فايضة الى الجميع فى غضب واشمئزاز.. ثم استراحت نظراتها بعد قليل، وعادت تقول لمنير:
- انما يا أستاذ ماكانش حقك تعمل فى نينى كده.. دى بنت غلبانه ومالقيتش حد يفهمها..
- وبوغت الأستاذ وقال كأنه يصد عن نفسه اتهاما:
- نينى مين؟..
- وقالت فايضة كأنها تستنكر منه ان ينسى نينى:
- نينى.. بطة قصة «قلبي لك»!!.
- واستراح الأستاذ، وقال استعاد شخصية المؤلف الكبير:
- أه.. أصلى ما كنتش فاكر انك قررتى القصة.. و...
- وقاطعه اسماعيل صائحا:

.. جرى ايه يا استاذ.. مالك بقيت حنين كده.. أنت ناوى
تبتدى قصة جديدة ولا ايه!!

وقالت خديجة:

- لا يا استاذ خد بالك قوى.. مش كل القصص اللي يتاكل
لحمها!!

وضحك الجميع فى صوت كالصراخ..

وقالت فوقية وهى لا تزال تضحك:

- والنبي لخليه يكتب قصتى.. يعنى انا ما جيش أحسن من
ناريمان اللي كتب توفيق الحكيم قصتها.. على الأقل قصتى
حتكون جديدة وماحدث عارفها!!
وردت امها:

- والنبي تتلهى.. أيش وصلك انت للملوك علشان يكتب عنك
توفيق الحكيم!!

وقال شوكت للأم، وكرشه يهتز أمام ضحكاته:

- أما انت يا توحيدة، قصتك ما يكتبهاش إلا فكرى أباطة..
اصلكم من جيل واحد!!

ولم يشترك منير فى كل هذا الضحك انما ظل متمسكا
بابتسامة الهادئة..

ونظرت فايضة الى الجميع كأنها تطلق عليها الرصاص من
عينيه، ثم قالت هامسة فى اذن منير:

- انا لازم اشوفك يا استاذ.. عندى كلام كتير لازم اقوله لك..
ومش حاقدر أقوله هنا..

وقال منير وهو يحاول ألا يسمعه احد:

- اضربيلى تليفون فى البيت بكره الصبح.
ثم استطرد:
- النمرة فى الدفتر.
وابتسمت فايضة كأنها حققت كل آمالها فى الحياة، وعادت
تهمس فى أذنه:
- أنا حاقوم دلوقت.. وبكره الصبح بدرى..
وقاطعها منير:
- بلاش بدرى دى!..
واتسعت ابتسامه فايضة.. واستطردت قائلة:
- طيب بكره مش بدرى حضربك تليفون.. أنا أسفه.. انما ما
اقدرش اقعد فى الجوده. تصبح على خير..
وقال منير وهو يلتقط يدها فى الخفاء ويضغط عليها:
- تصبحى على خير.. الى الغدا!..
ونظرت اليه فايضة فرحة به ويلقائها به.. ثم قامت.. ودون ان
تحىي أحدا خرجت متجهة الى غرفتها.. وسمعت شوكت يصيح
وراءها:
- جرى ايه يا شيخه فايضة.. ما كنا قاعدين!..
وسمعت اسماعيل يرد عليه:
- سييها ياسيدى.. لحسن لو قعدت كمان شويه حتبتدى
تلقى علينا مواعظ..
وسمعت أمها تقول:
- هيّه كده.. الحلو ما يكملش!..
وعادت فوقية تجلس بجانب منير وكأنها تجلس على ركبتيه،

ولم تسمعها فائزة، وهى تقول له:

- جرى ايه يا سى منير.. أنا شايفه عينيك ابتدت تزوغ!!
وكان منير قد خلع شخصية المؤلف الكبير، ومد ذراعه يحيط
بها خصر فوقيه، وقال وهو يلصق شفثيه بكتفها العارى:
- أنا طول عمرى عينى زايدة عليكى!!..

ولم تنم فائزة ليلتها..

كانت صورته تملأ رأسها وقلبها، وتملاً فراغ حجرتها، وقد
حققت لها هذه الصورة كل خيالها.. انه نفس الرجل الذى كانت
تتخيله من خلال قصصه.. نفس الصوت العميق الذى كانت
تتخيل انه يحدثها به، ونفس الابتسامة الهادئة التى تعبر عن ثقة
صاحبها بنفسه، والتى كانت تتخيله يستقبلها بها كلما فتحت
كتابه.. ونفس الاصابع الرفيعة الطويلة -أصابع الفنان- الذى
كان يداعب بها خيالها..

وأخذت تعد ما تقوله له فى الصباح عندما تحدثه فى
التليفون..

هل تبدأ فتروى له قصتها من أولها الى آخرها كأنها «تسمع»
كتابا.. ثم تسأله رأيه، كما تفعل البنات مع محرر «جراح
قلب»؟!..

هل تحدثه اولاً عن قصصه التى قرأتها ومشاكل ابطالها
ورأيها فيهم؟!..

هل تبكى فى أذنيه وتستحلفه ان ينقذها من هذه البيئة التى
تعيش فيها؟!..

ولم تنته الى قرار..
وقامت الصباح مصفرة الوجه من طول أرقها، ولكن فى
عينها بريق قوى مرح كأنها ترى بهما دنيا جديدة..
ومرت الساعات بطيئة، تحاول ان تشغل نفسها بشيء... وكل
ما فيها مشغول به..
وفى الساعة الحادية عشرة، أمسكت بسماعة التليفون بيد
مرتعة وأدارت الرقم الذى كانت قد حفظته عن ظهر قلب.
وسمعت صوتا كسولا كان صاحبه لا يزال فى فراشه..
وقالت وكلماتها تتعثر بين شفيتها:
- صباح الخير.. انا فايضة..
وسمعت صوته:
- أهلا فايضة..
ونطق اسمها فى سهولة وبلا تكلف كأنه يعرفها من زمان
طويل، وكأنه بات ليلته يحلم بها كما باتت تحلم به..
وقالت وكلماتها تتعثر فى خفقات قلبها:
- أنا صحتك من النوم يا أستاذ..
- ابدأ.. أنا صحت مخصص علشان أستنى تليفونك..
وقفزت من بين شفيتها صرخة فرح:
- صحيح؟!!
وتجاهل فرحتها وقال فى صوته العميق الكسول:
- كنت محتار عايزه تقوللى ايه..
- عايزه اقولك حاجات كتير.. كتير قوى يا أستاذ..
- يعنى اد ايه كده.. ساعة.. ساعتين..

- أنا خايفه اكون حاضايقك..
- ابدأ.. مستعد اسمعك العمر كله.. بس انا دلوقت مشغول.. تحبى نتقابل احسن..
- وقالت مترددة:
- فين؟..
- عندي.. فى البيت!..
- صممت قليلا كأنها تطرد شكوكاتريد ان تقفز الى رأسها، ثم قالت وقد فقد صوتها جراته:
- ضرورى فى البيت؟..
- وقال ضاحكا فى لهجة طبيعية:
- تحبى نتقابل فى القهوة؟..!
- وقالت كأنها تصدقه:
- لأ.. بلاش القهوة.. البيت احسن.. بس..
- الساعة تسعة؟..!
- يا خبر.. ده متأخر قوى يا استاذ!
- طيب نخليها سبعة يا استاذة!!
- مش ممكن تبقى الساعة اربعة؟..!
- إلا اربعة دى.. أنا كل يوم من تلاته لسته تقدرى تعتبرينى فى حكم الميت!!..
- وقالت مخلصه:
- بعد الشر عليك.. طيب الساعة سابعة.. بس مش حاتأخر!..
- على اد حكايتك!!..

- أوفوار..

ووضعت سماعة التليفون.. وهى فى شبه ذهول لا ترى من خلاله شيئاً.. ولا تحس بشيء.. وحاولت ان تسيطر على ذهنها لترتب القصة التى سترويها له فى بيته، وحاولت ان تتصور شكل هذا البيت ونظامه، وحاولت ان تتصور نفسها وهى داخله للقائه.. هل تبتسم ابتسامة واسعة ام ضيقة، وهل تقول له «بونسوار» ام تقول «مساء الخير».. ولكن كل محاولاتها لم تكن تنتهى إلا بصورة مهزوزة لا تستطيع أن تلمح فيها نفسها ولا طريقها ..

ووقفت أمام المرأة تستعد للذهاب اليه.. وربما انتقت لنفسها أحب ثوب اليها، وربما اهتمت أكثر من العادة بعقص شعرها الطويل الجميل فوق رأسها، وربما أطالت الوقوف امام مرآتها.. ولكنها لم تشعر بكل هذا.. كانت لا تزال فى شبه ذهول، وكانت الرهبة تملأ صدرها مما هى مقدمة عليه.. رهبة كانت فى حاجة الى كل ارادتها لتتغلب عليها، وتقدم هادئة مطمئنة لا خائفة ولا مترددة.

ولم تدر سببا لرهبتها..

انها ليست ذاهبة الى موعد غرامى.. انها ذاهبة اليه لتروى له قصتها، كما تذهب الى طبيب تسأله العلاج.. فلماذا ترهب الطبيب؟..

وهى ليست ذاهبة الى بيت رجل.. انها ذاهبة الى ملاك.. ملاك من ملائكة الفضيلة ومن ملائكة الخير.. فلماذا ترهب الملاك بدل ان تطمئن اليه؟!

ووصلت الى العمارة الأنيقة التى يسكن فيها، وخيل اليها

انها نسيت رقم الشقة، فأخذت تنظر فى البطاقات الملصقة
بصناديق البريد المعلقة بجانب الباب..

ولحها البواب.. ونظر اليها طويلا، ثم تقدم اليها قائلاً:
- حضرتك عايزه شقة الاستاذ منير.

وبوغت كأن سرها انفضح، وقالت على استحياء:
- ايوه..

- شقة نمرة ١٢ ..

واتجهت فايضة الى المصعد، ولكنها قبل ان تصل اليه
استدارت الى البواب وسألته فى لهجة حازمة وكأنها استردت
كل ارادتها:

- ايه عرفك انى طالعة للأستاذ منير؟
وابتسم البواب ابتسامة خبيثة، وقال:

- انا بقالى بواب فى العمارة دى سبع سنين.. والاستاذ منير
ساكن هنا من سبع سنين!!

ولم تفهم فايضة شيئاً، او لعلها لم تحاول ان تفهم، ووجدت
انها لا تستطيع ان تستمر فى مناقشة البواب، فاتجهت الى
المصعد..

ووصلت..

وضغطت جرس الباب..

وفتح لها بنفسه.. وهو مرتد سروالا وقميصا وسترة منزلية
من الصوف، ومرتد ابتسامته الهادئة الوديعة..
ومدت له يدها..

والتقطها كأنه لن يتركها ابداً، وقال من خلال ابتسامته:

- يا .. ده انت ايدك ساقعة قوى..
ولم تقل شيئا، واستطرد:
- لازم قلبك حامى زى النار..
وأدارت عينيهما فى انحاء البيت.. ان كل شىء فيه انيق فخم
مرتب.. مرتب اكثر من اللازم.. وكأن كل شىء اعد خصيصا
لاستقبالها، وكأن كل مقعد يفتح ذراعيه ويغريها بالجلوس عليه.
واختارت مقعدا جلست عليه.. وتعمدت ان يكون مقعدا بعيدا
عن المائدة الصغيرة التى تحمل زجاجة الويسكى وزجاجات
الصودا ووعاء الثلج..
ولكنه لم يتركها فى جلستها.. فقد جلس على الأريكة، وأشار
لها على مقعد بجانبه ودعاها اليه..
وترددت..
وقال وهو يحاول ان يضع كل فنه فى ابتسامته..
- ما تقعديش بعيد عني، لأن صوتى مبحوح، ومش حاقدر
ازعق!!..
وقامت وجلست حيث اراد..
وقال وهو يمد يده الى زجاجة الويسكى..
- صودا ولا ميه؟
وقالت فى صوت خفيض:
- مرسى، ما بشربش!!
وبدت فى عينيه نظرة تعجب، ثم قال:
- تحبى تشربى كونياك..
- مرسى، ولا كونياك!!..

- كأس واحد علشان تدفى!!..
ونظرت اليه نظرة عتاب، وقالت وكأنها لا تدري من اين تبدأ:
- انت كمان يا استاذ، فاكرنى زى اخواتى..
واتسعت نظرات التعجب فى عيني الأستاذ وقال:
- مالهم اخواتك؟..
- يعنى مش عارف؟..
- ما أعرفش إلا انهم ناس طيبين!!
- لك حق.. انت طول عمرك بتكتب عن الفضيلة والشرف،
وعن الناس اللى بيحافظوا على سمعتهم وعلى كرامتهم.. ما
تقدرش تتصور ان فيه ناس غير اللى بتكتب عنهم فى
قصصك.. ناس يموت الراجل بتاعهم فيموت معاه شرفهم
وسمعتهم و..
وسكت لتخرج من حقيبتها منديلا تجفف به دموعا بدأت تقفز
من عينيها وتسقط على وجنتيها كقطرات الندى فوق أوراق
الورد..
ورفع منير يده عن زجاجة الويسكى، ونظر اليها متسائلا
كأنه لم يكن ينتظر منها دموعا او كأنه لم يعد نفسه ليتلقى منها
هذه الدموع..
ثم امسك بيدها، وقال مواسيا وكأنه يزفر عن نفسه خيبة أمله
فيها..
- احنا حنبتدى نعط من الاول كده..
واحس بيدها مستسلمة فى يده، فمد يده الاخرى واخذ
يمسح بها على شعرها ثم اسقطها حتى وصل بها الى كتفيها،

وقال وهو يحاول ان يضغطها اليه:

- خالينا الاول نسمع الحكاية كلها.. وبعدين نعط مع بعض!!..

ولم تحس فايضة بيده وهى تضغط على كتفها، ولم تحس بيدها وهى مستسلمة فى يده الأخرى، وانما بدأت تروى قصتها، واحس هو أنها قصة طويلة، وانها منفعة فى روايتها الى حد لن تنتبه له.. فسحب يده من فوق كتفها، وسحب يده الأخرى من يدها.. وجلس يستمع اليها.. وأمره لله!!.. وروت له قصتها كلها..

كيف أحببت اباه.. وكيف كان يدللها دون اختيها.. ثم كيف مات وهو يحاول ان يضمها الى صدره.. ثم كيف رأت امها تستقبل رجلا غريبا فى البيت بعد اسبوعين من موته.. ثم كيف تعدد الرجال الذين يترددون على البيت واشتركت اختها فى استقبالهم، وكيف اصبحت لىالى الخمر والعريضة طابع العائلة كلها.. وكيف بدأ الجيران يتهايمسون عليها، وكيف بدأت زميلاتنا يتقوكن عليها، وكيف انتقلن الى بيتهن فى الجيزة لتستمر اللىالى دون ان يعكرها همس الجيران.. وكيف اصبحت تكره الرجال كلهم وتعتقد ان كلا منهم لا يحترمها ولا يقيم وزنا لكرامتها، انما يريدون منها ما يأخذونه من امها واختيها.. وقالت وهى تلفظ آخر دموعها:

- الفستان اللى انا لابساه ده.. ما أعرفش فلوسه مين دفعها شوكت ولا اسماعيل ولا محمد ولا على.. عمري ما أطلب حاجة الا ونينة تجيبها لى، ومن غير ما أطلب كل يوم تجيب لى حاجة شكل. وكل ما ألبس حاجة احس انها بتشكنى فى كل حته من

جسمى.. كنت افضل البس خيش من فلوس بابا، ولا البس
الحريير من فلوس الغريب!!

واستمع منير الى القصة وهو يتأرجح بين الملل والتأثر.. كان
ملولا لأنه لم يكن يعتقد انه سيقضى ليلته فى سماع قصة تصله
مثلها عشرات القصص فى خطابات قرائه، وكان متأثرا لان
القصة حركت فيه قلب الفنان الذى يحس بعذاب الآخرين.

وقال، وهو يحس انه فعلا كاتب مسئول:

- انت كنت بتحبنى بابا قوى؟..

- جدا يا استاذ..

- ولسه بتحبيه؟..

- جدا يا استاذ..

- ده السبب.. سبب عذابك، لأن بتشوفى الدنيا حواليكى
بعينين والدك مش بعينيك.. مش قادرة تشوفى اللي بتشوفه
نينتك او اخواتك.. وكل حاجة بتحكمى عليها بعقلية والدك.
كان لازم تحبى حد تانى.. عمرك ما حبيتى حد غير بابا الله
يرحمه؟..

وقالت وهى تجفف مابقى من دموعها:

- ازاي؟.. ايه هو الحب؟..

- يوم ماتحبنى.. مش حتسالى ايه هو الحب!!..

- الحب اللي أعرفه هو حب نينى وعادل فى قصة «قلبى لك»

هو ده الحب اللي يعجبينى!..

- الخيال حاجه، والحقيقة حاجه تانيه..

قالت وهى لانتظر اليه:

- انا شفتك فى الحقيقة، احلى ما كنت باشوفك فى الخيال.
ومد يده ووضعها فوق يدها، ونظر اليها وقد عادت ابتسامته
بكل مافيه من فن مصطنع، الى شفتيه:

- صحيح؟..

ولم ترد..

وعاد يلح:

- صحيح يا فايضة؟!!..

ولم ترد، انما جذبت يدها من تحت يده، وقالت هى تنظر الى
ساعتها:

- ياخبر.. الساعة بقت عشرة.. انا اتأخرت قوى يا استاذ..

- ولم يلح عليها منير فى البقاء.. كان يعلم بالضبط اى نوع
من الفتيات هى.. فتركها تقوم وتستعد للانصراف..
وقالت وهى تقف:

- ما تقدرش تعرف اد ايه ريحتنى يا استاذ!!..

- وحافضل طول عمرى أريحك..

قالت وهى تقاوم حياءها:

- يعنى اقدر اتصل بيك فى التليفون؟!!

- وقت ما تحبى.. بس بلاش حكاية الصبح بدرى!!..

- حاضر يا استاذ..

وقبل ان يفتح لها الباب سألها وفى صوته احراج:

- انت حتقولى لحد من اخواتك انك كنت عندي؟..

وترددت قليلا، ثم قالت:

- بلاش أحسن.. بونسوار يا استاذ!!..

وقال وهو يمسك بيدها:

- وفيه حاجة ثانية.. بلاش كلمة «استاذ» دى.. دمهها ثقيل على قلبى!!..

- حاضر يا استاذ!!..

- انا اسمى منير.. منير بس..

- تصبح على خير يا.. منير!!..



ولم تقرأ شيئاً فى تلك الليلة عندما أوت الى فراشها، ولم تستعرض قصة حياتها كما تعودت ان تستعرضها كل مساء، ولم تشعر بالسخط على مايجرى فى بيتها، بل انها كادت تنسى ان تغلق بابها بالمفتاح كعادتها..

كانت فى جنة من اوهامها..

ونامت كما لم تنم ابدا.. كأن الدنيا ملك يديها..

وفى الساعة الحادية عشرة من الصباح التالى كانت تحادثه فى التليفون..

وفى الساعة السابعة من مساء نفس اليوم كانت تحادثه مرة اخرى فى التليفون..

وبدأت تحادثه كل يوم صباحا ومساء، وكانت فى أول الأمر تلتمس الأعذار لنفسها حتى تخاطبه، وكانت تبحث عن مشكلة جديدة، لتسأله رأيه فيها.. ثم لم تعد تلتمس عذرا ولا تبحث عن مشكلة، انما اصبحت تحادثه لمجرد سماع صوته ولجرد ان يسمع صوتها. واصبحت تروى له كل تفاصيل يومها.. ماذا تلبس.. وماذا تأكل.. ومن تردد على البيت وماذا قالت اختها

خديجة او اختها فوقيه.. ثم اصبحت تسأله تفاصيل يومه،
واصبحت تحس انها مسئولة عن سعادته وعن متاعبه مع
الطباخ، ومع البواب، ومع ناشر قصصه.

ومرت اسابيع طويلة وليس بينهما سوى احاديث التليفون ولم
يحاول خلال هذه الأسابيع ان يدعوها الى بيته مرة ثانية ولم
يحاول ان يراها خارج بيته، ولم يحاول ايضا ان يكرر زيارته
ليبيتها، وعندما دعتة هي لزيارتها.. قال فى لهجة جديدة:

- لا يافايزة.. انا ما باستحملش الجو اللى عندكم فى البيت!!..
وبدأت تحاول ان تراه، وتحاول ان يدعوها الى بيته.. ولكنه
كان يتجاهل دائما محاولتها، الى ان صارحته مرة قائلة فى
غضب:

- يعنى خلاص عمرنا ما حانشوف بعض تانى؟!
وابتسم الاستاذ الذى يمسك بالطرف الثانى هـ "تليفون
وقال وفى عينيه نشوة النصر:
- انت اللى مش عايزه تشوفينى!!..
- وأشوفك ازاي... بالتليفون برضه!!..
- يعنى فكرتى تيجى تشوفى الراجل اللى قاعد لوحده ده،
جراله ايه؟..

وانطلقت انوار السعادة على وجه فايزة وقالت:

- وانت قلتلى تعالى ولا جيتش!!..

- طيب حاتيجى امتى؟!..

- بكره الساعة السابعة وقلبها يزفها اليه..

واستقبلها كما يستقبل الكاتب نهاية القصة..

ولم تجد المائدة التي تحمل زجاجة الويسكى وزجاجات
الصودا ووعاء الثلج.. انما وجدت مكانها علبة انيقة مليئة بقطع
الشيكولاته..

وقبل ان تحاول الجلوس على المقعد كان قد جذبها معه
ليجلسها بجانبه على الأريكة وقال وهويضغط كفيها بين كفيه:
- انا حاسس انى مش حا قدر استغنى عنك ابدا يا فايزة!
وقالت وابتسامتها تكاد تزغرد فوق شففتيها:

- انا خلاص ما بقتش أقدر اعيش من غير ما اسمع صوتك
النصبح وبالليل، زى الدوا..

وقال وهو يقبل وجنتيها بعينه ثم يطيل النظر الى شففتيها:

- انا المريض بوحدتى وانت دواى..

وقالت وهى تحس احساسا خفيا بأنها اقوى منه:

- بعد الشر عليك.. وبعد الشر على!!..

قال وهو يقترب منها اكثر:

- انا عمر خيالى ما اتحقق الا فيكى.. كل قصة كنت بأدور

على بطلة من اوهامى.. النهاردة كل قصة باكتبها انت بطلتها..

انت خيالى اللى باكتبه وانت الحقيقة اللى باعيش فيها..

ولم تكن تنتظر منه كل هذا الكلام العاطفى.. كان يبدو دائما،

عندما يحدثها فى التليفون، اكثر صلابة، واكثر تمنعا، واشد

قوة.. وربما فوجئت بكل هذه العواطف الفياضة، ولم تعد نفسها

لها.. فلم تسطيع ان تجاريه او ترد عليه، واحسست بالارتباك

واشتد ارتباكها وهو يزداد اقترابا منها، ثم وهو يميل بشفتيه

على وجنتيها، ثم وهو يزحف بها حتى يلصقها بشفتيها..

وتنبهت طبيعتها التي تدفع عقلها الى ان ينشط اكثر من نشاط انوثتها، والى ان تلتقط ما يجرى لها بذهنها لا باحساسها واذا بها لاتحس بقبلته.. انما تفكر فيها.. بينما شفثاه لا تزالان فوق شفثتها.. ماذا يريد؟ ولماذا يقبلنى؟ وماذا بعد هذه القبلة؟.. واصبحت تحت وطأة تفكيرها كتمثال من الشمع، وارتفعت الدماء كلها الى ذهنها لتغذى نشاطه، فتركت بقية جسدها بلا دماء.. باردا كالثلج.. ولم تستطع انفاسه الساخنة التي تطوف بها ان تذيب برودتها..

وارتفعت سخونة انفاسه، كان كل ما فيه يغلى.. واشتدت برودة جسدها كأن كل ما فيها يموت.. ثم أحست بيديه تضغطانها الى صدره، وأحست بها تطوقان خصرها، ثم ترتفعان الى نهديها البريئين، ثم اذا بيديه ترتجفان فوق صدرها وهما يبحثان عن منفذ فى ثوبها لتصلا منه الى لحمها.. وانتفضت واقفة وهى تبعد عنها قائلة فى غضب:
- لا يا منير.. مش كده!!..

ولجأت الى آخر الغرفة، فلحق بها وأمسك بكتفياها ودفعها فى رفق حتى ألصق ظهرها بالخائط، وعاد يميل عليها بشفتيه ويملا وجهه بأنفاسه الساخنة.. وتخلصت منه:

- بعدين أزعل معاك يا منير.. خليك عاقل!!..

وتركها تبعد عنه، ووقف ينظر اليها فى قسوة كأنه يلومها لأنها لا تتقبل الذبح، ثم هدأت انفاسه قليلا، وقال وهو يفتح «البار» باحثا عن زجاجة الويسكى:

- أنا كنت فاكرك أنك بتحبنى..

وقالت دهشة:

- هو ده الحب؟!

- أmaal فاكركه الحب يبقى ايه.. راجل وست فى بيت لوحدهم

ويحبوا بعض... يعملوا ايه؟.. يلعبوا كوتشينه.. يقشروا بصل؟!

- انت عمرك ما فهمتنى ان الحب كده.. الحب اللى قصصك

كلها بـ ...

وقاطعها صائحا:

- يا ستى تنحرق القصص على اللى بيكتبها..

- ماتقولش كده يا منير..

- انا اللى غلطان.. كنت ناسى انك عيلة صغيرة.. راجل زى

عنده ثمانية وثلاثين سنة ما يصحش يعرف بنت عندها

سبععشر سنة..

- انا عندي تمنعشر وثلاثة شهور..

- برضه لسه صغيرة..

وقالت وهى تحاول ان تحتفظ بهدوئها:

- غلطتك انك مش قادر تفرق بينى وبين اخواتى.. الجو اللى

شفته فى بيتنا اداك فكرة غلط عنى!!

قال وهو لا يزال ثائرا:

- مالهم اخواتك.. على الأقل مش معقدين الدنيا زى ما انت

معقداها!!

قالت وكأنها تعاتبه، وقد بدأت الدموع تطل من عينيها:

- انا مش معقدة الدنيا، الدنيا هى اللى معقدانى.. وما كنتش

منتظرة منك انك تقوللى كده!!

ونظر اليها.. الى الوجه البرئ الذى تعذبه الحيرة، والى العينين المخضلتين بالدموع، والى الشفتين المرتعشتين فى ضعف.. فأحس باليأس والندم.. اليأس، لأن الفتاة أقوى ان تلين بسهولة.. والندم لأن الخطة التى وضعها كانت تحتاج الى وقت اكثر مما قدر لها...

ماذا كان عليه لو انتظر هذه الليلة ايضا، حتى يزداد اطمئنانها اليه..

لقد تعمد ان يصبر عليها طوال الاسابيع الطويلة التى مرت وهما يتحادثان فى التليفون.. لم يدعها الى بيته، ولم يطلب رؤيتها، بناء على خطة موضوعة، حتى تثق به، وحتى تخطو هى الخطوة الأولى نحوه..

وقد خطت فعلا الخطوة الأولى.. واستقبلها بعد ان اخفى زجاجة الويسكى متعمدا، حتى يشعرها باحترامه لها.. ولكنه افسد كل خطته بتلفه على تقبيلها وبالاتقياد الى اعصابه الضعيفة التى لم تتعود مقاومة الجمال..

وأعاد زجاجة الويسكى الى مكانها قبل ان يفتحها..

وسكت طويلا.. وتركها تجفف دموعها..

ثم قال وهو يبدو متأثرا:

- انا فعلا غلطان يافايزة.. وغلطتى انى كنت صريح مع نفسى ومعاكى.. وما عملتش حسابك، نسيت انك بتسيئى الظن بكل الرجاله حتى انا.. ارجوكى ما تزعليش منى.. وأعدك ان اللى حصل مش حيتكرر تانى..

وقالت وهى تحاول ان تخفف عنه، وقد امتلأ قلبها حنانا:

- انا ما زعلتش منك يا منير، متهياالى انى عمرى ما حازعل
على منك، وعمرى ما أسىء الظن بىك.. مين عارف.. يمكن انا
اللى غلطانه.. انا مش فاهمه نفسى!!..
قال وهو لايزال متأثرا، وصوته جادا:
- انت مش غلطانة يا فايضة.. انت على حق.. انا اللى غلطان..
واكرر اعتذارى!
- تأكد انى مش زعلانة..
وسكت.. ولم يدعها الى الجلوس ليريحها من وقفها، وظل
واقفا بعيدا عنها، لا تلتقى عيناه بعينيها...
وشعرت كأنه لم يعد لديها شىء تقوله.. وان كل مواضيع
الحديث له أغلقت فى وجهها..
فقالت.. وهى تمد يدها وتلتقط حقيبتها:
- اظن لازم انزل دلوقت، قبل ما تأخر..
ولم يرد عليها.. وتركها تلتقط حقيبتها وتسوى خصلات
شعرها التى نزلت فوق جبينها، وتصلح من ثوبها..
ثم لما تقدمت نحو الباب، تقدم خلفها ومد لها يده مودعا..
وقالت وهى تلتقط يده:
- ما تزعلش منى يا منير.. حاول تفهمنى!
- انا مش زعلان.. وفاهمك كويس..
- أمال مالك مبوز كده؟..
- عندى حالة تائيب ضمير..
- سلامة ضميرك.. قل له انى مش زعلانه علشان يستريح.
- حاضر..

- اسأل عليك بكره فى التليفون!!...؟

- طبعاً..

- علشان على الأقل اطمئن على صحة ضميرك..

وابتسمت كأنها تدعوه للابتسام معها..

ولكنه لم يبتسم..

وخرجت..

وعذبها فكرها.. طول الليل..

كانت تستعرض كل ما حدث.. كل كلمة وكل حركة.. ولم تكن

تحاول ان تلومه.. بل كانت تحاول ان تجد عذرا له.

ولم تجد له عذرا إلا فى ان تتهم نفسها بأنها ليست فتاة

طبيعية، وان فيها شيئا ناقصا.. ربما كان شيئا فى تفكيرها، او

شيئا فى طبيعة تكوينها او شيئا فى الحياة التى تحيط بها.

لماذا لم تتحمل قبلاته!!؟..

لماذا لا تبادل هذه القبلات!!؟..

انها تعلم ان اختيها توزعان قبلاتهما على الرجال بنفس

الكرم الذى توزعان به اقداح القهوة وكؤوس الويسكى، دون ان

تترك هذه القبلات اثرا.. فلماذا لا تكون كأختيها!!؟

لماذا تحمل القبلة كل هذه المعانى المقدسة؟..

ولماذا تتهمه بأنه كان يريد اكثر من تقبيلها!!؟

ثم انها تحبه.. تحبه قبل ان تراه وتحبه اكثر بعد ان رآته..

فلماذا لا تترك نفسها للحب يفعل بها ما يشاء، لماذا يتدخل

تفكيرها فى كل شىء يريده قلبها؟.. ولماذا يقفز فى رأسها الف

جندى شاكى السلاح ليضدوا كل رجل يقترب منها، فيحاول ان يفتح امامها ابواب الحياة.. الحياة التى تنعم بها اختاها وأمها!؟..

وانتهى الليل دون ان تصل الى شىء ودون ان تفهم شيئاً من نفسها..

وقامت فى الصباح التالى ضعيفة منهوكة القوى.. تكره الدنيا كلها..

وفى الساعة الحادية عشرة امسكت بسماعة التليفون، ولجأت اليه كانه الأمل الوحيد لها فى الظلام الذى يحيط بها.. ووجدته ملولاً لا يطيق الحديث.. واعتذر بأنه على موعد هام.. واتصلت به مرة ثانية.. وثالثة.. ورابعة.. عشرات المرات..

ولكنه كان دائماً بارداً فى حديثه، متحفظاً، يحول حديثه دائماً الى قصصه وإلى أعماله الأدبية، ولا يتحدث عن نفسيهما أبداً. ثم كانت فى احيان كثيرة لا تجده وتحس انه ينكر نفسه، ولكنه فى الوقت نفسه لم يخلق امامها ابواب الأمل، كان دائماً يترك لها شيئاً تسعى وراءه من اجله.. كلمة او كلمتين.. يحتمان عليها ان تتصل به ثانية..

واشتدت بها الحيرة..

ولم تعد تطيق وحدتها.. كانت تقضى النهار كله تطوف وراء اختيها تحاول ان تفتح معهما موضوعاً لحديث.. ولكنها لم تطلعهما على سرها أبداً، ولم تحاول ان تستشيرهما فى حيرتها، ولم تعلم واحدة منهما بما بينها وبين منير، كما ظلت حريصة على ألا تشترك فى سهرات الليل التى تقام فى البيت.. انما خصصت ليلها لعذابها..

وكانت فى حجرة اختها فوقيه - ذات نهار - جالستين على الفراش، وكانت فوقيه قد اخرجت صندوق حليها تقلب ما فيه. والتقطت فايزة خاتما من داخل الصندوق ووضعتة فى اصبعها واخذت تنظر اليه معجبة به، ثم قالت لأختها:
- الخاتم ده حلو قوى يا فوقيه.. ما شفتوش معاكى قبل كده..

وقالت فوقيه فى لهجة طبيعية:

- ده هدية من منير حلمى..

وقالت فايزة كأنها لم تسمع:

- من مين؟!..

- من منير حلمى.. اللى بتعجبك قصصه..

وتعلقت عينا فايزة فى الهواء كأنها عينا مخنوق، وقالت

هامسة فى صوت محشرج:

- مش معقول..

- ليه.. ده طول عمره كريم معايا..

- مش معقول..

وكان فوقيه اغتاظت من سداجة اختها فصرخت فيها:

- هو ايه ده اللى مش معقول؟..

وتحركت عينا فايزة وصرخت فى وجه اختها كأنها تندب

نفسها:

- انت كدابة.. منير حلمى عمره ما جابلك هدايا..

وردت فوقيه صرخة اختها:

- ليه؟.. كتير على منير حلمى والا ايه؟.. اكمنه بيكتب

قضى.. ده انت عبيطه قوى يا اختى.. تحبى اجيبك محمد
التابعى بجلالة قدره لغاية عندى.. تحبى اجيبك يوسف
السباعى ببذلته الرسمى.. تجى افرجك على الصاوى ماشى
على رجليه ويديه.. اندهلك احسان عبدالقدوس باشارة من
صباغى وأحبسه تحت رجليه ثلاث شهور.. ولا يعنى علشان
بيكتبوا فى الجرائد وناس مشاهير.. كلهم رجاله يا حبيبتي، وكل
الرجالة بيحبوا هدايا..

- كلهم إلا منير حلمى.. انت كدابه.. ستين كدابه!!..
- انت اتلطشتى فى عقلك ولا ايه.. ده أنا با عرفه بقالى
أشهر وكل يوم والتانى بيقعد بيوس فى أيديه، ومسمينى
«ملهمته».. تحبى اثبت لك..
وقامت فوقية ورفعت سماعة التليفون.. وأدارت الرقم.
ولا حظت فايضة أنها أدارت رقم منير حلمى بالضبط.. ودون
ان تبحث عنه فى الدفتر.. ثم سمعت فوقية تتكلم:
- منير.. ازيك يا حبوب..

- لآ.. الليلة مش فاضية!!..
ولم تسمع فايضة شيئاً بعد هذا، وجحظت عيناها وأحست أن
ظلاماً هائلاً مخيفاً يقترب منها شيئاً فشيئاً، ثم يلفها ويدور بها
فى دوامة عنيفة قاسية..
وارتمت على الفراش..
وأقذنتها دموعها.. فأخذت تبكى، وتشد شعرها بيدها، وهى
تهمس كأنها لا تريد أن يسمع أحد بمصيبتها:
- السافل.. السافل.. السافل..



وعرفت فوقية ان اختها فاييزة تحب الاستاذ منير حلمي، أو
ان بينها وبينه شيئاً... شيئاً جدياً خطيراً..
ونظرت اليها في اشفاق، وهي لا تزال منطوية فوق الفراش
تبكي وتشد شعرها بيديها، وقالت في صوت يقطر أسى ولوعة
على شقيقتها:

- بس يا فاييزة.. بلاش جنان.. حد يعمل كده!..
ومدت يدها تربت على ظهر اختها كأنها تنفض من فوقه
ذرات الشجن.. فاستدارت لها فاييزة وأزاحت يدها في عنف،
وهي تصرخ من بين دموعها:
- سيبييني .. أبعدى عني.. مش عايزه أشوفك .. مش عايزه

اقعد فى البيت ده.. حرام عليكم يا اخواتى.. حرام عليكم
تعملوا فيه كل ده!!..

- بس اعقلى يا حبيبى.. أنا اختك يا فايزة.. هدى نفسك
وقوللى على كل حاجة!..
وصرخت فايزة:

- لا انتى اختى ولا اعرفك.. ومش حاقولك على حاجة..
كفاية.. يا ناس!..

وقالت فوقية كأنها تحدث نفسها:

- يعنى ما يجيش اول بختك الا فى منير حلمى!!..
وعادت فايزة تصرخ كأنها جنت:

- ما تجبش الاسم ده على لسانك.. ارحمىنى وارحميه..
حرام عليكم يا اخواتى!..

وقالت فوقية وهى تحاول ان تستدرج أختها:

- أيوه انت تستحقى الرحمة.. انما هو ما يستحقش الا
النار.. ده راجل مش مخلص واحدة ست.. زى التعبان.. يفضل
يدخل ويدخل لغاية ما يقرص.. وقرصته بالسم!..
ونظرت فايزة الى أختها فى حقد كأنها تحاول ان تخنقها
بنظراتها، وقالت وقد تبخرت دموعها فى نار حقدها:

- انتم الثعابين.. ماله منير حلمى.. ذنبه ايه؟.. اذا كان ملاك
انتم اللي فسدته.. واذا كان راجل انتم اللي اترميتوا عليه
وخسرتوه.. عايزاه يعمل ايه علشان تبعدوا عنه؟.. يضربكم
بالكرابيج.. ينشكم زى الدبان!..
وصرخت أختها فى وجهها:

- اخرسى قطع لسانك.. آل دبان آل.. ده فضل يجرى ورايا
لما حفيت رجليه.. ما خلاش حاجة ما عملهاش..
واستطردت وهى تفتح دولا ب ملابسها وتخرج منه قطعة من
الفراء:

- .. شايفه الفرير ده.. هديه من جنبه ذكرى أول نظرة!!...
وشايفه الفستان ده هدية من الكاتب الكبير ذكرى أول
ابتسامة!!... والخاتم اللى شفتيه هدية أول لقاء!!... انت فاكرانى
عبيطه زيك ولا ايه.. عبيطه زى اللى بيقرأوا قصصه.. وكلامه
الفارغ ويجروا وراه.. لا يا حبيبتي.. انا فاهماه كويس، وهو
فاهمنى كويس.. لا يضحك على ولا اضحك عليه.. كل شىء
بالأصول.. ويا قلب مادخلك شر!!..

قالت فايضة فى صوت خفيض وقد هدأت عيناها، وعادتها
نوبة من نوبات ذهولها:

- انا ومنير حلمى ضحيتكم.. كان فاكرنى زيكم.. كان
فاكرنى بابيع نفسى زى مايبتبيعوا نفسكم.. علشان كده ما
قدرش يحبنى.. الخاين.. السافل.. السافل..

وعاود فوقيه الاشفاق على اختها وهى تراها فى ذهولها..
وجلست بجانبها على حافة الفراش، ولفت ذراعها حولها..
وقالت وكأنها تحاول ان ترفه عنها:

- أهو ما فيش حاجة صدق قولتيها إلا انه سافل.. ده سافل
وستين سافل. مايكسرش سمه الا اللى اسفل منه.. انما مش
عيب يا فايضة تقولى على اختك انها بتبيع نفسها!!... بأه انت
مصدقة ان فيه راجل مهما دفع يقدر يطولنى.. يا اخى ده بعده!!...
ولم ترد فايضة، انما مالت برأسها على كتف اختها وبدأت

دموعها تنهمر من جديد، واستطردت فوقيه:

- بس يا حبيبتي.. كان لازم تعرفى الرجالة زى ما عرفتكم..
كلهم كلاب.. انما ما قلتليش.. انت تعرفى منير من امتى؟!..

وقالت فائزة كأنها تناجى حبها:

- طول عمرى.. من يوم ما مات بابا ما كنتش باحترم حد الا
منير حلمى.. كنت اقفل على نفسى الباب وافضل طول الليل اقرا
قصصه واكلمه واشكيله..

وقاطعتها فوقيه:

- أهو بابا الله يرحمه ما كنتش على حق إلا لما كان يمنعنا من
قراية القصص.. يظهر انه كان حاسس ان واحدة من بناته
حتندب فى قصة من دول.. انما قوليلي.. ما قبلتهوش ابدا ما
شفتهمش.. احكيلى يا حبيبتي!!..

وارتفع نشيج فائزة وأخذت تبكى فى حرقة، وشهقاتها تكاد
تمزق انفاسها.. وارتسمت علامات الالهة والحيرة على وجه
فوقيه، وكأنها ظنت ان ما حدث لأختها شىء خطير.. وقالت وهى
تريد ان تطمئن:

- ايه بس اللي حصل يا فائزة طمنينى!!..

وقبل ان تتمكن فائزة من ان تسيطر على شهقاتها لترد على
اختها، دخلت امها.. ونظرت الى ابنتيها فى تساؤل، وقالت فى
لهجة صارمة كأنها واثقة من انها تستطيع دائما ان تسيطر على
كل موقف:

- جرى ايه يا بنات.. مالكم كده قاعدين زى شحاتين

السيدة؟!..

وقالت فوقية كأنها تستغيث بأمها:

- والله ما انا عارفه يانينه.. فايضة محيراني خالص!!..

وقالت الأم:

- جرى ايه يا فايضة.. بتعيطى ليه على الصبح.. خير ان شاء

الله!!..

وارتفع نشيج فايضة وأخفت رأسها فى صدر اختها دون ان

ترد..

وقالت فوقية فى اختصار:

- بتحب!!..

وقالت الأم وهى لم تقدر بعد خطورة الموقف:

- وهو اللي يحب يعيط.. ايوه ده انا كنت بأدعيلك ليل ونهار

ان ربنا يملك على راجل يفرد وشك اللي معقدها فى وشنا وانت

داخله وخارجة..

وقالت فوقية وكأنها تنبه أمها الى أمر خطير:

- بتحب منير حلمى!!..

وخبطت الأم على صدرها وشهقت قائلة:

- منير حلمى!! هو الراجل حياخد العيلة مقاوله ولا ايه؟

وما لقتيش إلا منير حلمى ياست فايضة.. ايوه ابتدى بواحد

على قدك!!.. ده انا نفسى لما اسلم عليه اعد صوابعى.. شوفى

الراجل الدحلاب يا اختى.. أتاويه مش راضى يجى البيت، وكل

ما نعزمه يعزمننا هو عنده.. آل من كرمه آل!!..

وجذبت توحيدة مقعدا ووضعتة امام ابنتيها الجالستين فوق

الفراش، وجلست عليه وهى لاتزال تتكلم:

- والأكاده ولا جاب لنا سيرة.. ولا نطق باسمها كان يلعب
على الأختين.. يا خى لعبت النار فى نافوخه.. احكى يا فايضة
احكى.. قوللى على كل حاجة، من طقطق اسلامو عليكم!
ولم ترد فايضة وظلت تستغيث بشهقاتها فى بحر دموعها.
وقالت فوقية:

- من ساعة ما عرفت انه بيعرفنى وهيه بتعيط.. ومش راضيه
تقوللى حاجه.. انا عارفه الراجل عمل فيها ايه؟
وقالت توحيدة:

- عمل أما يخسفه قرد.. ده لو عمل حاجه فى بناتى ما
اسيبه الا فى تربته!

ومدت يدها، وامسكت فى ذراع فايضة فى رفق، وابعدتها عن
صدر اختها، وهى تحاول ان ترفع وجهها وتنظر فى عينيها:
- ايه اللى حصل يا فايضة؟

وفجأة ثارت فايضة كأنها جنت، وجذبت ذراعها من يد امها
وقامت واقفة وشعرها مهدل فوق وجهها، وصاحت:

- عايزين تعرفوا ايه؟.. عايزين تعرفوا جابلى هدايا اد ايه؟
ماجبليش!.. عايزين تعرفوا بيحبنى اد ايه؟.. مايبحبنيش!
خلاص.. مش عايزه اعرفه.. خدوه واشبعوا بيه..

وخطت نحو باب الغرفة تريد الخروج فأمسكت بها امها فى
عنق، وقالت فى حزم وهى تهزها من كتفيها:
- فايضة.. انا عايزة اطمن عليكى..

وضحكت فايضة ضحكة هستيرية كأنها جنت، وصاحت:
- اشمعنى انا اللى عايزه تطمنى على.. ما بتطمنيش على

خديجة وفوقية ليه؟.. ولا ما حدش له شرف فى البيت ده الا انا؟!
وبلا وعى دفعت توحيده كفها السمين وهوت به على وجه
ابنتها، وهى ترد صرختها بأعلى منها:

- خديجة وفوقية اشرف بنات البلد كلهم.. ما فيش راجل
يقدر يقول انه خد منهم حاجه.. الدور عليكى انت يا سهتانة
ياللى ما حدش عارفك رأس من رجلين..

وضعت فايضة يدها على خدها فوق موضع الصفة.. وكتمت
شهقاتها ودموعها، وأخذت تعش كلها كأنها بركان يهدد
بالانفجار بينما امها لا تزال ممسكة بها فى قوة حتى لا تفر من
اماسها..

واطالت فايضة النظر الى امها وكأنها فى دهشة، وكأنها لا
تصدق ان امها قد صفعتها..

ثم فجأة سقطت على الارض فوق ركبتها ودفنت رأسها فى
حجر امها، وانفجر البركان فى دموع كماء النار، وقالت وحروف
كلماتها لا تكاد تتصل بعضها ببعض:

- اطمنى يا نينه.. حتى البوسة ما هنتوش بيها.. اطمنى يا
نينه، بنتك مافيش حاجه معذباها الا شرفها!

وارتخت يد الام الممسكة بابنتها..

وهدأت اسارير وجهها.. وانحنت تقبل رأس فايضة.. وتحيطها
بذراعيها، وهى تقول فى حنان واشفاق:

- طمنتينى يا بنتى، الله يطمئك.. بس يا حبيبتي.. كفاية
دموع حرقت نفسك.. قومى يا ستي اغسلى وشك.. وريحى
نفسك.. وكل حاجه حلتصلح بانن الله.. اللى تعب قلبك حاتعب

عيشته.. ويكره تشوفى!!

وقامت فايضة وخرجت من الغرفة وقدمهاها تتعثران فى
دموعها..

وقالت توحيدة:

— قومى يا فوقية مع اختك.. نيميها فى سريرها واعملى لها
فنجان شاي.. البنت يا حبت عيني هلكت من العياط، الله يهلك
اللى كان السبب!!

وقبل ان تخرج فوقية من الغرفة قالت لها امها وقد بدت على
وجهها علامات تفكير خطير:

— ابقى تعالى تانى يا فوقية.. علشان عايزاكى؟!



ودخلت فايضة غرفتها.. ووقدت فى فراشها، ولم تكد اختها
تضع بجانبها قدح الشاي وتخرج، حتى قامت من فراشها
وأغلقت الباب بالمفتاح..

وغادت الى فراشها..

لم تبك.. اذ لم يبق فيها دموع..

ولم تنم.. كان كل شىء فيها هامدا محطما الا ذهنها، لا يريد
ان يهدم، ولا أن يكف عن نشاطه..

كانت الأفكار تطوف بها دون ان تتوقف، أو تطوف هى
بالأفكار دون ان تقف عند واحدة منها.. ثم كانت تسمع صوت
منير وهو يقول لها مناجيا «انا حاسس انى مش حاقدر استغنى
عنك ابدا» فتطل من عينيها نظرات ساهمة، وتكاد شفتاها
تنفرجان عن ابتسامة، واذا بصوت يرتفع من جوفها يصرخ

«كذاب.. كذاب».. فتضرب الوسادة بقبضتها.. كأنها تضرب بها على صدره أو كأنها تضرب خيالها لبيتعد عنها..

وتهدأ قليلاً.. ثم تسمع صوته من جديد عندما كان يقول لها: «انت الخيال اللي باكتبه، وانت الحقيقة اللي باعيش فيها» وتكاد تستسلم للصوت العميق الذي يناديها، ولكن الصراخ ينبعث من جوفها مرة ثانية: «كذاب.. سافل» فترفع طرف اللحاف وتغطي به وجهها كأنها لا تريد ان ترى الحقيقة.. وتعض عليه بأسنانها كأنها تقاوم ألماً عنيفة تمزق اعصابها..

وكانت ترى بخيالها اختها فوقية وهي في بيته.. جالسة بجانبه على الأريكة.. وتراه يلف وجهها بأنفاسه الساخنة.. نفس الأنفاس التي أطلقها على وجهها عندما ذهب الى.. وتراه يلصق شفتيه بشفتي فوقية، ويحيط خصرها بذراعيه ويتحسس نهدتها بكفيه باحثاً في ثوبها عن منفذ لأصابعه الى لحمها.. و... و..

ماذا فعلت فوقية في هذا الموقف؟

هل نفرت منه كما نفرت هي؟..

ام استسلمت وأعطته من نفسها ما شاء؟..

ورن في خيالها صوت أمها وهي تقول:

- «خديجة وفوقية اشرف من بنات البلد كلهم»!!..

ماذا تقصد امها بـ «الشرف»!!؟

وهل يكفي ان تبقى الفتاة عذراء لتكون شريفة!!..

هل كل شيء مباح.. كل شيء.. ما دامت الفتاة لاتزال

عذراء!!؟..

هل كان يمكنها ان تمنحه شفتيها ونهدتها.. ثم تخرج من

عنده شريفة لأنها لاتزال - نراءء!.

هل هذا ما تريده امها لبناتها.. ان يسهرن الليالى مع الرجال، ويبادلنهم كؤوس الخمر، ويمنحهم متعة من اجسادهن لقاء هدايا.. ثم تتباهى بعد ذلك بأن بناتها «أشرف من بنات البلد كلهم»، لأنهن لايزلن عذارى!!.

وأحست بالحقد يزحف على صدرها.. الحقد على امها.. والحقد على اختيها، ، والحقد على البيت الذى تعيش فيه.. واستبد بها الحقد حتى قبضت على خصلات من شعرها وأخذت تشدها بعنف.. كأنها تريد ان تنزعها من رأسها.. كأنها تريد ان تنزع رأسها كله من فوق جسدها حتى لا تفكر. وحتى لا تحتار وحتى لا تتعذب..

واشتدت بها الحيرة.. واشتد بها العذاب، فانكفأت تدفن وجهها فى الوسادة وتدق عليها بقبضتيها، وتهمس بين انفاسها المتلاحقة كعادتها كلما ضاقت بها الدنيا: «يا حبيبى يا بابا.. انت فين.. عشان تشوف بنتك وعذابها»!!

ورغم ذلك لم تبك.. لم تسعفها دموعها.. كانت قد فرغت منها الدموع.. ولم تجد النار المشبوبة فى رأسها ما يطفئها. ولكنها فى خلال كل هذه النار، لم تحقد عليه كما حقدت على بيتها وعلى الدنيا كلها..

كانت تتمنى ان تحقد عليه، وكانت تتحايل على نفسها لتكرهه، وكانت متأكدة من انه «سافل» ولكنها كانت تجد دائما عذرا لسفالته!!

وكان عذره الوحيد -فى تفكيرها- انه يعتقد انها كأختيها وكأمها..

انه يعتقد ما يعتقدہ الناس جميعا.. وما تؤيده سمعة العائلة كلها..

ان واحدا -حتى هو- لا يريد ان يصدق ان الشرف فى نظرها شىء آخر غير ما تعتقد امها وأختها.. وانها تريد ان يبقی كل مافيه عذريا.. شفقتها ووجنتها ونهداها حتى اطراف اصابعها..

وبدا هذا العذر الذى نلتمسه له، ينقلب الى نوع من الدفاع عن الكرامة.. كرامتها!!

يجب ان يعترف بأنها ليست كأمتها وأختيها!!.. هو.. قبل كل الناس.. يجب ان يعرف ان حبها عف طاهر برىء، لا تنتظر من ورائه هدايا، ولا ينتظر ان تردها له متعة.. يجب ان يعرف أنها أشرف من خياله الذى يكتبه فى قصصه.. أنها أشرف من جميع بطلات قصصه اللاتى تنتهى حياتهن دائما بالزواج.. أو بالانتحار!!.. وكانت الساعة قد وصلت الساعة مساء.. وقامت من فراشها.. وهى تحس انها يجب ان تسترد كرامتها..

ولم تحاول ان تخرج لأمتها ولأختيها لتسألهن، ماذا فعلن فى مصيبتها.. انما وقفت امام المرأة وهى نصف مدهولة، وارتدت اول ثوب التقطته يدها، دون أن تدري ان كان لونه أحمر فى لون افكارها، أم ابيض فى لون قلبها.. وساوت من نفسها قدر ما استطاعت، ثم التقطت حقيبتها، وفتحت باب غرفتها فى بطة.. كأنها لا تريد احدا ان يسمعه وهو يفتح ثم سارت على اطراف

قدميها.. وهى تنظر حولها كأنها لصة تقدم على جريمتها الاولى.
وسارت بضع خطوات، ثم انحرفت بسرعة لتدخل المطبخ.
وفتحت باب المطبخ المؤدى الى سلم الخدم. ونزلت منه.. دون
أن يراها احد!!..

وعندما اصبححت فى الشارع نادى احدى سيارات الاجرة.
وألقت بنفسها فيها، وقال للسائق وهى تلتقط انفاسها:
- الزمالك يا أوسطى..
وقفت بها السيارة امام العمارة التى يسكنها الاستاذ منير
حلمى..

وشاهدها البواب وهى تدخل، فلم يقف لها.. فليس كل من
يمر أمامه يستحق احترامه!!..
ووجدت نفسها وهى لا تزال فى نصف ذهولها- داخل
المصعد.. ثم امام باب الشقة رقم ١٢، ثم وجدت نفسها تضغط
على الجرس.

وفتح لها «السفرجى».. ونظر اليها متسائلا.. ونظرت اليه
برهة وكأنها لا تراه، ثم قالت:
- الاستاذ موجود؟..

وابتسم «السفرجى» كأنه فهم شيئا، وقال وهو يوسع لها
الطريق الى داخل الشقة:
- اتفضللى يا افندم!!..

ووجدت نفسها فى الحجرة التى تعرفها.. المقعد الذى جلست
عليه.. والاريكة التى حاول ان يقبلها فوقها.. والمائدة الصغيرة،
انها لا تحمل زجاجة ويسكى ولا علبة شيكولاته، كما رأتها فى

المرتين السابقتين!!..

وانتبهت الى نفسها . وكان انتباهها فى عنف، كما انتباه المجرم
عندما يجد نفسه فى مكان جريمته!!.. وأحست انها فقدت كل
الاسباب التى دفعتها الى المجيء!!..

لماذا جاءت!!..

وماذا تقول له!!..

وتمنت ان تفر من هذا المكان.. واستجمعت كل ارادتها لتعود
من حيث أتت.. ولكنها لم تستطع، كانت كأنها قد سمرت فى
مكانها، ثم لما استطاعت اخيرا ان تنقل قدميها، اسقطت نفسها
فوق المقعد، ووضعت رأسها فوق كفها وهى تحس بضجة... بقة
فى نفسها لا تتبين منها شيئا..

وظهر الأستاذ منير حلمي، مرتديا -كما تعودت ان -
قميصا وسروالا وسترة منزلية، وما كاد يراها حتى تجهم :
وقال فى لهجة قاسية كأنه يحدث خادمتة:

- انتى!!.. ايه اللى جابك!!..

ورفعت اليه عينين صامتين، واستطرد قائلا:

- أظن الست والدتك زمانها جايه وراكى ومعاها البوليس...
كفهاش الفضيحة اللى عملاها من الصبح لغاية دلوقت..
وتكلمت فى صوت خفيض ذليل:

- أنا أسفة.. و..

وقاطعها:

- نينتك فين دلوقت.. عايز اعرف المصايب اللى بتدبرها..

ماهى اصلها زى رومل أيام الحرب.. عمر الواحد ما يعرف

خبطتها حتى منين؟!..

ونظرت اليه بعينين ملؤهما العتاب، وقالت وهى لم تستجمع
بعد كل ارادتها:

- نينه ما تعرفش انى جايه هنا.. ما حدش فى البيت كله
يعرف!!..

ورأى الصديق والبراءة فى عينيها، وأحس فى قرارة نفسه
وازعا يدعو الى تصديقها، فهدأت أعصابه وجلس قبالتها، وهو
يشعل سيجارته، ونظر اليها من خلال الدخان كأنه لا يزال
محترسا، وقال:

- وانتى جايه ليه.. مش كفايه اللي عملتيه.. دى آخره ثقتى
فيكى؟!..

- انت السبب..

- مش انتى اللي رحت قلت لنينتك على كل حاجة؟!..

- غصب عنى.. ما استحملتش اعرف انك بتعرف فوقيه..

وسكت قليلا وهو يسحب دخان سيجارته، فاستطردت فى
صوت ساذج:

- انت بتحبيها؟..

وابتسم كأنه يسخر من سذاجتها، واتسعت ابتسامته حتى
كاد يضحك ثم قال فى اشفاق:

- أنا عمري ما حبيت!!..

ونظرت اليه فائزة متسائلة وكأنها لم تسمعه.. فعاد يكرر:

- صدقيني.. أنا عمري ما حبيت!!..

وقالت متسائلة وكأنها تذكره بشيء ربما يكون قد نسيه:

- عمرك؟! ..

وأجاب فى تأكيد :

- عمرى!!

وطافت سحب من الحزن وخيبة الأمل على وجه فايضة..
ونسيت كل شىء متعلق بأختها، وقالت وهى لا تنظر اليه:

- لكن انت ما فهمتنيش كده!!..

- فهمتى ايه أمال؟..

ورفعت اليه عينيها فى قسوة وكأنها تتحداه:

- فهمت انك بتحبنى.. قللتى بيقك واحنا قاعدين على الكنبه
دى انك ما تقدرش تستغنى عنى.. وانك مريض وأنا الدوا.. وأنى
أنا خيالك وحقيقتك.. وكلام كتير لسه فاكره كلمة كلمة..

وقال فى اهمال:

- يجوز.. مش فاكر!!..

قالت وقد بدأت تتور:

- يا سلام.. الكلام ده رخيص عندك للدرجة دى.. لدرجة انك
مش فاكر بتقوله امتى ولين!!..

- بالعكس.. ده كلام غالى.. انما مش بأقوله لك.. ولا لأى
واحدة.. بأقوله دايمًا لنفسى.. يوم ما قتلتك الكلام ده ما كنتش
باحاول اقنعك انت بيه.. انما كنت باحاول اقنع بيه نفسى.. اقنع
بيه عواطفى علشان تتجاوب مع الموقف اللى انا فيه.. علشان ما
أحسش انى مجرد حيوان... عارفه الفرخة لما يقدموها للأكل فى
طبق فضه ومزوقه وحواليها «جارتير» أهو الكلام اللى سمعته
منى هو الطبق الفضة وهو الزواق، وهو «الجارتير»..

وقاطعته وعيناها تتقدان نارا!
- وأظن انا أبقى الفرخه..
قال ساخرا:
- بالضبط.. أهو بدأت تفهمينى.. حضرتك تبقى الفرخه!!
- وطبعاً كنت عايز تاكلى!!
قال فى هدوء:
- فعلاً!!
قالت فى صوت محشرج:
- انت مجرم.. انت حيوان..
ثم انفعلت قائلة:
- مش ممكن.. مش ممكن انك انت اللى تقولى الكلام ده..
لازم عايز تكرهنى فيك!!.. لازم نينه طلبت منك انت تكرهنى
فيك!!..
ونظر اليها كأنها يعجب من براعتها، وارتسمت على وجهه
علامات الاشفاق كأنها ابنته التى تتعذب، وقال:
- أظن انتى فاكركه انك بتحبينى!!
وقالت وقد بدأت دموعها تخفف عنها:
- كل ده.. ولسه بتسألنى!!
- غلطانه.. انت ما بتحبينيش.. انت بتحبنى خيالى.. بتحبنى
الصور الخيالية اللى بتشوفها فى قصصى.. عارفه البنات اللى
بيحبوا محمد عبدالوهاب علشان بيتنهد فى أغانيه وبيقول يا
لوعتى.. يا شقاي.. ولا البنات اللى يعلقوا فوق السرير صورة
عماد حمدي لأن كل واحدة فيهم فاكركه نفسها فاتن حمامه اللى

كانت بتحبه فى الفيلم.. اهو انتى زيه.. وكلكم ما بتحبوش..
 مافيش واحدة بتحب عبد الوهاب.. ولا واحدة بتحب عماد
 حمدى.. ولا واحدة بتحبى.. ويمكن لو واحدة قعدت مع واحد
 فينا يومين على بعض تطفش من وشه ومن الدنيا كلها..
 قالت وهى تجفف دموعها وكأنها بدأت تشفق عليه:
 - أنا ما حبتكش علشان قصصك.. أنا حبيتك بعد ما
 عرفتك..

وقاطعها كأنه يحدث نفسه:

- وحتى لو حصل وواحدة حبتنى.. حبتنى صحيح.. عمرى
 ما حاحس بحبها.. وعمرى ما حاصدق انها بتحبى.. عارفه
 الراجل الغنى اللى معتقد ان الناس كلها بتعرفه علشان فلوسه..
 اهو انا معتقد ان الناس كلها بتعرفنى علشان قصصى، والبناات
 بتحبى علشان قصصى.. ماحدث بيحبى علشان نفسى
 بقت عقدة نفسية مش قادر اتخلص منها!!
 وسكت ريثما يسحب نفسا من سيجارته وعاد يقول فى
 صوت حزين:

- اذا كنت انتى محرومة من الحنان.. انا محروم اكتر منك
 واذا كنت مش لاقية الحب يمكن حتلاقية بعدين.. انما انا مش
 حلاقية ابدا.. حافظ طول عمرى لوحدى مع خيالى..
 وأطلت من عينيها نظرات ولهى، وشعرت انها يجب ان تنتقذه
 من عقده النفسية.. وقالت وقد داخلها شعور بأنها بطلة من
 واجبها ان تجتاز المخاطر لتتقذ حبيبها، كما انقذت جان دارك
 وطنها فرنسا:
 - واثبتك ازاي انى باحبك.. باحبك علشان نفسك مش

علشان قصصك؟

ونظر اليها من بين عينيه نظرة يختلط فيها الخبث بالثقة فى نفسه:

- الاثبات يكلفك غالى!!

وسكنت.. وذایلها الشعور بالبطولة.. وبدأت تحس بالرهبة والتردد.. وبدأ عقلها ينشط من جديد ويسبق نشاطه، نشاط عواطفها..

ولا حظ سكوتها، فقال وكأنه يجذب آخر خيط فى يده:

- عرفتى انك ما بتحبينيش!!..

وأخذت تعبت بأصابعها فى مسند المقعد دون ان تنظر اليه.. ثم رفعت اليه وجهها فجأة كأنها تذكرت شيئاً.. وقالت:

- وفوقيه اختى اثبتت لك انها بتحبك، علشان تقابلها كل يوم..

قال، وكأنه مل طول الحوار:

- فوقية عمرها ما حبتنى.. وعمرها ما افكرت انى باحبها..

قالت وكأنها تحاسبه على اخطائه:

- وكنت بتقابلها ليه!!؟..

ونظر اليها فى صرامة:

- انتى حا تحاسبينى ولا ايه!!؟.. كنت باقابلها علشان

بيعجبني انى أقابلها..

وبدأت سحب العذاب تتجمع حولها من جديد:

- وانا..

- انتى ما قدرتيش تعوضينى عن فوقية..

- طبعاً ما كنتش منتظر انى اختلف عنها.. اختين من ام

واحدة وعاشين فى بيت واحد والرجالة داخله وخارجة عندهم..
يبقى لازم اكون زيها..

- لو كنت زيها ما كنتيش اتعذبتي العذاب ده كله.. وما
كنتيش عذبتينى معاكى!!..

قالت كأنها تستغيث به:

- وحافضل اتعذب كده على طول؟..

- لغاية ما تعرفى الدنيا..

- وريها لى..

وانتقل من مقعده وجلس على مسندة مقعدها وقال:

- علشان اوريكى الدنيا لازم تثقى فيه!!..

قالت وهى تحس به ملتصقا بها:

- انا كنت باثق فيك لغاية ما عرفت انك ماشى مع فوقيه!!

قال وهو يلف ذراعه حول ظهرها:

- صدقيني ان فوقيه ما تساويش عندي حاجة.. عرفتاه قبل

ما أشوفك.. عرفتاه فى البيت عنديكم. وعمري ما حبيتها.

وأحست بذراعه تضغطها اليه.. وأحست به يميل بوجهه حتى

يسنده فوق رأسها، وقال وكأنه يتنهد:

- انت حاجة.. وفوقيه حاجة تانيه.. ما تقسيش نفسك بيها يا

فايزة.. انت ملاك.. انت اللى حتنقذيني من حرمانى.. حرمان

قلبي وعواطفى..

وأغمضت عينيها لتصدق كلامه..

ورفع وجهه الذى كان يسنده على رأسها، ثم ألصق خده بخدها..

وسكب أنفاسه فى اذنيها.. ورفع يده وأخفاها فى طيات شعرها..

وأحست بشفتيه تقتربان..

ولم تتحرك انوثتها، انما تحرك ذهنها كالعادة، واخذت تفكر:
انه يقترب من شفتيها الآن.. سيقبلها.. ثم ستطوف يداها
بجسدها.. ثم.. ثم.. لماذا؟!!..

وفتحت عينيها تحت الحاح ذهنها.. وابتعدت وجهها عنه قبل
ان يصل بشفتيه الى شفتيها.. وقالت وكأنها توقظه من نشوته:
- لو أثبت لك انى باحبك.. حاثتبت لى انت ازاي انك،
بتحبني؟!!..

قال وهو لا يزال يصر على ان يلصق شفتيه بشفتيها:
- حتعرفى من غير اثبات.. حتعرفى باحساسك..
قالت وهى تبعد وجهها اكثر عن وجهه:
- اشمعنى انت عايز اثبات.. ليه مش قادر تحس انى باحبك؟
وقفز من جانبها كأنه جن، وقال وهو يضرب المائدة بقبضته
فى عصبية:

- بأه ده اسمه كلام يا عالم.. حد فى الدنيا يعمل كده.. انت
ايه.. لوح تلج.. حتى البوسه مش قادرة تستحملها وانت
ساكتة؟!!..

وسكنت وهى لا تزال تنظر اليه كأنها مصرة على ان تسمع
جوابه، وعادت تكرر السؤال:

- حتسبتيلى ازاي إنك بتحبني؟!!..

وانفجر مرة ثانية:

- يا ستى لا أنا عايز منك اثبات.. ولا انت عايزة منى اثبات..
فيه اثبات واحد بس، وهو انك ست، وانا راجل.. ومادام انت

ست وأنا راجل، وينحب بعض، أو حتى متهياً لينا اننا بنحب بعض، يبقى لازم نبوس بعض.. و... و وقاطعته:

- رينا دلنا على الاثبات..
ونظر اليها كأنه لا يفهمها، أو كأنه يبحث عن سرها..
وقال:

- تكونيش عايزه تتجوزيني؟!..
إذا كنت بتحبنى.. و...

وقاطعها وهو يقهقه فى صوت ساخر:

- الله.. الله.. والله عال يا بنت توحيده.. بأه الست والدتك خططها مش حقتنتهى عند حد. سلطت على بنتها فوقية طالعها نازلة بهدايا زى المنشار.. ودلوقت باعتالى بنتها الثانية علشان تتجوزنى وتكمل على.. روحى قولى لأمك يا شاطره ان منير حلمى ما بيكلش من الكلام ده.. إذا كانت فاكركه نفسها رومل..
انا مونتجمرى..

ونظرت اليه فائزة بعينين مفتوحتين كأنها لا تصدق ما سمعت، ثم تصاعدت دماؤها كلها الى وجهها، وقفزت من بين شفتيها صرخة ألم، كأن شيئاً فيها تمزق.. ثم انكفأت على مسند المقعد تبكى وتنشج بصوت عال..

واخذ منير يروح ويجىء فى الغرفة، كأنه شيطان لا يجد منفذا الى السماء، وقال دون ان يلتفت اليها:

- انا متأكد ان توحيده مستنياكى بتاكسى على الباب..
ثم اقترب منها وأمسكها من كتفيها وأخذ يهزها، وهو يصيح

فيها كالمجنون:

- ما تقوليلي الحقيقة يا بنت الناس.. امك ناويه تعمل ايه..
سلطتك على ايه!؟..

وصرخت فأيوة:

- سيبنى أبعد عني.. مش عايزه اشوفك.. خلاص يا ربي.
خلاص.. حرمت يا ربي!!..

وهرعت الى الباب تحاول ان تفتحه..

وجرى وراءها وحقيبتها فى يده يناولها لها وقال فى غضب
وهو يفتح لها الباب:

- مع السلامة!!..

وخرجت تتخبط فى خطواتها.. كأنها ذبيحة لا تزال السكين
فى عنقها..

وأغلق الاستاذ منير الباب..



.. وعادت فايضة الى بيتها ..

ولم تدر كيف عادت .. لم تدر كيف وضعت نفسها فى سيارة
الاجرة .. ولا كيف ألقت للسائق بالعنوان، ولا كيف وصلت الى
باب العمارة التى تقيم فيها .. كانت كأن هناك انسانة اخرى فى
نفسها تقودها، وهى عمياء لا ترى شيئا مما حولها . ولا تحس
بشيء فى تصرفاتها ..

وتنبهت قليلا وهى تفتح باب الشقة، الى الهدوء الذى
يسودها .. لم يكن ينبعث من خلف الباب الضجة المعتادة .. لا
ضحكات، ولا صوت الراديو أو «البيك أب»، ولا جدل
السكرارى .. وما كادت تدخل حتى لمحت امها وشقيقتيها

جالسات فى «الصالة» كل منهن على مقعد، وكل منهن وقد وضعت خدها على يدها، وسادهن صمت حزين.. وما كدن يلمحنها حتى هبت اختها خديجة واقفة وصرخت كأنها استردت حياتها:

- فايضة!!..

ثم احتضنتها بين ذراعيها وضمتها الى صدرها فى لهفة وحنان، وأخذت تبكى وهى تنهه:

- يا حبيبتي.. يا حبيبتي.. الحمد لله.. الحمد لله!!..

وقامت اختها فوقيه، وأخذت تربت على ظهرها وهى لاتزال بين ذراعى خديجة، قائلة:

- اخص عليكى يا فايضة.. برضه تعملى فينا كده!!..

ولم تتحرك الأم من جلستها، انما سحبت علبه سجائرها من فوق المائدة، وأخرجت سيجارة بيد مرتعشة، وأشعلتها بيد اكثر ارتعاشا، وأخذت تدخنها بأنفاس متتالية دون ان تتكلم.. ولم تفهم فايضة شيئا. وأخذت تدير عينيها بين دموع خديجة، ولوعة فوقيه، وصمت الأم، ثم قالت متسائلة فى سذاجة:

- حصل ايه!!..

ورفعت اليها امها عينيها كأنها تصفعها بهما، وقالت:

- الحمد لله.. ما حصلش حاجة.. بس لو كنتى اتأخرتى كمان عشر دقائق كان زمانى دايره فى الشوارع حافية ورأسى مكشوفة، بأتلطم على اقسام البوليس ويسأل عليكى فى المستشفيات!!..

وقالت فاييزة وهى لا تزال تتساءل فى سذاجة:
- انما انا ما اتأخرتش قوى.. الساعة لسه ماجتش تسعة ونص!!
وردت خديجة وهى تضمها مرة ثانية وتقبلها:
- احنا افكرنا.. بعد الشر.. بعد الشر.. بعد الشر افكرنا انك عملتى فى نفسك حاجة!!
وفهمت فاييزة..
كانوا يخافون عليها ان تنتحر.
هل كان يمكن ان تنتحر!!
ولم تستمر فى تفكيرها حتى تجد جواب السؤال، وتنبت على صوت امها:
- تعالى يا فاييزة.. تعالى جنبى هنا.. اقعدى..
واتجهت اليها كأنها تسير فى نومها، وجلست ساهمة، وعادت الأم تتكلم:
- انتى مخبيه حاجه علينا يابنتى؟..
- ابدأ يا نينه..
- ورحمة ابوكى؟..
- ورحمة بابا..
- مصدقاكى.. قوليلى بأه.. كنت فىن لغاية دلوقت؟..
وسكتت فاييزة وطأطأت رأسها بينما أصابع يدها تعبث كل منها بالأخرى، كأن كل اصبع يحاول ان يخلق اصبعاً.. ثم قالت وهى تهم بالقيام:
- والنبي انا تعبانه خالص يا نينه.. بكره احكيلك على كل

حاجة!!..

وأمسكت توحيدة بيد ابنتها وشدتها الى جنبها حتى لا تقوم وعادت تقول:

- اذا كنت تعبانة احنا تعبانين اكثر منك.. انا برج عقلى حيطير بسبب عمايلك.. اهتدى بالله يا بنتى واحكىلى دلوقت خلىنى اعرف انام..

وصممت فايضة قليلا، ثم همست وهى تنظر الى الأرض:

- ما فيش حاجة!!..

وقالت توحيدة:

- ما فيش حاجة ازاي.. واحدة تخرج من أودتها وتنزل من سلم المطبخ زى الحرامية.. يبقى ما فيش حاجة.. كنت بتشمى هوا حضرتك؟ هربت منى علشان تروحي سينما؟
ما تتكلمى يابت، قبل ما تفقعى مرارتى..
وقالت خديجة:

- قولى يا فايضة.. هوه انت لك حد غيرنا!!..

وقالت فوقيه، وكأنها تساعد اختها على الكلام:

- انا متهايا لى انك كنتى عند منير حلمى!!..

وانتبهت فايضة على ذكر اسم «منير حلمى» ونظرت الى اختها فى غضب ولوم، ثم كتمت غضبها ولومها، وعادت تنظر صامتا الى الأرض..

واستطردت فوقيه:

- اصلى ضربتله تليفون واحنا بندور عليكى.. لقيت ان الجرس بيضرب وما حدش بيرد، عرفت انه شايل البريزه..

اصل من عادته كل ما تكون عنده واحد ست يشيل بريزة
التليفون!!.

وظلت فايزة صامته تنظر الى الارض، ونظرت اليها امها
طويلا ثم قالت فى صوت متأثر:

- ارحمينا يا بنتى، وطمئينا ..

وهمست فايزة وهى لا تنظر الى احد:

- فعلا.. انا كنت عند منير حلمى!.

وخبطت الأم على صدرها.. وصاحت:

- الله يخيبك يا فايزة زى ما خيبت املى فيكى.. حد يعمل

كده.. بأه انا ابنى من هنا وانتى تهدى من هنا.. الراجل يعمل

فيكى الغمايل دى كلها ويرضه تروحيه برجليكى.. ايوه استنى

شويه لما اتمكن منه واجيبوا لغاية عندك متسلسل من رقبتة!

وقالت فوقيه:

- النبى دى عبيطة.. حتفضلى طول عمرك مغفلة!

وقالت خديجة تدافع عن اختها:

- ما تطلعوش فيها كده يا ناس.. حرام عليكم.. مش

تستنوا لما نسمع الحكاية كلها..

وقالت فايزة وقد ارتفع صوتها كأنها تحاول ان تتحدى

الجميع:

- ما فيش حكاية ولا نص.. رحتله علشان اسمع منه

كلامه.. علشان اعرف اذا كان بيحبنى ولا بيحب فوقيه..

علشان اعرف كان بيضحك على ولا بيضحك على ولا بيضحك

فوقيه..

وقاطعتها فوقيه:
- بأه ده كلام ناس عاقلين..
وقالت امها وهى تضع أصبعها فوق خدها:
- وعرفت ايه ياروح امك!
ولم تلحظ فائزة لهجة امها المشحونة بالغليظ والكدر...
وقالت:
- وكان فاكرا نى انا واختى بنضحك عليه!.
وصرخت توحيدة:
- آه يا نارى.. آه من «ابن الكلب» الراجل يا اخواتى اكل
عقل البت خلاص.. بأه انتى واختك تضحكوا عليه.. ده يضحك
على عشرة زيكم..
وقالت فائزه وهى تتجاهل صرخة امها:
- كان فاكرا انك انتى اللى باعتانى له..
وقالت توحيدة وهى تضرب بكفها على فخذيها فى عصبية:
- كتر خيره.. كتر الف خيره على حسن ظنه.. فاكرا إن
توحيده عارفه تمسك بناتها.. مش عارف ان فيه واحدة منهم
تقدر تهرب من سلم الخدامين وتروحله لغاية عنده.. من غير ما
اعرف ولا أدري.. آه يا نارى.. ياخيبة املى فيكى يا فائزة
يابنتى.
وقاطعتها خديجة:
- بس.. يا نينه.. انت طول عمرك عارفه ان فائزة على
نياتھا.
واستطردت توحيدة دون ان تأبه بكلام ابنتھا:

- وكنت منتظرة يقولك ايه بأه يا ست فايضة؟.. يقولك انه
بيحبك انتى وما بيحبش فوقيه.. ولا بيحب فوقيه..
وما بيحبكيش.. بأه ده سؤال يتسئل يا اخواتى.. حد يسأل
رجل فى الدنيا سؤال زى ده.. طيب مايحبكوش انتو الاتنين
ليه.. وما بيحبكيش فوقكم عشرة ولا ميه ليه.. خاسس عليه ايه
تسمحي تقولى؟.. يا بت انتى حتفضلى طول عمرك زى القطة
المغمضة.. ما تفتحى وتشوفى الدنيا ماشيه ازاي..

وقالت فايضة وقد عاودها ذهولها، وكأنها انتقلت الى بعيد:
- خلاص.. مش عايزه اشوف حاجه.. يا رتنى ما فتحت
ولا شفت حاجه!!..

ونظرت اليها امها كأنها تتعجب.. ثم قالت:
- طب قومى اتخمدى.. وبكره الصبح ربنا يحلها..
وقامت فايضة فى حركة آلية، وقبل ان تصل الى غرفتها
سمعت خديجة تقول:

- دى ما كلتش حاجه من الصبح يا نينه!!..
وسمعت فوقيه تقول:

- اقوم اعملها ولو سندويتش جبنه!!..
وسمعت امها:

- سييوها.. انا عارفه الصنف ده.. لا حترضى تأكل ولا
تتسمم.. سييوها بس اقلوا الببيان بالمفاتيح، ليطلع فى مخها
تنزل تانى!!..



ورقدت فايضة فى فراشها.. كل شىء فيها نائم الا قلبها

وعقلها..

وأخذت تستعرض ما مر بها كأنها تسأل ليلها رأيها في
نهارها.. ورن في اذنها صوت اختها خديجة وهي تقول:
«افتكرنا عملتى فى نفسك حاجة»..

هل كان يجب عليها ان تنتحر؟..

ولكن.. ما ذنبها ؟!!

ماذا جنت حتى تقتل نفسها؟..

انها لم تخطئ.. ربما اخطأت فى تقدير الرجل الذى
اختارته. الرجل الذى عاشت فى خياله وهربت من حقيقته
ولكنه خطأ لا يكفى للانتحار..

وربما كان الرجل معذورا، فقد حكم عليها بسلوك امها
وأختيها، وأراد منها ما يستطيع ان يأخذه بسهولة من اختها.
ترى هل كان يحترمها اكثر لو لم تكن هذه هى عائلتها؟.
هل كان يحبها؟..

هل كان يتزوجها؟..

انها لا تستطيع ان تكرهه.. وكلما اقتنعت بسفالته أحست
بقلبها وعقلها يندفعان اليه.. أحست انها تريد ان تذهب مرة
ثانية.. وتسمع كلامه الصريح الوقح مرة ثانية، وتحس بشفتيه
تقتربان من شفتيها مرة ثانية.. ثم تتحداه وتهرب منه مرة
ثانية..

لماذا تطوف الفراشة حول اللهب حتى تحترق.. لماذا لا تبعد

وتنجو بنفسها؟..

انها الفراشة.. وهو اللهب..

ان فيها ضعف الفراشة ورقتها وربما غباها.. وفيه نور
اللهب ودفئه واغراؤه!! .

ومن يدري.. ربما كان غرور الفراشة هو الذى يدفعها الى
اللهب.. تندفع اليه لتثبت لنفسها انها اقوى منه وانها لن
تحترق به!!..

انه الغرور الذى يلح عليها لتذهب اليه مرة ثانية.. حتى
تثبت لنفسها انها شريفة وانها عفة وانه لا يوجد الرجل الذى
يستطيع ان يقربها..

بل انه الغرور الذى يدفعها الى ان تتعلق بما يسمى
«الشرف»، و«العفة».. وتضع لنفسها مقاييس ومبادئ غير
المقاييس والمبادئ التى تضعها امها واختاها، حتى تتميز
عنهن وتبدو انها ارفع منهن وارقى، وترضى بذلك نفسها
وغرورها..

هل هذا صحيح؟..

انها لاتدري..

لا تدري الا انها لا تستطيع ان تكرهه وكلما حاولت ان
تبتعد عنه بخيالها انزلق اليه..

ولا تستطيع ايضا ان تكره عائلتها.. امها واختها..

وكلما عابت عليهن سلوكهن، ازدادت تعلقا بهن، ولهفة
عليهن.

ولكنها يجب ان تقاوم..

ان كل ما حولها يدفعها إلى الخطيئة، بل انها تعيش وسط
الخطيئة.. ولكنها يجب ان تقاوم، وان تعبر نهر الحياة سابحة

ضد التيار..

ستكون الزهرة التى تنبت وسط المستنقع، ستكون تمثال
العذراء المصنوع من الطين الذى يحيط بها، ستكون صورة
الملاك المرسوم بالفحم الاسود الذى يملأ قلوب الناس..
ولكن لماذا؟.. لماذا تقاوم؟!!..

انها ايضا لا تدرى..

ومرت ايام كثيرة وهى فى حيرتها.. تقضى نصف عمرها
فوق فراشها.. خيالها فوق الوسادة والامها تحت اللحاف،
وبابها مغلق بالمفتاح..

وقررت الأم خلال تلك الأيام ان تقطع كل علاقة للعائلة
بالاستاذ منير حلمى.. فمنعت ابنتها فوقيه من ان تتصل به
واستحلفت ابنتها فايژه ألا تعود اليه..

ولم تتخذ الأم قرارها هذا بناء على اقتناع بسفالة الأستاذ
منير حلمى، فقد عرفت الكثيرين من اسافل الرجال، بل ان كل
الرجال فى نظرها سفلة، وقد استطاعت دائما ان تستغل
سفالتهم.. ان تأخذ ما تريد، ولا تعطى اكثر مما تريد!! .

ولكنها اتخذت قرارها على مضض، لأنها لم تكن واثقة من
سيطرتها على ابنتها فايژه، ولم تكن واثقة انها تستطيع ان
تحركها كيفما شاءت نحو الهدف الذى ترسمه لها.. فخافت
عليها ان تشركها فى خطة من خططها قد تروح ضحيتها.. او
على الاقل قد تفسدها.. فتنازلت عن تحدى الاستاذ منير حلمى
وقلبها يتمزق من الغيظ..

وعادت الحياة الى البيت كما كانت..

الرجال يفدون كل ليلة..

والكل سعداء..

عدا فائزة..

هى وحدها التى تحمل هم البيت كله، وهى وحدها التى تحمل الاحساس بخطيئة امها واختيها..

وكان يجب ان تبحث عن شىء يلهيها عن همها، فلم تعد القصص التى تقرأها قادرة على ان تستولى على خيالها.. فكل قصة تذكرها بمنير حلمى، واذا قرأت قصة له أطلت عليها مصيبتها من بين السطور، واحتارت بين خياله وحقيقته.. خياله الذى تحبه، وحقيقته التى تهرب منها... وما أتعس القارئ عندما يقرأ أن لكاتب يعرف حقيقته!!

وقررت ان تلتحق بمعهد (.....) لتخرج فيه معلمة، علها تجد فى دراستها ما يلهيها عن همها..

لم تلتحق بالجامعة كما كانت تحلم دائما..

غلبتها رهبة لا تدرى لها سببا.. ربما ارادت ان تتجنب كفاحا اخر قد تضطر اليه عندما تجد نفسها بين الطلبة. وربما خافت ان يكون من بين الطلبة واحد او اكثر من الذين يترددون على البيت ضمن الرجال..

كانت تريد ان تبتعد عن الرجال.. كلهم تريد ان تبتعد عن كل ما يذكرها بالحياة التى تجرى فى بيتها.. تريد ان تستريح من المعركة التى تثور فى نفسها، وان تهرب من كل ما يعرضها لتجربة اخرى فى حياتنا..

ودخلت المعهد -وهو خاص للبنات- كما تدخل الدير..

واقنعت نفسها فعلا بأنها داخله على الدير.. وامتلات
ايماناً بأنها هجرت الحياة ووهبت نفسها لله..
فكانت تمشى فى خطى بطيئة كأنها تسير فوق سحاب، او
كأنها ملاك مقصوص الجناحين فلا يستطيع ان يطير ولا
يستطيع ان يمشى كما يمشى الناس.. واصبح فى عينيها
دائماً نظرات معلقة فى الفضاء كأنها تبحث عن الله لتسأله
الرأى، او كأنها تبحث فى ماضيها عن مستقبلها.. واصبحت
تتكلم فى صوت خفيض ناعم كأنه النجوى، وينبض فى صوتها
وتر من الحنان كأنها فعلا قديسة تغفر- اذا ما تكلمت-
للخاطئات..

واستقبلتها زميلاتنا الطالبات بشيء من الحيرة..
كانت جميلة.. أجمل منهن جميعاً.. وكان جمالها وحده
كافياً ليثير حقد زميلاتنا وغيرتهن..
ولكن جمالها لم يثر همس الزميلات، كما أثارهن صمتها
الطويل، ومشيتها البطيئة، وعيناها المعلقتان فى الفضاء،
وصوتها الخفيض اذا ما تكلمت. واحترن فى تفسير كل ذلك،
ولم يجدن له الا تفسيراً واحداً هو انها «متقنزة»..
وكان هذا الاتهام بمثابة اعلان حرب عليها..
ولكنها لم تشعر بالهمس الذى يدور حولها.. ولم تتوقع ان
يثير احد حرباً عليها.. كان كل ما راعها فى اول ايامها بالمعهد
شخصية العميدة.. او رئيسة الراهبات كما تصورتها..
كانت سيدة قوية حازمة..
كانت تلقى اوامرها الى الضابطات والطالبات بثقة باترة،

كأنها تعلم انها قوة لا ترد..
وكانت ترتدى ثيابها فى احتشام.. وتتكلم فى احتشام،
وتطوف بأرجاء المعهد فيضمت كل شئ تحت وقع قدميها..
كأنها القدر.. الكل يستسلم له!!...
لماذا لم تكن ابنة العميدة!!؟...
لماذا كتب عليها ان تكون ابنة لإمرأة خليعة مستهترة، ليس
لها رسالة الا افساد بناتها والايقاع بالرجال..
ورغم ذلك فالعميدة ليست ملاكا ولا الها.. انها سيدة مثل
ملايين النساء.. لها زوج ولها اولاد، ولها حياة..
اذن فالحياة ليست كلها خطيئة!!؟..
انها تستطيع ان تكون يوما ما كالعميدة.. ان تتعلم.. ان
تتزوج، وان تكون لها رسالة فى تربية بنات البلد كلهن..
وتفتحت امام خيالها ابواب الأمل..
واستعادت ثقتها فى «الشرف» كما تصورته: لن يقربها
رجل الا اذا تزوجها، ولن تحب الا حبا بريئا عفا.. حبا ليس له
نهاية الا الزواج أو الانتحار!!..
وكادت ترتاح لحياتها فى دير.. وفى عبادتها «الست
العميدة»!
ولكن أعمدة المعبد الذى أقامته من خيالها بدأت تنهار أمام
عينها..

كانت سيارة المعهد الكبيرة تحملها من البيت كل صباح
وتعود بها كل مساء.. وكانت كلما وقفت السيارة امام بيتها
وصعدت اليها استقبلتها الطالبات بصفير طويل، كهذا الصفير

الذى تسمعه من بعض الشبان الذين يتعقبونها كلما سارت فى الشارع..

وكانت تتجاهل هذا الصغير، ثم تلتقى بتحية خافتة الى اقرب طالبة تجلس بجانبها، فيرد عليها جميع البنات فى صوت واحد:

- صباح الخير يا جميل!!

وكانت السيارة تخترق الطريق، فتتعلق عيون البنات بالشبان خصوصا اذا كان الشاب يركب سيارة.. وتتبرع كل منهن بكلمة: «والنبي دمه خفيف».. «يا ختى عليه».. «شوفى يا سعاد الجدع ده.. جنان».. «بصى يا امينه.. حقه لو فتحت عين وغمضت عين ولقيته جنبى.. افرتكه حنت»!!..

ثم سمعت واحدة منهن تقول لعابر طريق فى صوت لا يسمعه: «بص هنا يا افندى.. والنبي دحنا معانا واحدة زى القمر»!!..

وعرفت انها المقصودة..

وكانت تتشاغل عن كل هذه التعليقات بالنظر فى كتاب.. وكانت تسمع طالبة من زميلاتهما تروى لزميلة اخرى نكتة خارجة، فيضحك كل من فى السيارة بالضحك إلا هى، فتنظر اليها احداهن فى غيظ مكبوت وتقول لها:

- ما تضحكى يا كشر هانم.. ولا كلامنا مش قد مقام السيادة!!..

فكانت ترد كأنها تتقى الشر:

- ابداء والله.. بس ما سمعتش بتضحكوا على ايه!!..

ومع مرور الايام انهدم الدير الذى اقامته من خيالها.. واضطرت ان تخضع لحياة الطالبات حيث تتقى شرهن. وأصبحت تضحك -بلا قلب- على النكت الخارجة، وأصبحت تقرأ معاكستهن للشبان.. وأصبحت تسمع قصص مغامراتهن التى تروينها اثناء «الفسح».. وأصبحت تصعد معهن الى «بيت الداخلية» بعد انتهاء الدراسة لتشارك معهن فى حلقات الرقص والغناء التى يقيمونها.. لم تكن ترقص ولا تغنى، ولكنها كانت تجلس بينهن حتى لا يتهمنها «بالقنزحة» وحتى تحمى نفسها من السنتهن..

ورغم ذلك فان الزميلات لم يغفرن لها جمالها، ولم يغفرن لها مظهرها الأنيق، ولم يغفرن لها انهن لا يعلمن شيئاً عن مغامراتها، ولم يغفرن لها تعففها فى حديثها، ولم يغفرن لها تفوقها عليهن فى الدراسة..

وظل يفصل بينها وبين زميلاتهن ستار كثيف، لم تستطع ان تخترقه الا زميلة واحدة اطمأنت اليها ومنحتها صداقتها. كانت فتاة هادئة الجمال.. فى عينيها دائماً غشاء من الدموع كأنها كانت تبكى او كأنها على وشك البكاء.. وفوق وجهها مسحة من الطيبة الحزينة كأنها استسلمت او على وشك الاستسلام، وبين شففتيها انفراج دائم كأنها تتأوه أو على وشك ان تتأوه!

وكانت هدى تشارك فايضة فى ميلها الى العزلة.. وفى نشاط خيالها.. وفى تعلقها بالقصص وفى عفة حديثها.. وفى شعورها بالضعف ازاء الدنيا.. فأصبحتا صديقتين لا تفترقان

طول اليوم الدراسي، واعترف لهما بقية الطالبات بهذه الصداقة، وكرهنهما الاثنتين!!..

ورغم ذلك لم تبح فايژه بسرها لهدى..

ولم تدعها الى بيتها..

ولم تقربها منها إلا في حدود مرسومة، كأنها تخشى إن اقتربت منها أكثر وعرفت سرها أن تفقد صداقتها..

وظلت فايژه وحيدة بسر شقائها، لا يخفف عنها الا هذه الصداقة المحدودة التي تربطها بهدى، ثم ايمانها بعميدة المعهد واملها في ان تصبح يوما مثلها.. ثم .. استاذ الأدب الانجليزي..

كان استاذا وسيما.. قد لا تجذبك وسامته بقدر ما تجذبك شخصيته..

وربما كان يحس بوسامة شخصيته وقوتها، وكان يفترض دائما اعجاب الطالبات به، فكان يلقي دروسه كأنه يسكب نبي قلوبهن سحره، وكان يلقيها بصوت ملء فيه صوت الشاعر، وحنان الحب، وفيه دائما ما يثير الخيال..

وقد أثار خيال فايژه منذ الدرس الأول.. وتفتح عن آفاق جديدة.. آفاق أبعد عن الأفاق التي فتحها لها الاستاذ مزيّر حلمي بقصصه.. آفاق رسمها شيللي، وبايرون، وجين اوستن. وسمعت صوت الأستاذ وهو يلقي عليهن مقطوعة من شعر شيللي:

«يا فتنة القلب.....»

«ما اجمل الطبيعة حولنا.....»

«كل نسمة تحتضن نسمة.....»
«وكل نجم يجرى فى فلك نجم.....»
«وكل موجة ترتدى على الشاطئ لتلثمه.....»
«حتى السماء تلتقى بالأرض فى قبلة طويلة عند الأفق
البعيد.....»
«كل الطبيعة غارقة فى دوار العشق.....»
«الا نحن الاثنين.....»
سمعت هذه الاشعار فأحسنت كأن يدا تلمس قلبها .. احسنت
كأن انسانا يناديها .. من؟؟!!
ورفعت عينيها الى الاستاذ، اذا بعينه مسطرتين عليها،
وكأنه يسألها رأيها فيه، وكأنه يأمرها امرا لا تستطيع ان
تطيعه.. ووجدت نفسها فى حيرة، واغتصبت حيرتها من
شفقتها ابتسامة مترددة، عادت واستردتها سريعا حتى لا
تلحظها الطالبات..
وابتسم الاستاذ ابتسامة واسعة كأنه كان واثقا من انها
سترتبك تحت وقع نظراته!!..
وانتهى درس الأدب وتجمعت الطالبات حول الأستاذ رشاد
او «الدكتور رشاد» كل منهن تفتعل سؤالا ليجيبها عليه..
وخرجت فايضة دون أن تسأله شيئا.. خرجت مرتبكة فى
خطواتها لا تنظر اليه وقد كست وجنتيها حمرة كأوراق
الورد..
كانت تعلم إن الطالبات كلهن معجبات به، وكانت تعلم انه لا
حرج عليها ان اعجبت به هى الأخرى.. ولكنها كانت تخاف

شيئاً لا تدريه.. شيئاً يحرمها من ان تندفع فى اعجابها به
وتبديه بين الطالبات..

هل هو نوع آخر من الغرور؟..

هل كانت مغرورة بجمالها الى حد ان تعتقد ان اعجابها
باستاذها لن يؤخذ مأخذ الاعجاب البسيط البريء الذى تبديه
طالبة لأستاذها؟.

ام هو نوع من سوء الظن؟..

هل كانت تسيء الظن بالرجال حتى خشيت ان يحمل
استاذها اعجابها به على محمل اكثر من مجرد الاعجاب؟.

ام هو تماد فى الخيال الى حد ان الاعجاب ينقلب فى
خيالها الى غرام وعشق؟!

انها لا تدري.. وهى دائما لا تدري؟.

ولكنها وجدت نفسها تغرق فى كتب الادب الانجليزى، لم
تعد تقرأ- كلما ألقت بنفسها على الفراش واغلقت بابها
بالمفتاح -إلا كتب الأدب الانجليزى.. وكانت تقرأها بعينها،
وتسمعها فى نفس الوقت بأذنيها يلقيها الاستاذ رشاد.

واصبح ليلها ويومها أشعارا لشيللى وبايرون، وكانت تقف
عند كل مقطوعة من الشعر وتقيسها على نفسها وحياتها..
وكانت تردد من بين ما حفظته من اشعار مقطوعة لتوماس
هود:

«لقد ماتت

«و كؤوس الحرير حول نهديها، اصبحت كفنا

«والخطيئة ذهبت مع الموت

« لم يبق الا الجسد الجميل للدود »
 « قبل جبينها، وسبل جفניה »
 « واعقد ذراعيها فوق صدرها، كالصليب »
 « كأنها تصلى.. صلاة عمياء، للخالق »
 « تطلب الغفران »
 « فقد كانت انسانا.. يا أخرى »
 « كانت انسانا!! »
 وكانت تردد هذه الأبيات فتنهمر دموعها.. وكلما كفت
 دموعها، عادت تردها مرة ثانية لتنهمر دموعها من جديد..
 كانت تجد فيها الحل الوحيد لمشاكلها.. الحل الوحيد لمعنى
 «الشرف» الذى تتمسك به..
 لا شرف إلا بعد الموت.. هكذا يقول توماس هود فى أبياته..
 ان الخطيئة تذهب مع الموت..
 وكلنا للخطيئة لأن كلنا انسان..
 امها وأختها لن تذهب عنهن الخطيئة الا بالموت.. ومنير
 حلمى لن يكف عن الخطيئة الا بالموت.. وهى لن تستريح فى
 معركتها مع الخطيئة إلا بالموت.. وسيغفر الله للجميع!!...
 وكانت تحس انها تريد ان تموت.. لتستريح..
 وتريد ان تموت امها وأختها ومنير حلمى، ليغفر لهم الله!
 ولم يكن ينقذها من أفكارها ومن اشعار «توماس هود» إلا
 ان تقع فى كتاب آخر.. ولم يسترح خيالها الا عندما قرأت
 قصة «كبرياء وهوى» لجين اوستن..
 قصة ثلاث شقيقات. كبراهن تقاوم حبها بكبرياتها،

والشقيقتان الأخريان تضحيان بكبريائهما فى سبيل الحب.
واعتقدت ان هذه هى قصتها.. وانها الأخت الكبرى التى
تقاوم حبها بكبريائها حتى يخضع الحب فى الفصل الاخير
للكبرياء.

وكان الدكتور رشاد يلقى عليهن فصولا من هذه القصة،
فتحس أنه يروى فصولا من حياتها، وتلتقط كلماته بلهفة كأنه
يرسم حياتها، ويقودها فى طريق عمرها..

وكان الدكتور رشاد يعجب لشدة انتباهها له..
ولم يجد تفسيراً لعينيها المعلقتين بشفتيه، ولأنفاسها
المبهورة تحت وقع كلماته، الا انها قد سحرت بشخصيته واكثر
من ذلك.. لابد انها تهواه.

ورغم ذلك فقد مرت الأيام والأسابيع واعجابها لا يتعدى
هذا الانتباه الشديد الذى تبديه له اثناء القاء درسه..

لم تحاول ان تقترب اليه..
ولم تحاول ان تجرى وراءه عقب انتهاء الدرس كما تفعل
بقية البنات..

واحترار معها..

وبداً هو يلاحقها..

كان يلاحقها بأسئلة كثيرة اثناء الدرس، فكانت تجيب، دون
ان يبدو عليها انها تلحظ تعمده توجيه هذه الأسئلة اليها..
وكانت اجاباتها دائماً صحيحة واضحة لا تترك مجالاً
للمناقشة.

وكان يناقشها بعد انتهاء الدرس، فيناديها ويوجه اليها

مزيديا من الاسئلة ويفتعل توجيهها او واجبا دراسيا يكلفها به.. فتؤدى الواجب دون ان تقنعه بأنها فهمت معنى اهتمامه بها..

وربما كانت تشعر بينها وبين نفسها باهتمام الدكتور رشاد بها.. ولكنها صممت على اقناع نفسها بأن هذا الاهتمام لا يعدو ان يكون اهتمام استاذ بطالبة ذكية نجية..

كانت تحترمه.. وكانت تضعه فى مكان عال من خيالها.. مكان فوق الرجال جميعا.. فوق الاستاذ منير حلمى ايضا. ان الرجل الذى يضم بين شفتيه كل خيال شعراء العالم وكتابه، والذى يروى شعرهم وقصصهم كأنه يجود بها من خزين قلبه.. هذا الرجل لابد ان يكون نصف .. على الأقل، ليس رجلا كبقية الرجال!..

وقد عرفت انه متزوج..

حتى انصاف الملائكة يتزوجون!.

وكانت احيانا تتخيله فى بيته مع زوجته.. ما أسعدها به.. انه يدخل اليها عائدا من المعهد فيضمها بين ذراعيه ويهمس فى اذنها بببيت من شعر بيرون، ويجلس معها الى المائدة فيروى لها قصة من قصص أوسكار وايلد.. وهو دائما رقيق كالخيال، حنون كأنغام الناي، قوى كشجرة السنديان، طاهر كقطرات الندى.

ما أسعد زوجته به..

ومن لها، ولو بربع ملاك!

كانت هكذا تتخيله.. الى ان كان يوم..

يوم الجمعة، وكانت خارجة من العمارة التي تسكنها في طريقها الى شارع فؤاد.. واذا بها تلتقى به في نفس الشارع الذي كان تقع فيه عمارتها..

كان يقود سيارته الصغيرة التي تعرفها الطالبات.. واوقف السيارة بجانبها.. وهتف باسمها.. والتقيت اليه، ثم طغت عليها موجة عنيفة من الارتباك، حتى انها لم تدرك كيف تحييه..

وقال لها ببساطة وهو يفتح باب سيارته:
- رايحه فين.. تعالى اوصلك!

وقالت وهي تحاول ان تنقذ نفسها من ارتباكها:
- لا.. مرسى يا دكتور!

- تعالى بس، واسمعى كلام استاذك!

- انا اصلى نازلة البلد... و...

وقاطعها وابتسامته لا تزال على شفتيه:
- فى سكتى.. اركبى!

ولم تجد مفرا من ان تركب.. وبدأ يحادثها طول الطريق عن دروس الأدب الانجليزى، ويحاول ان يفتح امامها آفاقا جديدة منه..

كان جدا.. مهذبا.. رقيقا، وقال وهو ينظر امامه الى الطريق:

- على كل حال انتى فى حاجة لدروس خصوصية..
وقالت فرحة:

- والنبي يا دكتور.. ممكن تدينى دروس خصوصية!

- علشان خاطر بك بس.. لأنك احسن طالبة عندي!
واتفقا على موعد الدرس الأول!..

ولم تبلغ احدا من زميلاتنا الطالبات باتفاقها مع الدكتور رشاد.. ربما لأنها نالت بهذا الاتفاق شرفا كبيرا تخاف ان تحسدها عليه الزميلات، وربما لأنها ظنت ان الدروس الخصوصية ممنوعة على اساتذة المعهد، فأرادت ان تحمي استاذها..

واهتمت فايزه اهتماما كبيرا باستقبال استاذها فى بيتها لتستمع الى درسه الأول.

اشرفت على الخادم وهى تكنس، ونظفت بنفسها قطع الاثاث واشترت زهورا نسقتها بيديها فى اوانى الزهر.. وكانت تطوف بأرجاء الحجرة - حجر الاستقبال- تساوى فيها وتعيد ما سامته حتى «شراريب» السجاد ساوتها الواحدة بجانب الاخرى كأنه كان فى مكانه ان يلحظ اذا ما كانت «شرابة» ليست فى موضعها..

كانت كأنها تريد ان تقيم من الحجرة معبدا.. معبدا للأدب الانجليزى!

وألحت على امها وشقيقتها حتى يظهرن امام الاستاذ فى مظهر الراهبات.. لا ثياب فاضحة، ولاضحكات خليعة، ولا «تواليت» اكثر من اللازم..

الحت عليهن.. حتى ضقن بها، وصاحت امها:

- يوه يا بنتى.. ده ما كانش استاذ.. هو راجل ولا ملاك!
وقالت فوقية:

- فهمنا يا ستي.. حنرجع تلامذه من جديد!.

وقالت خديجة:

- انتى فاكركه احنا مانفهمش فى الاصول ولا ايه..

خلاص.. مالكىش دعوة.. اطمنى!..

ورغم ذلك فقد كن فرحات بفرح فايضة باستانها، وكانت كل

منهن قد قررت ان تمثل بأمانة الدور الذى تريد فايضة ان يمثلنه

امام اول رجل تدعوه الى البيت.

وجاء الدكتور رشاد لأول مرة..

واستقبلته فايضة كأن كل ما تملكه وكل مافى البيت لا يليق

بمقامه..

وفتحت خديجة، وفوقية فرجة فى باب غرفتهما ليرياه،

وهمست فوقيه:

- والنبي عليه القيمة.. كنت فاكراه راجل عجوز!.

وقال خديجة:

- حقه فايظه دى عبيطه.. بأه ده استاذ.. ده جوز سقع!.

ودخلت امها ترحب به. وقورة هادئة وقد قللت الأصباغ عن

وجهها.. وجلست معهما قليلا تسأل عن حال ابنتها فى المعهد،

ثم قامت لتتركهما يبدآن الدرس..

وانتهى الدرس الاول كأنه حلم قصير من بها..

والدرس الثانى.. والثالث.. والرابع.. وربما لاحظت فايضة ان

رشاد يطيل النظر اليها كثيرا.. وربما رأت فى نظراته شيئا لا

تستريح اليه. وربما لاحظت أنه يقطع الدرس كثيرا ليحدثها عن

نفسه.. عن السنوات التى قضاه فى انجلترا لينال شهادة

الدكتوراه.. وعن الصدمات التي فتت قلبه، وعن آلامه ومتاعبه النفسية.. وربما لاحظت ايضا انه لم يحدثها ابدا عن زوجته ولا عن اولاده ولا عن بيته.. وربما لاحظت ان الكلفة بدأت ترتفع بينه وبينها، وبين افراد العائلة كلها.. وربما لاحظت أنه يقرب رأسه من رأسها احيانا حتى تلامس خصلات من شعرها صفحة وجهه..

ربما لاحظت كل ذلك.. ولكنها لم تفكر فيه، او انها ارادت ألا تفكر فيه.. وظلت سعيدة بدروسها الخصوصية.. وكان اكثر مايسعدها ان تشترك مع استاذها فى قراءة قصة من الأدب الانجليزى، وأن تقرأ هى -كلما صادفها حوار- دور البطلة، ويقرأ هو دور البطل..

كانت تقرأ كأنها تمثل، ثم تندمج فى التمثيل حتى تخرج كل كلمة من اعماق قلبها، وحتى تبكى كلما صادفها فى الحوار بكاء، وتضحك كلما صادفها ضحك، وتحب كلما صادفها حب!!

وكان يقرأ فى صوت ملئ عميق كأنه صدى من عالم بعيد جميل.. وكان يقرأ كأنه يوجه كل كلمة اليها.. كأنه يناجيها!!.. وكان يقرأ قصة «مرتفعات ويزرنج».. هو يقرأ دور البطل، وهى تقرأ دور البطلة..

وقرأ:

«ان كل ما يستطيع ان يفرضه علينا الله او الشيطان من «بؤس او تعاسة او موت، لم يكن قادرا على فضلنا..» «ولكنك انت فعلت ذلك بمحض اختيارك.. اننى لم احطم» «قلبك..

ولكنك انت التى حطمت قلبك، وقلبي معه...» «احقا انى اريد ان اعيش؟.. اى نوع من الحياة هذه ستكون» «بعدك!!.. آه يا الهى.. اتستطيعين العيش وروحك فى القبر..»

وقرأت ترد عليه:

«دعنى وحيدة.. دعنى وحيدة.....»

«لقد اخطأت ومن اجل ذلك فانا اموت.. وهذا جزائى»

«اما انت فقد تركتني ولكنى لا الومك.. اننى اغفر لك»

«فاغفر لى.....»

ويقرأ بقية الحوار:

«كيف اغفر لك.. كيف اغفر لك وانا ارى هاتين العينين»

«.. كاترين قبلينى مرة اخرى ولا تدعيني ارى عينيك....»

«اننى اغفر لك.. لانى احب قاتلتى.....»

وكانت مندمجة بكل اعصابها فى قراءة دور كاترين بطلا

«مرتفعات ويزرنج» التى ماتت فى سبيل الحب، فلم تلحظ ان

الكتاب قد سقط من يد الاستاذ، ولم تلحظ انه قد قبض على

يدها، وانه يضغط عليها بعنف، ولكنها سمعته وهو يقول بنفس

اللغة الانجليزية التى فى الكتاب وب نفس الأسلوب:

فأيزة.. ألم تفهمى حتى اليوم.. ألم ترى نفسك فى عينى..

الم يكفك كل هذا الانتظار.. هل صدقت قصة هذه الدروس

الخصوصية.. انى احبك.. احبك.. انك لى!!

ولم ترد.. وظلت تنظر فى كتابها..

- ولم ترد.. وظلت تنظر في كتابها..

وربما كانت تبحث عن اثر هذه الكلمات بين السطور.. وقبل

ان تجدها وجدت نفسها بين ذراعيه وشفتهاه تطوفان فوق
شعرها، وترتطمان بوجهها كزنها مجذافا مجنون يجذف بهما
نهر الخيال.

وأبعدته عنها فى قسوة تصد بها قسوة المفاجأة.. والتمعت
عينها فى زعر كأنها وقعت فى هاوية.. وقامت بعيدة عنه
وصدرها يلهث كأنه يقرع طبول الحرب..
وبقى رشاد على مقعده وقد ثنى احدى ركبتيه كأنه يركع
تحت القوام المنتصب امامه ينتفض من الغضب.. ورفع اليها
عينين متوسلتين وقال:

- انا أسف.. كان لازم تفهمى من زمان!!..

وقالت وهى لا تزال فى غضبها:

- ما كانش ممكن افهم للدرجة دى!!

قال فى ضعف:

- انا وصلت للدرجة دى من زمان.. من قبل أول درس

خصوصى!!..

قالت وقد انقلب غضبها الى دهشة:

- لكن انت متجوز!!..

قال وهو يخفى عنها عينيه:

- وانا ذنبى ايه.. لما اتجوزت ما كنش عرفتك ولا شفتك؟

وقالت متسائلة:

- كنت فاكركه اناك بتحب مراتك!!..

قال وقد قام من مقعده، واخذ يروح فى الغرفة:

- أرجوكى.. بلاش تجيبى سيرة مراتى!!..

- ولكن..

وقاطعها:

- انا آسف مرة ثانية.. أو رفوار!!..

ودون ان ينظر اليها خرج..

وسمعت صوت الباب الخارجى يصفق وراءه بعنف!!..

ووقفت مكانها مشدوهة بلهاء.. كأنها لا تدرى شيئاً.

ثم جلست ، وفتحت الكتاب، واخذت تقرأ من جديد.. دون

ان ترى السطور!..



ووقعت فائزة فى نوبة جديدة من نوبات ذهولها.
انها لم تعد تدري شيئاً..
لماذا اراد الدكتور رشاد تقييلها؟..

انها معجبة به.. معجبة بشخصيته ومعجبة بالأسلوب يلقي
به محاضراته ومعجبة بذوقه فى اختيار الأشعار والقصص من
الأدب الانجليزى، ومعجبة بصوته الملىء العميق الذى يثير
خيالها.. ولكنها حرصت دائماً على ان تبدي اعجابها فى حدود
دقيقة حتى لا يتكرر خطأها مع منير حلمى..
ثم انه استاذها.. والمفروض فيه انه رب فاضل.. هل اساتذة
الجامعة ايضا مجرد رجال.. ككل الرجال؟..

وهو متزوج.. كيف يجرؤ على مغازلتها وهو متزوج؟!..
لقد كانت تتصور زوجته أسعد الزوجات به.. كانت تتصوره
يملاً بيته شعرا وحنانا ورجولة..
هل كتب عليها كلما أقامت من خيالها معبدا ان ينهدم المعبد
فوق رأسها؟!..
هل هو يحبها؟!..
وما ذنبها فى هذا الحب، وما نصيبها منه؟..
ام هو يريد منها ما تعود الرجال ان يأخذه من شقيقتها
وامها؟..
انها لا تدرى شيئا..
انها لا تفهم..
ولم تجد من يبرز فى خيالها وهى فى حيرتها، إلا مثير
حلمى..
انها لا تدرى ايضا لماذا تفكر فيه كلما احتارت وكلما تعقدت
الحياة حولها، وكأنه الانسان الوحيد الذى يستطيع ان يدلها على
الطريق، وكأنه الانسان الوحيد الذى يعلم كل شىء عن الحياة..
عن حياتها!..
وامسكت بسماعة التليفون وادارت رقم مثير حلمى..
الرقم الذى لم يضع من ذاكرتها ابدا..
وسمعت صوته:
- ألو.. ألو..
ولم تلب نداءه إلا بأنفاسها..
لم تتكلم، انما علقت السماعة فوق اذنها قليلا، وكأنها

تحتضن صوته بأذنها ..

ثم أعادت السماعه الى مكانها ..

ماذا يجديها ان تحدثه .. انه لا يزال يعتقد فيها ما يعتقد في شقيقتها .. ثم انه ليس الا رجلا كبقية الرجال .. رجلا لا يريد الا الجسد .. اى جسد! وجسدها واحد من ملايين الأجساد! ووقعت في هوة سحيقة من اليأس .. اليأس من حياتها ومن الدنيا كلها.

وأحاط بها الظلام .. ظلام يزحف على قلبها وعلى رأسها ..

أين المفر الى النور .. المفر الى الحياة الطاهرة النظيفة ..

المفر الى الحب العف البرى؟! ..

وفرت الى دموعها ..

ولم تذهب الى المعهد في اليوم التالي ولا اليوم الذى يليه فقد كانت لا تدري كيف تواجه الدكتور رشاد، ولا تدري كيف سيواجهها .. وكانت متأكدة انه سيقطع دروسه الخصوصية وانها لن تراه في بيتها ابدا ..

لقد كانت سعيدة بهذه الدروس الخصوصية .. كانت تجد فيها راحة ذهنها وراحة خيالها، وكانت تستعيد خلالها ثققتها في الدنيا وثقتها في نفسها ..

ولكن الثمن الذى يطلبه لهذه الدروس كبير .. كبير جدا .. ولم تكن تعتقد ان لها ثمنا! ..

وفوجئت في اليوم الثالث بالدكتور رشاد يطرق باب البيت ..

لقد جاء في موعد الدرس الخصوصية!! ..

والقى تحيته عليها في لهجة جادة .. وجلس وكأنه لم يحدث

بينهما شيء، لم يشر الى آخر «درس» بكلمة واحدة، ولم يحاول ان يكرر اعتذاره.. كل ما كان يبدو عليه، ان وجهه صارم كما لم تره ابدًا، وان صوته جاف ليس فيه الخنان الذي تعودته منه، وانه لا يرفع عينيه اليها، ولا يقرب وجهه من وجهها كما عودها.. واختار شعرا من الأدب الانجليزى يدور حول الحب وحب الوطن، واخذ يفسره لها، بطريقة مدرسية مملة كأنه يؤدى واجبا ثقيلًا على نفسه..

ولم تسمع كلمة واحدة من الدرس.. كانت تريده ان ينتهى منه، فرنما فاتحها بعد ذلك فى الموضوع الأهم.. موضوعهما.. لماذا قبلها؟ والى اى حد يحبها؟! واحست بالضيق. بل احست بأنها اهينت لأنه يتجاهلها كل هذا التجاهل، ويتناسى انه قبلها غضبا او على الأقل حاول ان يقبلها..

هل هو الغرور مرة ثانية؟.. الغرور الذى يدفع الفراشة الى ان تتحدى اللهب فتدور حوله الى ان تحترق؟.. الغرور الذى يدفعها اليوم الى التلطف على مفاتحة رشاد لها بحبه.. لتتحداه كما سبق ان نهبت الى منير حلمى فى بيته لتتحداه ايضا..

وسألها سؤالا خاصا بالدرس الذى يشرحه.. ولم تجب، فلم تكن تسمع شيئا من الدرس، ونظر اليها متسائلا وهو لا يزال محتفظا بوجهه الصارم.. وقالت وهى تدعى الارتباك:

- انا أسفة ما كنتش واخده بالى!!...
وقال فى لهجة الاستاذ:
- يبقى مافيش لازمة للدرس الخصوصى!
وأزاح كرسيه كأنه يهم بالقيام، رفعت اليه عينين متوسلتين،
وقالت فى لهفة:
اصلى ما كنتش فاكرك ان حضرتك حتيجى النهاردة!..
قال وهو لا ينظر اليها وقد بدأ صوته يرق:
- تفتكرى كان لازم ما جيش؟..
- بالعكس.. كنت خايفه انك ما تجيش.. انما..
وقاطعها:
- انا قررت انى ماتكلمش على اللى حصل..
وتنهذ كأنه ينزع انفاسه من صدره، واستطرد:
- انا كنت غلطان.. كنت فاكرك انك حتقدرى تفهمينى!
وقالت كأنها تواسيه:
- انا مستعدة دايما ان افهمك.. بس اصلك فاجأتنى!
ولم يرد..
وأخذت تعبت بصفحات الكتاب..
وساد بينهما صمت طويل لم ينظر احدهما خلاله الى الآخر..
ثم قرب مقعده من المائدة مرة اخرى، وبدأ يقرأ قصيدة من
شعر بايرون.. وقد عاد الحنان والعمق فى صوته:
« حينما افترقنا.. فى صمت ودموع..... »
« وقد حطم الفراق قلبينا..... »
« واعترتهما برودة، اشد من برودة قبيلاتك..... »

« كانت تلك الساعة إيذانا بالعذاب الطويل..... »
 « وكانت قطرات الندى تتساقط فوق جبيني، رطبة »
 « وكأنها كانت تحذرني من الوحدة..... »
 « الوحدة التي تملأ كياني الآن »
 « لقد حطمت كل وعودك.. وهانت عليك نفسك ونفسي..... »
 « واصبحت أسمع اسمك، فتنتابني رعدة..... »
 « كأنهم ينعمونك الى اذني »
 « واسائل نفسي »
 « لماذا أحسبتك كل هذا الحب »
 واستمعت الى صوته فبدأ خيالها يستيقظ من جديد ويرفعها
 الى العالم الذي تحب دائما ان تعيش فيه.. عالم النفوس المعذبة..
 وأحسست انه يحادثها هي، وانه يلومها على فراقها له، وخيل اليها
 انها خانتة فعلا، وعذبتة، وألقته الى الوحدة التي تملأ كيانه..
 وارتسمت في عينيها نظراتها الساهمة..
 وتصاعدت الدماء الى وجنتيها كأنها تزفها الى خيالها في
 موكب أحمر..
 وأحسست انها تريد ان تتكلم.. ان تخفف عنه عذابه ووحده..
 ولكنها لم تكن تدري ماذا تقول، ثم طأطأت رأسها وأخذت تنظر
 الى يديها واحداهما تعصر الأخرى، كأنهما جناحا حمامة وقعت
 في شرك الصياد وعجزت ان تطير..
 وقالت وهي لا تنظر اليه:
 - بايرون شاعر رقيق خالص..
 قال وهو لا ينظر اليها ايضا.

- كل شعر يبقى رقيق لما يعبر عن حالة اللى بيقرأه..
قالت وكأنها قد استجمعت كل شجاعتها..
- ما كنتش فاكركه انك وحيد للدرجة دى..
قال وقد التمع فى عينيه امل جديد:
- انا طول عمرى با قاسى فى وحدتى..
قالت كأنها تواسيه:
- كنت فاكركه انك سعيد فى جوازك..
ولم يرد، انما تجهم وجهه..
واستطردت وقد رفعت عينيها اليه:
- انت ما بتحبش مراتك؟!..
قال وكأنه يحاول ان ينهى هذا الحديث:
- ما أقدرش استغنى عنها!!..
قالت فى براءة:
- ليه؟

ونظر اليها كأنه سئم الحاحها، وقال وقد ارتفع صوته:
- انتى مش قادرة تنسى انى قللتك انى باحبك.. ومش
قادرة تنسى انى متجوز وما اقدرش استغنى عن مراتى.. وعايضة
تعزفى ليه.. علشان هيه الحياة، وانتى الحب.. ما اقدرش
استغنى عن الحياة، ولا عن الحب..
قالت وهى تبدو اكثر سذاجة:
- وايه الفرق بين الحياة والحب؟!..
ونظر اليها كأنه يشك فى سذاجتها ثم قال وكأنه صمم ان
يصل معها الى آخر الطريق..

- تعرفى الشمعة.. اهى مراتى تبقى الشمعة، وحضرتك تبقى الكبريت، وانا ابقى الفتيل.. الفتيل ده ما يولعش من غير كبريت.. ولو قرب علبة الكبريت من غير ما يكون فى وسط الشمع ماينورش.. انما ينحرق ويشيط!!..
قالت وكأنها تسخر منه:

- يبنى انا ومراتك لازم نتعاون علشان حضرتك تنور؟
- فعلا..

- وطبعا الكبريت فيه منه كثير.. كل علبة فيها عشرين عود..
- أرجوكى.. ماتنسيش انك انتى اللى فتحت الموضوع ده!!..

- انا بس بدى اعرف، الكبريت حياخد ايه لما حضرتك تنور؟..

- يعيش فى نورى..

وقالت وقد جنت من انانيته وغروره:

- الله ينور عليك.. هو الكبريت لو ما يولع يقدر يعيش.. مش فاكر يوسف وهبى لما كان بيقول شرف البنت زى عود الكبريت ما يولعش إلا نوبة واحدة..

قال وهو يستخف بعقليتها:

- والله مش قادر اتصور طالبة زيك فى المعهد العالى بتقرأ..
لبايرون وشيللى، وتستشهد بكلام واحد زى يوسف وهبى..
ممثّل دجال بيضحك على عقول الناس اللى زيك بكلام رخيص..
ثم لازم تفهمى ان شرف البنات اليوميين دول مش زى عود الكبريت، ده زى الولاة يولع ميت مرة!!..

قالت غاضبة:

- قصدك ايه يا دكتور؟..

قال متكهما:

- والله اسألى نينتك توحيد هانم.. اظنها تعرف فى

الموضوع ده احسن منى!!..

وصرخت فى وجهه:

- مالکش دعوة بنينة.. ما تجيبش سيرتها.. نينه لو عرفت انك

بتكلمنى الكلام ده ما تدخلکش البيت.. نينه أشرف من ستات

البلد كلهم..

وكانها لم تستطع ان تصدق كلامها، وأحست انها تكذب

وهى تقول «نينه أشرف من ستات البلد كلهم» فانكفأت على حافة

المائدة واخذت تبكى بصوت عال، وهى تنشج قائلة كعادتها «يا

حبيبى يا بابا»..

وقام رشاد واقترب منها، ومد يده فى تردد واخذ يربت على

كتفها قائلاً:

- انا أسف يا فايضة.. انتى اللى اضطرتينى اقول الكلام

ده.. طول عمرك تحبى المناقشة، وعمرك ما تتناقشى الا لما

تعيطى..

قالت وهى لا تزال تبكى:

- ارجوك تسيينى.. كفايه اللى قلته..

- أنا حاسيبك دلوقت.. يمكن دموعك تريحك.. انما خارج

تانى..

وخرج رشاد..

وجفت دموع فايزه فوق وجنتيها .. وقامت الى حجرتها لترقد
 فى فراشها .. خيالها فوق الوسادة، والامها تحت اللحاف ..
 ان مشكلتها تتكرر ولا تتغير .. انها تدور دائما فى نفس
 الدائرة: كلما وثقت فى رجل أرادها لنفسه .. وهى لا تريد ان
 تعطى نفسها لأحد الا باسم الحب .. ولا احد يحبها، كلهم
 يريدونها .. يريدون جسدها .. ويريدونه بلا زواج!! ..
 وأمسكت كتاب الشعر، وأخذت تقرأ قصيدة الغفران للشاعر
 تنيسون:

«أيها الحب الخالد.. يا ابن الاله.....»
 «يا من صنعت الحياة، من عناق النور والظل.....»
 «يا من وضعت الروح، فى الانسان وفى الشعبان.....»
 «وطمست بالموت على معالم القبح ومعالم الجمال.....»
 «وتركت آثار بصمـمـاتك.....»
 «على الورد والشوك والتـراب.....»
 «انك لن تتركنا وحدنا .. حيارى.....»
 «سـوف تنسى خطايانا.....»
 «فنحن خلق يدك.....»
 «وكل ما نفعله، من حماقة، ونزق، وطيش.....»
 «لا شىء.. لا شىء.....»
 «فى غمار الحب الذى يسيل من قلبك.....»
 «فيحتضن كل خيرنا، وكل شرنا.....»
 قرأت هذه الأبيات .. ثم اغمضت عينيها وأخذت تتلوها كأنها
 تتعبد بها.

ان الله هو الحب..
والحب يغفر كل شىء.. يغفر حماقة والنزق والطيش..
ويضم فى دنياه الخير والشر!..
ولكن اين هو الحب؟!
هل منير حلمى هو الحب؟!
هل الدكتور رشاد هو الحب؟
هل هؤلاء الرجال الذين يقدرّون على البيت ويجالسون
شقيقتها وامها يمثلون الحب؟..
ابدا.. لأنهم لا يمثلون تعاليم الله!
انها لا تجد الحب إلا فى خيالها وفى خيال الشعراء وكتاب
القصة.. ان الحب وهم، انه خيال.. انه حقيقة مجهولة.. انه الله!
وأحسست انها تريد ان تصلى .. تصلى لله.. ما دام الله هو
الحب..

وقررت فعلا ان تبدأ فى الصلاة من غدها..
ونامت كأنها انتقلت الى السماء..
ولكنها عندما اصبحت لم تصل، بل ارتدت ثيابها وذهبت الى
المعهد..

كانت تحس بصدرها محملا بأكثر مما يطيق.. وكانت تحس
بحاجتها أن تلقى بعض حملها على احد من الناس.. ان تبوح
بسرّها الى انسان يفهمها ويستطيع ان يواسيها وان يسد
الثقوب النفسية التى تعصف من خلالها أحساسها.. كأنها
زوابع تهز بيتا مهدما..
واختارت صديقتها هدى لتبوح لها بسرّها..

وجالست بجانبها فى حديقة المعهد صامتة حزينة، حتى
سألتها هدى فى لوعة عن سر صمتها وحزنها..
وقالت فايضة وهى لاتزال مترددة فى البوح بسرها:
- متضايقه يا هدى.. وباتمنى الموت!!..
وقالت هدى فى لهفة:
- بعد الشر عليكى.. ايه بس اللى مضايقتك؟!..
- الدنيا كلها..
- ومين مرتاح فى الدنيا يا فايضة.. اذا كان همك قيراط.. انا
همى اربعة وعشرين..
-- مش ممكن.. مش ممكن حد فى الدنيا شاف اللى شففته
حتى الدكتور رشاد تصورى انه..
وسكنت فجأة كأنها تنبهت الى أنها بدأت تعلن سرها..
والتفتت اليها هدى، وقد أصبحت كلها أذانا، وقالت تستحثها
وقد لمع فى عينيها بريق شهوة الاستطلاع:
- ماله الدكتور رشاد..
وقالت فايضة وهى تنظر فى عينى صديقتها:
- اقولك بس تحلفى ماتقوليش لحد..
- بشرفى.. اخص عليكى يا فايضة.. بأه مش مأمنانى!
وأطالت فايضة النظر الى صديقتها.. الى الجمال الهادى،
والعينين اللتين تغشاهما دائما طبقة من الدموع كأنها كانت
تبكى أو كأنها على وشك البكاء، إلى وجهها الذى تنسدل عليه
مسحة من الطيبة الحزينة، كأنها استسلمت او على وشك
الاستسلام والى شفتيها المنفرجتين دائما كأنها استسلمت او

على وشك الاستسلام والى شفيتها المنفرجتين دائما كأنها تتأوه
او على وشك ان تتأوه..

نظرت اليها طويلا، ثم كأنها اطمأنت اليها، فأخذت تروى
قصة الدكتور رشاد كلها.. كيف قابلها فى الطريق.. واركبها
سيارته.. وكيف عرض عليها ان يعطيها دروسا خصوصية..
وكيف بدأ يتردد على البيت.. وكيف كان يختار لها الاشعار
الغرامية.. وكيف كانت تتبادل معه قراءة الحوار فى قصص
الحب.. ثم كيف اعلنها بحبه وحاول تقبيلها.. و... و... روت لها
كل التفاصيل بدقة.. كأنها تعرض عليها فيلما سينمائيا حيا..
وانتهت من قصتها قائلة:

- مش عارفه اعمل ايه معاه؟!!..

وقالت هدى مبتسمة:

- ولا تعملى ولا حاجة.. بس لو كنت شاطره تجبيلنا منه
اسئلة الامتحان!!..

وقالت فايضة فى غضب:

- اخص عليكى يا هدى.. بأه باحكيك كل الحكاية دى
علشان تقوليلى كده!!..

وأجابت هدى وهى تنظر الى صديقتها وكأنها تتهمها بالغباء:

- وماله الدكتور رشاد.. ده كل البنات والمدرسات بيجروا
وراه..

وقاطعتها فايضة:

- ما تنسيش انه متجوز..

وقالت هدى وهى تتهم على صديقتها وكأنها اكتشفت انها

غبية فعلا:

- صحيح.. لك الحق..

وانقطع بينهما الحديث عندما حان موعد الدراسة، ليتصل مرة ثانية.. وليعود ويتصل كلما وجدا فسحة للحديث... ولم ينته حديثهما الى شئ، إلا ان فايضة كانت تحس دائما براحة ولذة وهي تتحدث عن قصتها مع الدكتور رشاد، وكأنها كانت تتسلى بهما..

ولم تلاحظ فايضة في تلك الأيام، ان اسم الدكتور رشاد كان يتردد في اذنها كلما مرت بفريق من زميلاتها..

كانت احدها تقول بصوت مرتفع وكأنها تحدث زميلاتها:

- والنبي الاستاذ رشاد ذوقه كويس!!..

وكانت اخرى تقول عندما تلمح فايضة:

- يا بخت مين كان الدكتور رشاد حبيبه!!..

لم تلاحظ فايضة في زهولها كل ذلك، وكان الدكتور رشاد لا يزال يتردد عليها في البيت مصرا على دروسه الخصوصية..

وكان يتبع معها نفس الاسلوب.. يقرأ عليها اشعارا عاطفية تثير خيالها، أو قصة عنيفة تهز عواطفها، ثم ينتهيان الى مناقشة يخرج بعدها دون ان ينال شيئا..

قرأ عليها مرة قصيدة للشاعر الانجليزى برا وننج.. يقول فيها:

« اتـــــــــــــــــهـــــــــــــــــربـــــــــــــــــين منى؟!..... »

« مطلقا يا حياــــــــــــــــتى »

« فما دمت انا الذى يحب »

« وما دمت انت محبوبتي..... »
 « وما دامت الحياة تضمننا معًا..... »
 « فان احدهنا ينساب دائماً الى الآخر..... »
 « وكم خشيت ان تكون حياتي غلطة كبيرة..... »
 « ولكن يبدو ان القدر معنا..... »
 « وماذا يحدث لو فقدت املى عند هذا الحد؟..... »
 « لا شيء..... »
 « سألهمو بأعصابى..... »
 « واضحك من دموعى..... »
 « واسخر من هذه السقطة..... »
 « واقوم محطماً..... »
 « لأبدا من جديد..... »

واستمعت اليه وقالت كأنه كان يحادثها وهى ترد عليه:

- طبعاً لن يهكم شيء اذا فقدت املك.. مادمت لا تحب ورد
 عليها وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة:

- ما تتكلميش عن الحب.. انتى عمرك ما حبيتى، وعمرك ما
 حتحبى.. انتى ما تحببش إلا نفسك.. عايزه كل الرجاله تحبك
 وانتى تتفرجى عليهم.. كل حاجة فيكى بخيلة الا ودانك ولسانك..
 تسمعنى للصبح.. وتتكلمنى للصبح.. ولو حبيت امسك ايدك
 تسحبها، ولو حبيت المس شعرك تعملها جريمة، ولو حاولت
 أبوسك يبقى يا داهية دقى.. زى ما كون قتلت قتيل!

ورفعت صوتها على صوته قائلة:

- وانت مش عايز من الحب الا البوس.. كل الرجاله زيك

كده.. كلكم ما فيش عندكم قلب.. انما عندكم ايدين وشفافيف
تحبوا بيها اى واحدة تشوفوها.

قال وكأنه يخفف من حديثها:

- لو كنتى اى واحدة، ماكنتش تعبت معاكى كل ده!!..

قالت وقد خفضت من صوتها:

- كان لازم تعرف من الأول إن مافيش فايده..

قال وهو يتنهد:

- كان لازم اعرف ان مالكيش قلب..

قالت دون ان تنظر اليه:

- كان لازم أعرف انك متجوزا..

قال وقد عاد وجهه يتجههم:

- انت قاسنيه اكتر من اللازم يا فايضة.. كل شويه تعابيرنى

بجوازى.. افرضى انك حبيبتى واحد رجله مكسورة، كنت عملتى

ايه.. افرضى انى أنا أبو رجل مكسورة!..

قالت:

- اللى رجله مكسورة مش حيكسر قلبى.. انما اللى متجوز

يكسر حياتى كلها!!..

قال وهو يلح فى اقناعها:

- يوم ما حتحبى، حتعرفى ان الحب اغلى من الحياة!!..

قالت وهى تنظر اليه:

- اشمعنى انت مش راضى تضحى بحياتك؟..

قال فى تأثر:

- اذا كان قصدك أضحى بمراتى.. فانتى ما ترضيش ولا أنا

أرضى.. لأن ما لهاش ذنب.. ومش ممكن نقدر نبني سعادتنا
على تعاستها.. يوم ما اتجوزتها كانت هي حياتي وحبي.. وإذا
كنت حرمتها من حبي فما أقدرش أحرمها من حياتي، حبي مش
فى ايدي، الحب قدر، زى حادثة الأتمبيل ماليش ذنب فيه، ما
أقدرش أمنعه.. انما حياتي فى ايدي طول ما أنا عايش..
وحفضل حياتي ملك مراتي..

قالت وقد انقبض صدرها:

- أد كده بتعزها..

- واكثر من كده..

- يا ترى لو خيرتها بين حبك وحياتك تختار ايه؟!!..

- انتى تختارى ايه؟!!..

- انا مش عايزه منك حاجة.. لا حبك ولا حياتك!!..

ونظر اليها مليا كأنه يتعجب من هذه المخلوقة، ثم سألها فى

لهجة طبيب يكشف على مريض:

- انتى عمرك ما حبييتى؟..

وأحست كأن شيئا استيقظ فى صدرها، وقفز الى لسانها

اسم منير حلمي، ولكنها ابتلعه ثانية، وكأنها احتاجت الى كل

إرادتها لتبتلعه، ثم قالت فى صوت خفيض:

- لا..

وعاد ينظر اليها نظرة الطبيب الى المريض:

- وعمر ما حد باسك.. مثلاً!!..

وأجابت كأنها ترد اهانة:

- لا..

قال وهو يهم بالانصراف:

- غريبة!!..

وتعلقت عيناها به، وقالت وكأنها تستمعله الى ان يتم مناقشتها:

- غريبة ليه؟..

- ولا حاجة..

ثم قال وهو ينصرف:

- على كل حال.. لسه عندي أمل!..

وانصرف وعلى شفثيه ابتسامة لم تفهم لها معنى..

وعاد فى يوم تال ومعه قصة «الباب الخلفى»..

قصة من الأدب الانجليزى تروى حياة فتاة أحببت شابا متزوجا ورضيت من الحياة بأن تعيش فى بيت منزو اثته لها، ليتردد عليها فيه بين وقت وآخر، بينما حياته كلها لزوجته واولاده..

وكبر الرجل، وأصبح وزيرا خطيرا، وزعيما شعبيا.. وزوجته بجانبه تشاركه مجده كله.. بينما هى، التى احبته لا تزال فى البيت المنزوى تجمع صوره التى تنشرها له الصحف فى البوم خاص، وتنتظر ان يدخل اليها متسللا من الباب الخلفى حتى لا يراه الناس.. ولكن الناس عرفوا بها وبدأوا يرددون قصتها ويلوكون عنها الاشاعات، وينظرون اليها ساخطين كلما مرت بهم.. ولكنها لم تأبه بالناس وانما امعنت فى انزوائها حتى لم تعد تخرج من بيتها أبدا.. إلا عندما يسافر حبيبها..

وكان يسافر لحضور المؤتمرات السياسية وتودعه حكومته

وشعبه على الميناء وداعا رسميا، ويقف وبجانبه زوجته يحييان الجماهير ويتلقيان باقات الورد ويملآن آذانهما بهتافات الشعب. وقبل ان تتحرك الباخرة بثوان يرى الناس امرأة تصعد السلم فى هدوء، ووقار، دون ان تلتفت الى احد.. ثم تختفى سريعا داخل الباخرة..

وتسرى الهمسات بين الجماهير..

«انها هى.. دائما وراءه»!!..

ويرد شيخ من بين المودعين:

«وزوجته.. دائما بجانبه»!!..

ثم يموت الرجل، ويترك نصيبا لها فى ارثه، ويثور اولاده.. فلا ترد على ثورتهم، ولا تطالب بنصيبها، انما تقضى بقية عمرها فى البيت ذى الباب الخلفى، تقلب فى البوم الصور التى جمعتها..

وقبل ان تموت يجد الأولاد فى مخلفات ابيهم مذكراته.. ويقرأون فيها:

«ماذا كنت أساوى بغيرها.. لقد علمنى حبها كيف أحب الناس.. وعلمنى وفاؤها كيف اكون وفيا لوطنى.. وعلمتنى تضحياتها كيف أضحي فى سبيل فكرتى.. لقد كانت لى كل شىء.. ان حبها هو الذى صنعنى.. ولم اجد السعادة ابدا الا لانها كانت معى.. معى دائما»..

ويذهب اليها الاولاد قبل ان تموت ليقفوا حول فراشها.. ويتضح ان زوجته ايضا كانت تعلم بقصتها.. ولكنها رضيت بها.. لأنها علمت ان مثل هذا الحب لا يقاوم.. فتذهب مع اولادها

لتقف بجانب فراش غريمتها..
وتقول لهم وهى تنظر اليهم بحنان بينما دموعها تجر جفونها
فوق عينيها وتغلقهما الى الأبد:

- شكرا.. انه لم ينسنى حتى بعد موته، فأرسلكم الى؟
وترد الزوجة وهى تنحنى تقبل جبينها:

- لقد كنت أتمنى ان اكون مكانك.. فى مثل عظمتك!!..
وتموت المرأة التى وهبت حياتها لحب رجل متزوج..

وانتهى الدكتور رشاد من قراءة قصة «الباب الخفى»..
وألقى بالكتاب ونظر الى فايضة طويلا، ثم قال فى لهجة
الاستاذ وكأنه لا يعنى شيئا باختياره هذه القصة بالذات:
- ما رأيك فى شخصية البطلة؟..

وردت فايضة وهى تغالب تأثرها من القصة:
- مغفلة!!!...

وامتعض رشاد، وقال وهو يلوى شفتيه:
- تبقى ما فهمتيش حاجة من القصة.. ما فهمتيش الهدف
منها.. الكاتب عايز يقول ان التضحية تهون فى سبيل الحب...
ان الحب هو مش هوه الجواز.. الحب حاجه والجواز حاجه
تانيه.. يعنى ممكن الست تحب راجل متجوز وتفضل تحبه من
غير ما يسبب مراته.. يعنى الحب كافى لربط اتنين من غير
جواز.. برضه لسه مش فاهمه؟..

وردت وكأنها تتحداه:

- كان ممكن تحبه من غير ما تشوفه.. من غير ما يروح لها
البيت ويدخل عليها من سلم الخدامين زى الحراميه..

قال وكأنه يكاد يجن:

- ما كانش ممكن.. مافيش حب يعيش فى الهوا.. لازم يتقابلوا ولازم عناصر الحب كلها تكتمل بينهم..

قالت وهى لا تزال تتحدى:

- الحب ما لوش نهاية الا الجواز او الانتحار.. كان أهون عليها ان تنتحر!!..

قال صارخا:

- وكانت خدت ايه من انتجارها.. كانت هيه ماتت وراحت فى ستين داهيه وهو عاش تعيش طول عمره!!..

قالت وكأنها تلقى بحطب جاف الى النار:

- طيب هوه اللى ينتحر!!..

وصرخ:

- ويسيب مراته وولاده لمين؟..

قالت وهدوؤها يكاد يفقده وعيه:

- لو كان بيحبها صحيح، كان خاف عليها من كلام الناس وكان حافظ على شرفها!!..

وعاد يصرخ:

- لازم تعرفى ان الحب أقوى من الشرف وأقوى من كلام الناس.. الحب عاطفة سامية، والشرف تقليد وضعه الناس

واتفقوا عليه.. والعاطفة دايمًا تغلب التقاليد.. والتقاليد نفسها بتتطور.. يعنى الشرف النهار ده له معنى تانى غير معناه من

عشرين والا خمسين سنة.. فهمتى؟!!..

قالت وهى لا تزال هادئة:

- اللى افهمه ان الحب هو الشرف. الحب تضحية، انما مش تضحية بالشرف.. تضحية بغريزة الانسان وأنانيته.. ومتعته.. وانتفض من فوق مقعده كالمجنون، وضرب المائدة بقبضة يده، وقال وقد التمعت عيناه ببريق ثابت كأنه اتخذ قرارا لا رجعة فيه: - أنا لو سبتك تتكلمى اكثر من كده حاجتن.. أنا عارف صنف البنات اللى زيك.. مايجوش بالذوق!!.. وكان يتقدم اليها فى خطى بطيئة، ثم أطبق على كتفها بكفيه ونزعها من فوق مقعدها وحاول تقبيلها.. وصرخت:

- ابعد عنى.. باقولك ابعد عنى!!.. قال وهو لايزال يحاول ان يلتقط شفيتها بشفتيه: - مش حابعد عنك.. اما أشوفك حتعملى ايه.. أظن حتولى لنينتك!!..

قالت وهى تضرب صدره بقبضتها: - لأ.. مش حاقول لنينه.. حاقول للعميده.. حاقوللها على كل حاجة علشان تشوف اساتذة الجامعة بيعملوا فينا ايه.. وسمع الدكتور رشاد اسم «العميدة» فكف عن محاولته، وكأن كل شىء فيه قد همد.. ونظر اليها كأنه يحاول ان يعرف مدى جدية تهديدها، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة، وقال وهو يبتعد عنها:

- هيه حصلت للدرجة دى!!..

ثم جمع كتبه..

وعاد ينظر اليها طويلا..

ثم هز كتفيه.. وخرج..



وعادت فائزة تذهب الى المعهد كل يوم..
والتقت بالدكتور رشاد فلم يرفع عينيه اليها، ولم يحيها
كعادته..

وانتظرتة فى موعد الدرس الخصوصى فلم يأت، وانتظرتة
فى الموعد التالى والذى يليه فلم يأت ايضا..
واحترت لماذا تنتظره، ولماذا تتهلف على ان يلتفت اليها!!
هل هو الغرور دائما؟.. وقد كان فى اهتمامه، وتردده على
بيتها ما يرضى غرورها؟..

لماذا لا تحمد الله لأنه ابتعد عنها.. وتستريح!!..
انها لا تستطيع.. انها تراه كل يوم فى المعهد، ومجرد رؤياه
تذكرها بقصتها.. القصة التى لم تنته بعد..

واشتدت حيرتها، وهى تراه يتجهم لها فى المرات القليلة التى
التقت فيها عيناه بعينيها، ثم يعنف فى حديثه معها فى المناسبات
القليلة التى اضطر ان يتحدث فيها اليها..

وكان قد وجه اليها سؤالا اثناء القاء درسه، فأجابت اجابة
كانت تعتقد أنها وافية، بل انها تجزم بأن اجابتها كانت
صحيحة، ولكنه قال لها وامام كل الطالبات:

- الاجابة دى مش كفاية.. لو كان الوقت اللى بتضيعيه امام
المراية، بتذاكرى فيه، كنت جاوبتى أحسن من كده..
وضجت البنات بالضحك، وقالت واحدة منهن:
- معذورة والنبي يا دكتور، اصلها جميلة!..

وعادت الطالبات يضحكن..

وجلست غاضبة خجلة ودماءها تنتفض فى عروقها..
ثم بدأت فى حيرتها تلاحظ تغامز الطالبات عليها كلما مرت
بجماعة منهن وبدأت أذننها تلتقط اسم الدكتور رشاد من بين
تغامز الطالبات..

وأصبحت أيامها فى المعهد دقائق من عذاب.. عذاب الحيرة
وعذاب الخوف من السنة الزميلات..
وبدأت تبتعد عنهن جميعا.. وبدأت تراجع نفسها فى
صداقتها لهدى..

هل تكون أفشت سرها؟

ولم تحاول ان تسألها.. انما اخذت تبتعد عنها يوما بعد يوم..
حتى ماتت صداقتها واصبحت وحيدة بين كل الطالبات.
الى ان كان يوم..

وكان من عادة الطالبات ان يذهبن الى مكتبة المعهد ويخرجن
فى الشرفات يتلقين غزل ومداعبات ابناء الجيران الذين يحيطون
بالمعهد.. وكانت أغلبها مغازلات ومداعبات بريئة.. ولم يكن
معروفا بين الطالبات الا ان زميلتهن عزيزة قد اخذت هذه
المغازلات على محمل الجد، ووقعت فى حب احد ابناء الجيران.

كانت عزيزة فتاة طويلة قوية، ليس فيها من جمال الا جمال
طولها وقوتها.. وكان اقوى ما فيها لسانها.. فخشيتها الطالبات
كلهن، حتى اصبحت بمثابة زعيمة عليهن..

وذهبت فايضة فى هذا اليوم الى المكتبة، وخرجت الى الشرفة
كبقية الطالبات، وما كادت عزيزة تراها فى الشرفة، حتى قالت

لها من بين اسنانها:

- جايه هنا ليه.. مش مكفيكى الدكتور رشاد ولا إيه؟
وأحست فائزة كأن كل مافيهها يصرخ.. كانت المرة الأولى
التي تواجه فيها بقصتها.. وقالت وهى تحاول ان تضبط
اعصابها:

- قصدك ايه؟

وقالت عزيزة ساخرة:

- ولا قصدى ولا حاجة.. بس اتفضلى من هنا من غير
مطروء!!

وأحاطت بهما الطالبات.. وأحست فائزة انها لو انسحبت فقد
حكمت على نفسها بالذل، فقالت تتحدى:
- اللى مش عاجبه انى اقف هنا.. يتفضل .. انما انا
حافضل واقفه!.

وصرخت عزيزة:

- نعم.. اسمعى يا بت انتى.. الحركات دى ما تعمليلهاش
علينا. احنا عارفينك كويس.. القنزحة دى تبطليلها احسن لك..
واكفى الشر واتفضلى من غير مطروء!.

وقالت فائزة فى اصرار:

- من فضلك لى لسانك..

وصرخت عزيزة:

- له لما تلمك تحت ترمواى.. ماتلمى انتى امك توحيده ولا
اخواتك اللى دايرين على حل شعرهم.. ولا فاكرانا كمان الدكتور
رشاد وحتضحكى على..

وصاحت فايضة:

- اخرسى يا قليلة الأدب.. أمى أشرف منك ومن عيلتكم كلها..
ورفعت عريضة كفها وهوت بها على صدغ فايظه، وردت فايظه
الصفعة.. ثم تماسكتا بالأيدى كل منهما تحاول ان تصل الى
شعر الأخرى لتشدها منه..

وارتفع صراخ الطالبات من حولهما كأن المعهد كله قد ركبته
العفاريات.. الى ان جاءت ضابطة المعهد وصحبتهما الى مكتب
العميدة!

ووجهت العميدة نظراتها كلها الى فايضة.. نظرات قاسية
تحمل الاتهام، ثم التفتت الى عريضة قائلة:

- استنى انتى بره شويه يا عريضة.

ووقف فايضة ترتعش.. كانت تحس بهلقة لترتمى فى احضان
عميدتها وتبكى فوق صدرها، وتروى لها قصتها بدموعها..

كانت العميدة هى أملها الأخير.. الأمل الذى يمثل المرأة
المثالية.. ويمثل الزوجة الكاملة.. ويمثل الحياة النظيفة الطاهرة..
الحياة التى تكافح وتتعذب لتصل اليها..

وكانت تعتقد ان العميدة وحدها هى التى تستطيع ان تفهم
عذابها، وهى الوحيدة التى تستطيع ان تأخذ بيدها فى عالم
الظلام الذى يحيط بها.

وانهمرت دموعها صامتة فوق خديها..

وأطالت العميدة النظر اليها، فى قسوة واتهام..

ثم قالت كأنها تنطق بحكم الاعداء:

- اسمعى يا شاطرة.. لازم تعرفى انى مابلعش هنا.. كل

واحدة من بنات المعهد عارفه عنها كل حاجه جوه المعهد وبره المعهد.. وعارفة عنك انتى بالذات حاجات كثير، لكنى كنت ساكته عليكى، ودى مش أول مرة تجينى شكوى منك.. وكلها شكوى ما تخلكيش تقعدى فى المعهد يوم واحد..

واتسعت عينا فايضة فى دهشة أقرب الى الاستنكار، ونظرت الى العميدة كأنها تنظر الى أمل يذوب، وقالت وصوتها أثقل من أن يحمله لسانها:

- أنا ما عملتش حاجة.. عمري ما عملت حاجة..

وردت العميدة فى لهجتها القاسية:

- لأ.. عملتى كثير.. وكان لازم تفهمى ان فيه فرق كبير بين

اللى يتعمل فى البيت واللى يتعمل فى المعهد..

وأحست فايضة بطعنات تخترق صدرها، ولكنها كتمت

جروحها وأخذت تشنج:

- أنا عملت ايه بس يا ربي.. عملت ايه.. عزيزة هيه اللى

شتمتنى وهيه اللى ابتدت تضربنى!!

وقاطعتها العميدة:

- حكاية النهار ده مش حاجة.. فيه حكايات تانية كثير..

تحبى أوريكى..

وفتحت درج مكتبها وأخرجت مجموعة من الأوراق ألقت بها

فوق المكتب وهى تقول:

- كل دى شكايات ضدك من زميلاتك.. كل شكوى منها فيها

فضيحة.. ومش بس زميلاتك، والمعلمات كمان.. ومش بس

المعلمات، حتى الدكتور رشاد اشتكى منك..

وصرخت فائزة:
- اشتكى منى أنا!
وقالت العميدة وكأنها فخورة بما لديها من معلومات:
- حكاى على كل حاجة.. حكاى ازاي أقنعتيه بأنه يديكى
دروس خصوصية.. وازاي..
وصرخت فائزة مقاطعة:
- أنا.. أنا.. أبدا والله يا ست العميدة.. والمصحف الشريف
أنا مظلومة.. أنا حاكيلك على كل حاجة..
وردت العميد فى صوت باتر:
- مافيش لازمة تحكى.. لأن معنى كده انى افتح تحقيق
رسمى وابعته الوزارة..
وقالت فائزة وهى تبكى:
- أنا مستعدة تعملى تحقيق.. اعملى فيه كل حاجة..
وقاطعتها العميدة:
- ما اقدرش اعمل تحقيق يلوث سمعة استاذ..
- وسمعتى..
- المهم سمعة المعهد.. واحب اقولك ان دى آخر مرة حاسكت
فيها عليكى.. بعد كده ما فيش قدامى الا انى افصلك من المعهد
فصل نهائى..
واحتارت نظرات فائزة فى عينيها، وأخذت تصيح:
- أنا حاقولك على حاجة ياست العميدة.. وحياة ولادك
تسمعيني.. أنا مظلومة.. مظلومة.. يا ربى..
وصرخت فيها العميدة:

وأخذت تشنّج.

- أنا عملت ايه بس يا ربى.. عملت ايه.. عزيزة هيه اللى
شتمتنى وهيه اللى ابتدت تضربنى!!..

وقاطعتها العميدة:

- حكاية النهارده مش حاجة.. فيه حكايات تانية كتير.. تحبى
أوريكى..

وفتحت درج مكتبها وأخرجت مجموعة من الأوراق ألقت بها
فوق المكتب وهى تقول:

- كل دى شكايات ضدك من زميلاتك.. كل شكوى منها فيها
فضيحة.. ومش بس زميلاتك والمعلمات كمان.. ومش بس
المعلمات، حتى الدكتور رشاد اشتكى منك..

وصرخت فايضة:

- اشتكى منى أنا!

وقالت العميدة وكأنها فخورة بما لديها من معلومات:

- حكاى على كل حاجة.. حكاى ازاي اقنعته بأنه يديكى
دروس خصوصية.. وازاي..

وصرخت فايضة مقاطعة:

- أنا.. أنا.. أبدا والله يا ست العميدة.. والمصحف الشريف
أنا مظلومة.. أنا حاكىك على كل حاجة..

وردت العميدة فى صوت باتر:

- ما فيش لازمة تحكى.. لأن معنى كده انى افتح تحقيق
رسمى وابعته الوزارة..

وقالت فايضة وهى تبكى:

- اتفضللى اخرجى.. واحمدى ربنا انى بادارى فضايحك.
وجنت فايضة وأخذت تصيح:
- مش ممكن.. مش ممكن.. لازم أقولك على كل حاجه، لازم
تسمعيني.. حرام عليكى.. حرام..
وضغطت العميدة على الجرس فدخلت «الفراشة» وأشارت
لها بأن تصحب فايضة الى الخارج..
وما كادت الفراشة تلمس فايضة حتى وقعت مغشيا عليها..
ونظرت اليها العميدة وهى ملقاة على الأرض وقد تصلبت
أطرافها كأن كل طرف منها قد دق فى الأرض بمسمار.. وقالت
من بين أسنانها:
- شوفى يا ختى كهن البنات والتمثيل اللى بيعملوه..
شمميا شوية نشادر وخليها تروح بيتها..



.. حملت الخادمة جسد فايضة بين ذراعيها كما تحمل سلة
المهملات.. وخرجت من مكتب العميدة، وسارت بحملها الطاهر
متجهة الى حجرة «العيادة»!
ولحقت بها ضابطة المعهد.. سمنية قصيرة متجهمة كأنها
الجلاد..
وسار الموكب فى خطى بطيئة كأنه موكب جنازى لميت
شريد لم يجد من يبكى عليه..
واطلت الطالبات على الموكب، بعضهن مشفقات، وبعضهن
ساخرات..
الى أن وصل الموكب الى غرفة العيادة.. وألقت الخادمة

بحملها على الارىكة، وأغلقت الضابطة الباب.. ثم تناولت زجاجة النشادر وقربتها من أنف فايضة، وهى تقول فى لهجة أمرة كأنها تأمر الروح ان تترد الى الجسد الميت:

- شمى!!..

ولم تسمع فايضة الأمر.. كانت أطرافها لا تزال متشنجة كأن كل طرف منها قد دق فى الأرض بمسمار.. وكان وجهها قد كسته صفرة، كأن كل شىء فيها قد تضى عنها حتى دماؤها.. وكانت عيناها مفتوحتين ومعلقتين فى السماء كأنهما تريان الله.. وكانت أنفاسها تتهدج فى عنف وفى صوت كالضحىح.

ووضعت الضابطة فوهة زجاجة النشادر فى فتحات أنف فايضة، فانتفضت فى قسوة مفاجأة كأن النار قد اشتعلت فى أنفاسها.. وأخذت تهز رأسها من ناحية الى الأخرى كأنها تفر بها من لسع النار.. ثم همد كل شىء فيها وارتخت أعصابها، وبين شففتيها «أه» تتردد كأنها تستنجد بها من العذاب وتسترحم ظالمها!!..

ورفعت الضابطة كفها وأخذت تربت بها على صدغ فايضة فى ضربات سريعة قوية كأنها تصفعها ولا تكف عن صفعها.. الى ان ارتدت نظرات فايضة، ونقلت عينيها بين الضابطة والخادمة..

رأت وجه الضابطة المتجهم القاسى، ووجه الخادمة الصامت المعروق كأنه تمثال مخيف من الشمع.. فارتسم الرعب فى عينيها، ثم أخذت تبكى!!..

وقالت الضابطة فى صوت مبتور جاف:

- كفاية بأه أمال.. بلاش دلع بنات ياللا قومى عيطى فى

بيتكم!!..

ولم تجب فايضة، انما جمعت دموعها من فوق خديها
وحاولت ان تقوم.. وما كادت قدماها تلمسان الأرض حتى
أحست بدوار هائل يكاد ينزع رأسها من فوق كتفيها، وأحست
بظلام داكن يتجمع بين عينيها ثم لم تعد تر شيئا..

ووقعت ثانية فوق الأريكة، فتلقته الضابطة بيدها وعادت
ترفعها لتقف على قدميها وهي تقول فى صوتها الجاف:

- ما تشدى حيلك بأه.. كفاية كده!

والتفتت الى الخادمة واستطردت:

- وصلها لغاية الباب.. وخليكى معها لغاية ما تركب

الأتوبيس ولا الترمواى..

ثم عادت تقول لفايزة وهي لا تزال تسندها بيدها:

- حتقدرى تمشى، ولا حترجعى تقعى تانى!!..

وقالت فايضة فى صوت ضعيف، وقد بدأت ترى ما حولها
فى لون الرماد المتخلف عن النار.

- حاقدر!!..

وسارت بضع خطوات مهزوزة وهي تستند بيديها على كل
ما يقابلها كأنها أعمى ضل الطريق، الى ان خرجت من غرفة
«العيادة» والخادمة تسير بجانبها تسندها بين كل خطوة
وأخرى..

وتجمع حولها بعض الطالبات، ينظرن اليها فى تساؤل،
وبعضهن لا يكلفن أنفسهن حتى مجرد التساؤل انما يكتفين
بالمشاهدة كأنهن يطردن ملل الدراسة بمنظر جديد مسل..

وبرزت هدى من بين الطالبات، وسألتها بلهفة:
- حصل ايه يا فايضة.. العميدة قالتك ايه؟..
وكانت فى لهفتها كأن كل ما يهمها أن تعرف تفاصيل
القصة أكثر مما تطمئن على حال زميلتها..
ونظرت اليها فايضة نظرات ضعيفة، أضعف من أن تعبر بها
عن مشاعرها.. واستمرت فى خطواتها المهزوزة حتى خرجت
من المعهد، وسارت معها الخادمة التى ان وصلت الى موقف
سيارات الأجرة القريب، فالقت بنفسها فى سيارة كأنها تلقى
بآخر ما بقى فيها.. والدنيا لاتزال امام عينيها فى لون الرماد
المتخلف عن النار....
ولم تدر فايضة شيئاً مما دار بين زميلاتها بعد أن خرجت.
لم تدر أن بعضهن أشعن ان العميدة قد فصلتها فصلاً
نهائياً..
ولم تدر ان بعضهن أكدن انها اعترفت للعميدة بحبها
للدكتور رشاد..
ولم تدر ان الأقاويل وصلت الى حد ان اكّد البعض ان
سبب اغماؤها أنها حامل!!..
لم تدر أنها أصبحت قصة بين شفاه الزميلات.. قصة
يرسمها خيال قاس ينبت فى مجتمع حائر ولا يدري أين الخير
وأين الشر.. وهو فى حيرته يمزق البرينات لعله يجد الخطيئة
خلف براعتهن، ويمزق الخاطئات لعله يجد البراءة خلف
خطيئتهن!!..
لم تدر شيئاً، الا أنها وصلت الى بيتها، وما كادت أمها

تلمحها فى خطواتها المهزوزة، ووجهها الذى يختلط فوقه اللون الأصفر باللون الأزرق كأنه حبة من ثمار الليمون لم يتم نضجها، وعينيها المرتخيتين كأنها تعجز عن رفع جفنيها عنهما، حتى خبطت على صدرها وصاحت:

- مالك يا فايضة.. بعد الشر عليكى....

وقالت فايضة من بين أنفاسها كأنها تتعلق بأقرب كذبة اليها:

- ولا حاجة يانينه.. عيانه...

ثم ألقى بنفسها بين ذراعى أمها..

وأحسست لأول مرة فى يومها الطويل بالراحة وهى فوق الصدر الحنون، كأنها عادت من رحلة مضنية فى عالم مجهول الى المكان الوحيد الذى تملكه..

وضممتها أمها الى قلبها فى حنان ولهفة، وهى تقول وكلماتها تخرج من صدر يتمزق لوعة:

- يا كبدى عليكى يا بنتى.. حاسه بايه يا حبيبتى؟...

وقالت فايضة فى ضعف:

- مش عارفه يانينه.. تعبانه.. تعبانه قوى يا نينه..

وأخذتها أمها الى حجرتها، وأرقدتها فى فراشها، وأخذت تخلع عنها حذاءها وملابسها..

ودخلت فوقية ملتاعة:

- مالك يا فايضة.. مالها يا نينة؟..

وقالت الأم وقد ارتسمت على وجهها خطوط عميقة من اللوعة والخوف:

- أنا عارفة يا ختى.. شوفى وشها مزروبو ازاي.. ورجيلها ..

سباقعة زى الثلج.. روحى اضربى تليفون للدكتور خليل، ييجى حالا..

وتتمت فائزة:

- بلاش دكتور..

ولكن أحدا لم يسمعها..

وارتاحت فائزة الى ادعائها المرض..

كانت ضعيفة، وكانت منهكة نفسيا، ولكنها لم تكن مريضة.. ورغم ذلك فقد وجد الطبيب فيها ما يعالجه، وما يصف له الدواء، وما يحيطها من اجله باهتمامه، وما يتقاضى عليه اجرا لزيارته.. وكل طبيب يستطيع دائما ان يجد فى كل انسان ما يعالجه، وما يبرر دفع قيمة الزيارة!!

ارتاحت فائزة لأن ادعاءها المرض واقرار الطبيب لهذا الادعاء لم يدع لأحد من أفراد عائلتها مجالا لسؤالها عن احوالها الخاصة، كل ما هنالك ان سألتها امها يوما عن الدكتور رشاد فأجابت وهى تتظاهر بعدم المبالاة، انها قد انتهت من دراسة المقرر ولم تعد فى حاجة الى دروس خصوصية.

ولم تقل فائزة شيئا اكثر من ذلك، لا لأنها تخاف ان تعلم امها أو شقيقتها بالحقيقة، ولكن لأنها كانت متأكدة من انهن سيوجهن اللوم اليها عندما يسمعن بالقصة، وسيتهمنها كما اعتدن دائما بأنها لا تفهم الحياة، وبأنها «نكدية» وكانت تكاد تسمع بخيالها صوت امها وهى ترد عليها عندما تسمع

بالقصة:

- وماله الدكتور رشاد.. جدع قيمة ومحترم.. وتعب نفسه
معاكى لما قال بس، غيرشى انتى اللى غاوية تعقيد!!..
لذلك لم ترو فايضة قصتها لأحد، وحملتها وحدها بكل ما
فيها من عذاب، تستعرضها طول يومها وطول ليلها وهى
تحاول ان تبحث عن نهاية لها..
واستسلمت لاحساس جديد..
الاحساس بالظلم!!..

لقد ظلمها القدر.. ظلمها عندما مات عنها أبوها وكان
الوحيد الذى يفهمها وتفهمه.. وظلمها عندما تركها بين امها
وشقيقتيها وهى لا تستطيع ان تسير سيرهن.. وظلمها عندما
ربط خيالها بقصص منير حلمى ثم فجعها فيه.. وظلمها
عندما سلط عليها الدكتور رشاد.. وظلمها عندما تألبت عليها
زميلاتنا فى المعهد.. وظلمها عندما أفشت صديقتها هدى
سرهما.. وظلمها عندما قست عليها عميدة المعهد.. وظلمها وهو
يحطم كل مثلها العليا، وكل ما تدين به من مبادئ، وكل من
تثق بهم من الأشخاص..

انها ضحية القدر..

ولكن ماهو القدر؟..

انه الناس.

الناس هم الذين يصنعون القدر، وهم الذين يصنعون
الحياة، وهم الذين يصنعون المبادئ والمثل العليا، وهم الذين
يحطمونها.. لقد ظلمها الناس..

وارتاحت الى هذا الاحساس الجديد بالظلم، واستسلمت له..

انها شهيدة ككل القديسين والأنبياء الذين وقع عليهم الظلم.. شهيدة كمريم العذراء عندما اتهمها الكفار بالفجور.. وشهيدة كجان دارك عندما أحرقها الانجليز!!..

وأصبحت تحيا حياة الشهيدة المظلومة.. تتكلم فى صوت خفيض كأنها تتكلم من دنيا بعيدة.. وتسير فى خطوات ضيقة كأنه قدميها مقيدتان بالأغلال، وتتنهد كأن قضبان السجن تضغط على صدرها، وتنظر الى من حولها كأنها تستسلم لظلمهم لها.

وانزوت فى فراشها لا تقوم منه الا كالطيف عندما يقرر زيارة الأحياء..

وكانت تفكر فى معيها.. هل تعود إليه لتواجه العميدة والدكتور رشاد والطالبات من جديد؟.. أم تنقطع عنه وتبحث عن طريق آخر لحياتها؟..

ولم تكن قد وصلت الى قرار، عندما سمعت صوت زغرودة يتردد فى ارجاء المنزل.. وتوالت بعده الزغاريد..

وقامت من فراشها وخرجت الى الردهة، فوجدت الخادومات يزغردن، وامها توحيدة تزعرد، وأختها فوقية تزغرد. وخديجة واقفة بينهن وبين شفيتها ابتسامة واسعة ترفع خدين يرتعشان من السعادة..

واحتضنتها امها بين ذراعيها وهى تصيح:

- مبروك يا فايضة.. اختك خديجة اتخطبت.. عقبالك!!

وشهقت فائزة من الفرحة، وألقت بنفسها بين أحضان خديجة وهي تصيح:

- مبروك يا حبيبتي.. الف مبروك.

ثم ابتعدت عنها والفرحة لا تزال تلمح في عينيها وسألتها:

- يا ترى مين؟!

وقالت خديجة وهي تعاتب أختها في رقة:

- اللي يسمعك بتسألني يفتكرك مش عايشة معانا. يعنى

مش عارفه مين؟

وقالت فائزة كأنها تحزر: اسماعيل بيه؟!

وقالت خديجة وهي تهز كتفيها:

- طبعا.. يعنى حيكون مين؟!..

- افكرت يمكن يكون مصطفى!!..

قالت خديجة وكأنها تلوم أختها على جهلها وتلقى عليها

درسا جديدا:

- مصطفى مش بتاع جواز.. ده بتاع حب بس!!..

وتدخلت بينهما الأم تقول وكأن الدنيا لا تسعها من

فرحتها.

يا لا يا خديجة شوفي حالك.. فين لسه عبال ما تروحي

للكوافير، ولتبسى.. الساعة بقت أربعة وزمان خالك جاي.

ثم نظرت الى فائزة قائلة:

- بلاش عيا النهار ده يا فائزة.. روحى البسى وتعالى

أقفى لأختك.. اسماعيل جاي يلبس الدبلة الساعة سابعة!!..

واتجهت فائزة الى غرفتها وقد بدأت الفرحة تغوص في

قلبها حتى اختفت!..

لقد تزوجت خديجة!..

تزوجت نفس الشخص الذى كان يقضى معها الليالى،
ويبادلها كؤوس الويسكى، ويمز بشفتيها، ويغترف بكفيه من
جسدها.. نفس الشخص الذى يعلم عن عائلتها كل شىء،
ويساهم فى كل فضيحة من فضائحها..

ان كل ذلك لم يحل دون ان يتزوجها..

لقد كانت تعتقد ان اختها لن تخرج من حياتها الا بهذه
الهدايا التى تتلقاها من الرجال، وهى قد زهدت فى الهدايا،
ولم تجد فيها ما يشجعها على ان تسلك سلوك اختها..

ولكنها لم تزهد فى الزواج!!..

لقد ارادت دائما ان تتزوج!!

ترى هل كان منير حلمى يتزوجها لو أعطته من نفسها ما
أراد؟!..

هل كانت تتزوج الدكتور رشاد لو منحته شفتيها عندما
طلبهما؟

هل هذا هو طريق الزواج؟..

هل الخطيئة هى الطريق الى الفضيلة؟

وتذكرت كلمة قالتها اختها يوما: «اللى تخطفيه تتجوزيه»!

هل الزواج مجرد عملية خطف؟!..

ولم تجد ما تجيب به على نفسها، أو تقتنع به.. انما عاودها
شعورها بأنها مظلومة وأنها شهيدة، فأخذت تبذل ثيابها فى
بطء واسترخاء كأنها تعد نفسها للفدية الكبرى، ثم وضعت

ابتسامة باهتة على شفتيها، وخرجت لتتشارك مع العائلة فى استقبال الضيوف، وتشارك مع أختها فى فرحتها..
وجاء خالها.. انه الرجل الوحيد الذى تخشاه العائلة
وتحسب حسابه وتلجأ اليه فى مللماتها.. ورغم ذلك فقد كان
بعيدا عن العائلة، لا يزورها الا فى المناسبات، وتستعد العائلة
عادة فى مناسبة زيارته بمائدة دسمة تبدو خلالها البنات أكثر
احتشاما وتبدو أمهن أكثر وقارا..

ولكن الخال فى كل المناسبات لم يحاول ان يسأل كيف
تعيش العائلة، ولم يحاول ان يتقصى من أين تصرف الأم على
بناتها ولا من أين اقتنت هذه الشقة الفاخرة فى حي الجيزة..
كان كل ما يهمه ان يتمتع كرشه الضخم بالمائدة الدسمة، ثم كان
يهمه أكثر أن يسأل توحيدته عن قيمة ما ادخرته وفى اى بنك
من البنوك تضع نقودها، وفى اى ناحية تنوى استغلالها.
وكانت توحيدته تحرص أكثر منه على ان تخفى عليه حقيقة ما
تملكه..

كان الخال سعيدا بهذه العائلة لأنها لا تكلفه شيئا وقد
يستفيد من ورائها شيئا..

وكانت العائلة سعيدة به كمظهر لابد منه عندما تحتاج
المظاهر الى رجل يمثل العائلة..

وانحنت فائزة تقبل يد خالها فقال لها وهو يفحصها بعينيه:

- ماشاء الله، ده انتى كبرت أهوا

ثم استطرد، وهو لا يزال يفحصها بعينيه:

- انتى لسه بتروحي المدرسة ولا ايه؟

وأجابت فاييزة فى صوت خافت:

- أيوه..

وقال فى صوت أجش كأنه صاحب الأمر والنهى فى العائلة:

- ما تتلمى فى البيت أحسن لغاية ما يجييك ابن الحلال..
ولا واخداها حجة علشان تخرجى كل يوم.. ورايحه فين،
رايحة المدرسة.. وجايه منين، جايه من المدرسة!
ثم التفت الى اخته قائلاً:

- جرى ايه يا توحيدة.. مش كفاية مدرسة للبننت دى ولا
ايه.. احنا معندناش بنات فى السن ده يروحوا مدارس!
وقالت توحيدة وهى تبسم لتخفف من حدة اخيها:
- أعمل فيها ايه يا خويا.. آل عاييزة تطلع معلمه آل..
ورأسها والف سيف انها تروح المدرسة.. غلبت انى اتحايل
عليها تقعد فى البيت مع اخوتها، انما ما فيش فايده.. طول
عمرها عنيدة ورأسها ناشفة..
وقال الخال:

- هى طالعة زى ابوها الله يرحمه..

ولم تعن فاييزة بالرد على خالها، انما سككت وأخذت تطوف
بعينيها فوق وجهه كأنها تنظر الى مخلوق عجيب..
وسارت اجراءات الخطوبة بعد ذلك كما تسير فى كل بيت
محافظ متزمت فى تقاليده..

جاء اسماعيل.. رجل فى الأربعين من عمره تحتقن الدماء
فى وجهه من تأثير الخمر، ويصر على إمالة طربوشه فوق

رأسه حتى يلتقى طرفه بطرف حاجبه، وهو فى مشيته وحركاته يبدو عليه الاحساس بأصله العريق وثرائه العريض.
وجاء معه بعض اصدقائه أو ندمائه، ينثرون تحت اقدامه آيات النفاق..

واستقبلهم الخال بالكلمات المعتادة، ثم وضع يده فى يده، وقرأ الفاتحة..

ودخلت بعد ذلك خديجة تسير على استحياء كأنها لم تلتق برجل من قبل، ومعها شقيقتاها..

ووضع اسماعيل دبلة الخطوبة فى يدها، وتعالى الزغاريد فى اركان المنزل، وقدمت الشريات..

ووقفت الأم تشرف على كل ذلك، كأنها تدير خطة موضوعة رسمت بنفسها كل خط فيها..

وجلست فايضة تدير عينيها فى كل الحاضرين وتتعجب لبراعة التمثيل.. ان كلا منهم وقور هادىء محتشم.. لا خمر، ولا ضحكات خليعة، ولا كلمات فاجرة!!..

لقد انقلب البيت فجأة الى بيت محافظ..

وانتقل الحاضرون، وهم فى وقارهم وهدوئهم، الى مائدة العشاء.. عشاء دسم أرضى شهية الخال العزيز..

واستأذن اسماعيل وصحبه فى الانصراف، وهمس فى اذن خديجة فى غفلة من خالها:

- انا خارج تانى..

وهمست خديجة:

- لا.. بلاش الليلة.. يمكن خالى يسهر معنا..

وكرر الجميع كلمات المجاملة والتهنئة، وقال الخال:
- بأذن الله، الليلة الكبيرة فى كتب الكتاب.. احنا اصلنا
ناس محافظين، والقاتحة دايمًا نقرأها على الضيق.. وربنا
يتمم بخير..
وانصرف العريس وصحبه..
وجلست توحيدة مع اخيها فى الصالة.. واجتمعت البنات
الثلاث فوق فراش خديجة يتحدثن عن مشروعات المستقبل.
وقالت فوقيه:
- شوفى الراجل يا اختى... اللى ما رفع عينه طول الليل..
وأجابت خديجة:
- اسماعيل دايمًا يسكر فى المناسبات دى.. الحقيقة انه
راجل طيب، ما فيهش عيب الا الشرب.. وتقل الدم..
وقالت فايضة:
- انما أنا ما كنتش مصدقة انك بتحبيه..
وقالت خديجة:
- ولا باحبه ولا حاجه!..
- مش اتجوزتية؟..
- طيب والجواز ماله ومال الحب.. راجل غنى ويحبوح
وعايز يتجوزنى، اقوله لا!!..
- مادام ما بتحبهش كان لازم تقوليله لا..
ونظرت خديجة الى اختها نظرة اشفاق، وقالت:
- يا فايضة فتحى بأه.. طول ما انتى بتقولى الكلام ده..
عمرك لا حتجوزى ولا حتحبى!!..

- مش فاهمه!!

- يعنى لو استنيتى على الجواز لغاية ما تتجوزى اللى بتحبيه عمرك ما حتتجوزى.. ولو استنيتى على الحب لغاية ما تحبى اللى يتجوزك عمرك ما حتحبى!!..

- مش معقول.. أنا عرف بنات كتير اتجوزوا على حب!

- اوعى تصدقى.. واللى بتتجوز على حب بتاخذ على دماغها.

- يعنى كل اللى بيتجوزوا ما بيحبوش اجوازهم؟..

- اللهم طولك ياروح.. شوفى ياستى.. اللى زى ولا زيك لما تحب حاتحب ايه.. مش على الاقل شاب صغير وجميل ودمه خفيف.. الشاب ده عمره ما بيقدر يتجوز. دايمًا تلاقيه غلبان وما حيلتهوش غير ماهيته.. اتناشر جنيه.. ولا بالكثير عشرين لما يكون متخرج من الجامعة ويقاله ثلاث اربع سنين فى الوظيفة.. تقدرى تقولى اعيش معاه باتناشر ولا عشرين جنيه إزاي؟..

وقالت فايضة:

- أنا مستعدة اتجوز راجل فقير دقه ما دام باحبه!..

وقالت خديجة ساخرة:

- ده كلام قصص.. الله يخيبك يا منير يا حلمى زى مابتخيب البنات بقصصك.. يا حبيبتي.. يا اختى.. يا ستى.. افهمى.. اعلى.. الجواز عيشه.. والحب مزاج، الجواز يعنى تاكلى وتشربى وتلبسى وتسكنى وتحوشيك قرشين، والحب يعنى كلام حلو، ومناظر حلوه، واغاني وجوابات وبوس

وحضن.. يعنى مافهش أكل ولا شرب.. الا بأه اذا حبيتى
البقال علشان يديكى حنة جنة، وحبيتى صاحب العمارة
علشان يصهين عن الاجرة، وحبيتى بتاع الصالون الأخضر
علشان يقطع لك حنة قماش!!..

وقالت فايضة وهى تتحدى اختها:

- ويا ترى اسماعيل عارف انك مش بتحبيه؟!!..

وقالت خديجة وقد بدأت تفقد أعصابها من طول المناقشة:

- قصدك ايه.. يعنى أروح أقول له أنا ما بحبكش وتعالى
اتجوزنى.. لا يا حبيبتى.. واوعى تفتكرى انى ضحكت عليه
فشر.. ده حفيت رجليه قبل ما ارضى بيه.. وأحب أقولك انه
قبل ما يكتب الكتاب لازم يكتبلى الفيلا بتاعته.. يا كده يا
بلاش.. انا مش عبيطة زيك.. كل شىء بتمنه.. وقالت فايضة
ساخرة:

- على كده لازم بيحبك قوى.. اللى يدفع فيكى الثمن ده

كله!!..

وردت خديجة صارخة:

- ما يهمنىش اذا كان بيحبنى ولا مايحبنيش.. المهم انه

حياتجوزنى.. . ومين عارف، يمكن يطلقنى بعد شهر ولا
شهرين..

وقالت فايضة:

- آمال اتجوزتية ليه بس؟..

وقالت خديجة وهى لا تزال تصرخ:

- علشان اتجوز.. زى الراجل ما لازم يتوظف، البنت لازم

تتجوز.. علشان مايقولوش على بايره.. علشان عايزه ييقالى
بيت وابقى ست بيت.. فهمتى!!؟.. فيه حاجة كمان قبل ما
نقفل المحضر!!؟..

وقالت فايضة دون ان تهتز:

- ومصطفى!!؟..

- ماله..

- كنت فاكره انك بتحبيه..

- ولسه بأحبه..

- وحتضحى بحبه علشان خاطر اسماعيل؟..

- لأ.. اطمنى .. برضه حافضل أحبه..

- ياخبر.....

- ايه.. جريمة.. فضيحة.. انتى يابنت مش عايشه فى

الدنيا.. مش حاسه الناس بتعمل ايه.. ما تعملى زيهم وتريحي

نفسك...

وقاطعتها فوقيه قائلة:

- فكرتيني.. مصطفى ضرب تليفون وانتى بتلبسى الدبلة

وبيقولك مبروك عليكى عريسك الخفة....

وابتسمت خديجة قائلة:

- دمه ثقيل.....

وقالت فايضة وهى تلوى شفيتها سخطا:

- يعنى عايزه تقولى ان كل واحدة بتتجوز، لها واحد بتحبه

غير جوزها.. كل العيلات كده؟..

وقالت فوقيه ساخرة وهى تهم بالقيام:

- لا.. احنا بس.. استريحتي!..
وردت فايضة وفي كلماتها مرارة:
- طبعا احنا بس.. احنا اللي ما لناش أب يربينا ويحمينا..
احنا اللي دايرين على حل شعرنا.. لغاية الرجالة ما طمعوا
فينا..

وقالت فوقية وهي تفتح الباب وتخرج:
- اسلمى ياسست خديجة.. دور تعديد على المرحوم بابا!!..
وخرجت فوقية..
ونظرت خديجة الى اختها فايضة طويلا كأنها لا تصدق ان
اختها لا تزال ساذجة الى هذا الحد، او كأنها تبحث عن السر
الذى يكمن فى صدرها ويدفعها الى تصرفاتها ، ثم مدت
ذراعها وأجاطتها بها وقالت فى حنان:
- انتى زعلانة من حاجة يا فايضة.. حد منا زعلك.. ناقصك
حاجة؟..

وقالت فايضة فى صوت خفيض:
- أبدا..
- أمال مالك؟..
- مش عارفه مالى.. أنا محتاره.. محتاره بينكم وبين
الناس.. انتم عايشين فى وسط ما بتسمعوش فيه حاجة.. انما
أنا باسمع حاجات كثير.. باسمع اسمك واسم ماما فى المعهد
وعلى كل لسان..

وربتت خديجة على ظهر اختها قائلة:
- باه انتى يهمك كلام الناس.. مافيش حد ما بيتكلمش على

حد يا فايضة.. كل الناس بتتكلم على بعضها.. ولو عرفتى
بلاوى الناس تصدقى اتنا أشرف منهم ميت مرة..
وقالت فايضة وقد استراحت الى حنان اختها:
- أنا ما بستحملش حد يجيب سيرتك..
وقالت خديجة:

- تعرفى لو قفلنا على نفسنا البيبان والشبابيك.. برضه
الناس حتتكلم علينا.. زى احنا ما بنتكلم عليهم.. هاتيلى اللى
تعجبك وانا احكيك عليها ميت حكاية.. تعرفى زبيدة هانم مثلا
ايه رأيك فيها؟..
- ست طيبة..

- أهى بتحب عزيز اخو اسماعيل الصغير.. وواخذ لها
شقة فى ميدان الازهار كل يوم والتانى تروحله فيها..
- مش مغقول..

ورحمة بابا.. تعرفى مين كمان.. اقولك حاجه بس ما
تزعليش.. تعرفى منير حلمى ماشنى مع مين اليومين دول؟
ورفعت فايضة رأسها من على صدر اختها ونظرت اليها فى
لهفة ممزوجة بالألم، واستطردت خديجة:
- مع زوزو فتحى..

- مش ممكن.. دى حجت السنة اللى فاتت مع والدتها..
- أهو من يوم ما رجعت من الخجاز وهيه معاه..
وقفزت فايضة من فوق الفراش ووقفت فى وسط الحجرة
وصاحت:

- مش ممكن.. مش ممكن..

- أنا باقولك حقايق.. بس عيبنا اننا ما بنعرفش نخبي..
وماما طول عمرها جريئة وصريحة وما يهمهاش حد.. كانت
تقدر تعمل كل حاجة وتحفظ بالمظاهر، انما ما رضيتش تتجوز
بعد بابا ما مات علشان خاطرنا، والناس من يومها بيتكلموا
عليها وعلينا.. رغم كده فضلت محافظة علينا وعلى شرفنا.. لو
كانت سابتنا يوم ولا غمضت عينها عنا، مين عارف كان جرى
لنا ايه.. ولولا هيه ما كانش اسماعيل فكر انه يتجوزني وتأكدى
انه ما خطبنيش إلا لما عرف انى شريفة وانه ما يقدرش ياخذ
غايته منى الا بالجواز..

وقالت فائزة فى صوت ذاهل:

- شريفة؟؟ ايه هو الشرف؟؟

وقالت خديجة وكأنها لاتزال تلقى على أختها درسا فى
الحياة:

- الشرف معناه انك تشغلى مخك.. انك ما تطلعيش فى
السما بخيالك، ولا تندبش على بوزك فى الأرض.. تفضللى
واقفه على رجليكى وتشوفى الناس ماشيه إزاي وتمشى زيهم
وتشغلى مخك فى كل خطوة !؟

وقالت فائزة فى صوتها الذاهل:

- مش فاهمة !!

وعادت خديجة تلقى درسها:

- البنات اليومين دول كلهم زى بعض.. كلهم رايعين جاينين
فى السكك.. وماحدث عارف دى رايحة فين ودى جاى منين..
الى رايحة تقرأ الفاتحة للسيدة يمكن تكون فأتت فى سكتها

على جرسونيرة.. واللى يقولوا عليها خسرانة تلاقيها غلبانة
وعبيطة.. والرجالة كلهم زى بعض ماحدث عارف مين فيهم
الكويس ومين الوحش.. اللى عامل شيخ تلاقيه مقطع السمكة
وديلها من تحت لتحت.. واللى داير فى البارات وببيضحك
وبيرقص يمكن يكون طيب وابن حلال وعنده اخلاق.. دى حال
الدنيا يا فايضة، ومافيش قدامك طريق فيها إلا ان تشغلى مخك
وتدورى على حالك!!

وقالت فايضة وكأنها تقاوم اقتناعها، وتطرد شبحا مخيفا
يحاول ان يسطو على رأسها:

- أنا مليش دعوة بالناس.. كويسين وحشين، مايهمنيش..
اللى يهمنى انى اكون مقتنعة باللى باعمله.. ماقعدش اسكر مع
الرجالة وأترمى على كل واحد، وأقول الناس كلها بتعمل كده..
اذا كانت الناس كلها غلطانة، مش ضرورى اغلط زيه!! وقال
خديجة وهى تطل على اختها بنظرة مشفقة:

- انا خايفة عليكى يا فايضة.. حنتعبنى طول حياتك..
وأجابت فايضة ثائرة:

- معلهش.. أنا راضية بتعبنى..

وخرجت وفى عينيها نظرات ثائرة.. انها ثائرة على الناس
كلهم.
وتتحدى المجتمع كله..



وانشغلت العائلة كلها فى الاعداد لحفلة عقد قران خديجة
واسماعيل..

حتى فايضة جرفتها زحمة الاستعداد فانشغلت عن عذابها،
واصبحت تقضى يومها مع امها واختيها فى الطواف بالمحال
التجارية ودور الخياطة والطواف على العائلات لدعوتها إلى
الحفل..

وبدأت تحس نحو اسماعيل بشعور احترام عميق.. نسيت
ادمانه الخمر، ونسيت كلماته الخارجة واصبحت تعتبره رجلا
عزيزا عليها.. لا تنفر منه ولا تحتقره ولا تلومه.. بل ترحب به
دائما، وتتحمل نكاته كما تتحمل اخطاء رجل ساذج طيب
القلب.

وسألتها امها:

- مش حتعزمنى بتوع المعهد يافايضة؟

وفكرت فايضة قليلا، ثم التمعت فى عينيها نظرات التحدى،
وجلست تكتب دعوات لحضور الحفل إلى عميدة المعهد وإلى
جميع المدرسات، وإلى جميع الاساتذة، بما فيهم الدكتور
رشاد، وإلى زميلتها هدى، بل حتى إلى زميلتها عزيزة.
وكانت تكتب اسم كل منهم على بطاقة الدعوة، وكأنها
تصفعه، وتتحداه، وتعلن نفسها أمامه..

وأقسمت توحيدة ان يكون فرح ابنتها تاما من كل شىء.

اتفقت مع عزوز العشى..

واتفقت مع ليلى مراد.

واتفقت مع كارم محمود..

واتفقت مع نعيمة عبده لتحى زفة العروس.

واتفقت مع موسيقى البوليس لتعزف الحانها بجوار باب

العمارة.

وزينت واجهة العمارة كلها بالكهرياء.
واقيم صوان كبير شغل سطح العمارة كله.. وقسم إلى
قسمين: قسم للسيدات، وقسم للرجال..
لم تدع شيئاً لم تعده ولم تنفق عليه.. وكانت مسرفة.. غاية
الاسراف.. وكان اسماعيل يطاوعها فى اسرافها فى طيبة
وسذاجة.. كأنها كانت تريد باسرافها ان تعوض شيئاً
ينقصها.

وجاءت الليلة الموعودة..
وبدأت فايزة تحس بالقلق.. كان هناك شىء يقبض قلبها
ويhez رئيتها بعنف داخل صدرها.
كانت تخاف.. تخاف ان يتخلى الناس عنها وعن عائلتها.
تخاف ان يعاقبهم المجتمع فلا يلبي دعوتهم إلى الحفل.
وتصورت فى انقباضها، الصوان العريض وقد خلا إلا من
بضعة انفار.. وتخيلت ليلى مراد تغنى فى مأتم انصرف عنه
المعزون.

.. وكارم محمود يعزف على عوده كأنه يبكى حظه، وتخيلت
نعيمة عبده تقود الزفة بين المقاعد الخالية وتخيلت البوفيه
والخراف التى فوقه اكثر عددا من الواقفين حوله..
وتخيلت اختها خديجة تبكى حفلها الخالى كأنه انقراض
خيالها وامها تضرب كفا بكف وهى تهدد وتتوعد كعادتها،
واسماعيل مكثف بندماته يشرب الكأس تلو الكأس ولا يجد من
يقنعه بأنه العريس.

وأخذ خوفها يشتد كلما اقترب الليل، حتى خيل اليها انه
اهون عليها ان تفر..

ولكن المدعويين بدأوا يفدون لهم.
جيرانهم القدامى، وجيرانهم الحاليون، والاصدقاء
والصديقات واقربائهم الذين لم يروهم من زمن.. ثم مدرسات
المعهد وزميلاتها.. وبعض اساتذتها.
كلهم ماعدا العميدة والدكتور رشاد.
ولكن العميدة ارسلت برقية.. والدكتور رشاد ارسل باقة من
الورد.

وادارت عينيها فى الصوان المزدهم وامتلأت اذناها
بالضحكات والضجيج.. ولم تحاول ان تستمع إلى همسات
المدعويين، ولم تحاول ان تسأل نفسها: هل جاء كل هؤلاء من
اجل ليلى مراد وعزوز العشى، أم ليشاركوا اختها فرحتها؟
واحست ان العائلة قد انتصرت، واستردت شرفها..
وابتسمت ساخرة من الجميع، وهمست بينها وبين نفسها؟
- الناس كلاب.



وقامت فايضة من نومها صباح اليوم التالى لحفلة قران
اختها، والدنيا قد اتسعت امامها حتى اصبحت ترى ما وراء
الأفق.. اصبحت تحس انها ارتفعت لتقف فوق جبل عال
وترى دنيا لم ترها من قبل، وترى الناس كما لم ترهم من
قبل.. تراهم صغارا اقزاما لا يؤبه لهم، انما يتعلقون بقدميك
كلما سرت بينهم، وعلى قدر قوة خطاك تستطيع ان تشق
طريقك، وان تنفضهم عن قدميك، وان تصل إلى هدفك.
لقد رأت الناس على حقيقتهم عندما لبوا الدعوة لحضور
حفلة قران اختها.. الناس الذين كانت تخافهم، وتخاف
ألسنتهم وتدارى عنهم سلوك امها واختيها.. الناس الذين

اعتقدت يوما أنهم نبذوها من مجتمعهم، ونبذوا عائلتها لأنها عائلة لا تراعى اصول الفضيلة ومظاهرها.. هؤلاء الناس قد جاءوا كلهم إلى البيت الذى اتهموه فى عرضه.. جاءوا بنسائهم.. ورجالهم.. وشيوخهم.. وشبابهم جاءوا بكل تقاليدهم وورعهم وتقاهم ومظاهرم، ليستمعوا إلى غناء ليلي مراد وكارم محمود، ويشاهدوا رقص نعيمة عبده، ويلتهموا الاطباق التى اعدّها لهم عزوز العشى!!

ما أرخص الثمن الذى تستطيع ان تسترد به كرامتك فى المجتمع!!

يكفى ان تقيم حفلا، وان تستأجر مطربة، وان تعد طعاما يكفى هذا ليزحف المجتمع كله اليك على يديه وقدميه.. ككل البهائم التى تسير على أربع!!

يكفى هذا لتحمل توحيدة لقب «هانم» ويقبلها جميع نساء مصر فوق هذا الخد، وقبله اخرى فوق خدّها الثانى!!

ويكفى هذا لتصبح خديجة «عروس الموسم» كما تقول الصحف، وان يحتفل بقرانها كل الناس وبنفس الحماس الذى يحتفلون به بمولد القديسين وأولياء الله الصالحين!!

ويكفى هذا لتصبح فوقية حلما يراود كل شاب يسعى للزواج ويراد كل أم تفكر فى ان تختار لابنها زوجة.. مادامت فوقية من عائلة تستطيع ان تقيم مثل هذا الحفل الباذخ الكريم!!

ويكفى هذا لتقتنع فايژه بأن الناس كلهم كلاب!! وعادت فايژه الى المعهد بعد ايام من عقد قران اختها..

انها لم تنس قصتها مع استاذها الدكتور رشاد..
ولم تنس خيانة صديقتها هدى لها عندما أفشت سرها
للطالبات..

ولم تنس مشاجرتها مع زميلتها عزيزة، وما تفوهت به من
ألفاظ فى حق عائلتها..

ولم تنس الاتهامات الظالمة التى وجهتها اليها العميدة..
ولم تنس الخطابات الحقيرة التى ارسلتها بعض
المدرسات وبعض الطالبات الى العميدة..
ولم تنس شيئاً..

وقد عادت الى المعهد لتتحدى هؤلاء جميعاً..
انها لا تزال مؤمنة بمعانى الفضيلة، ولا تزال مؤمنة بأن
الشرف هو ان يبقى كل ما فيها عذرياً لا تمتد اليه يد رجل،
ولا تزال مؤمنة بأن الحب ليس له الا نهايتان: الزواج.. او
الانتحار..

ولم يتخول ايمانها رغم الجهود الكبير الذى بذلته اختها
خديجة لتقنعها بأن «الشرف» هو «الذكاء» وان من يستطيع
ان يستعمل ذكائه يصبح شريفاً فى نظر الناس، وان الزواج
«عيشة» والحب «مزاج» ولا يمكن ان تجد العيشة والمزاج فى
شخص واحد..

كل ما تحول فيها انها لم تعد تؤمن بالناس، ولم تعد
تخافهم.. وقد قررت ان تتحداهم، وتدافع عن فضائلها
ضدهم..
لم لا؟..

لقد دافع محمد عن مبادئ الاسلام بحد السيف..
ونشر المسيحيون فضائل دينهم بحد السيف..
وكل أصحاب المبادئ تحدوا الناس بمبادئهم، وحاربوا
فى سبيلها..

وستحارب هى.. ستتحدى.. ستطرد عن نفسها الشعور
بالعذاب والظلم.. وستنسى انها تعسة منذ ان مات عنها
أبوها وستجعل من مبادئها أبا لها يصونها ويحميها..
ولكنها لم تجد نفسها فى حاجة الى اعلان الحرب..
لقد استقبلتها زميلاتا الطالبات مرحبات، وأخذت كل
منهن تهنئها بزواج شقيقتها، ووجدت المعهد كله يتحدث عن
حفلة القران، وعن ثوب العروس، وعن اغانى ليلى مراد، وعن
تصرفات المدعويين..

حتى العميدة نادتها وهنأتها ثم قالت لها وهى تفتعل
الحنان:

«انا عايزاكى تاخدى بالك من نفسك يا فايضة.. مش عايزه
اسمع عنك حاجة ابدا»..
وأجابت فايضة وعلى شفيتها ابتسامة فيها من السخرية
أكثر مما فيها من أدب:
- ياذن الله..

وربما خيل اليها ان الطالبات يتهامسن فيما بينهن عن
الحفل، وعن عائلتها، وأنهن لم يعفينها من ألسنتهن
رغم تلبيتهن لدعوتها.. ولكنها لم تعد تهتم بالهمسات..
أصبحت تعتقد أن كل هامس جبان، وأن من يهمس دون أن

يرفع صوته برأيه أشبه بالذى يكتب خطاب تهديد غفل من الامضاء.. وما دام أحد لايجرؤ على ان يواجهها برأيه فيها، فلا يجب ان تهتم بأحد..

أصبحت تثق فى نفسها، وفاض هذا الشعور بالثقة على وجهها وأطل من عينيها وطبع جميع تصرفاتها، حتى أحست به جميع الطالبات، فأصبحن اقل تجرؤا عليها، وأصبحن يتوددن اليها.. بل أنها وجدت بين طالبات السنة الأولى من تحبها حبا عنيفا فتهددها الورود كل صباح، وتطلب صورها، وتكتب لها خطابات أقرب الى الخطابات الغرامية..

وكانت كلما ازدادت ثقة فى نفسها، إزدادت احتقارا للناس وأقنعت نفسها بأن كل ما تبديه لها الطالبات من تودد ما هو الا نفاق.. وأنهن ينافقنها لأنهن شعرن بقوتها.. وقوة جمالها.. وقوة مظهرها وقوة تحديها لهن!!.. حتى الدكتور رشاد أصبحت تتحداه..

لم تعد تخفض عينيها عندما تلتقى به او عندما يلقي درسه.. أصبحت تحمق فيه طوال الوقت بعينيها كأنها تتحداه أن ينظر اليها.. وأصبحت ترد اسئلته فى قوة وحزم وثقة.. بلا ضعف، وبلا تردد، وبلا شعور بانها اخطأت يوم سمحت له باعطائها دروسا خصوصية.

وخيل اليها ان الدكتور رشاد بدأ يتراجع.. بدأ يخشاها ويتحاشاها حتى لم يعد يرفع عينيه اليها، وكل ما هنالك انه ظل يظلمها فى تقدير الدرجات لها وربما كان ينتظر منها ان تتقدم اليه لتحاول ان ترجوه ان ينصفها وان يرفع من

الدرجات التى يقدرها لها.. ولكنها لم تفعل.. كانت تعلم الثمن الذى تدفعه لتشتري به الدرجات.. وربما كان يكفى ان تبترسم له، او ان تجرى وراءه عقب القاء درسه كما تفعل بقية الطالبات..

ولكنها لم تفعل.. لم ترض ان تدفع شيئاً من الثمن.. ولم تأبه بدرجاتها فى الأدب الانجليزى.. انما ظلت تتحداه وتجريه الى مناقشتها اثناء الدرس، وكأنها تتلذذ من شعورها بتحدى، وتتلذذ من ايمانها الجديد بنفسها.. وصاحبها هذا الشعور فى البيت ايضا..

كانت خديجة قد انتقلت الى بيت زوجها.. «فيلا» انيقة فى شارع الهرم، ولم يبق فى البيت الا هى وشقيققتها فوقيه وامها.. وقل عدد الرجال الذين يترددون على البيت، عندما اصبح اسماعيل وأصحابه يقضون سهراتهم فى بيت اختها..

ولكنها لم تعد تشعر بالثورة التى كانت تشعر بها، سواء قل عدد الرجال او زاد..

لقد أصبحت تعتقد ان المجتمع يقر امها على سلوكها بدليل انه لى دعوتها الى حفل عقد القران..

لقد حضرت كل الأمهات هذا الحفل، وكل الزوجات، وكل البنات.. حضرن وهن يعلمن عن سلوك امها ما يعلمن.. فلماذا تظلم أمها وحدها، ولماذا تثور هى وحدها ما دام المجتمع كله لا يثور..

وقربها هذا التحليل من أمها، لم تعد تنفر منها، ولم تعد

تتحاشى الحديث معها .. بل أقبلت عليها فى كل مناسبة
تسمع منها مشاكلها وتحاول أن تحلها معها، وتسمع
نصائحها ولا تعمل بها ..

وزاد التقارب بينها وبين أختها أيضا، وأصبحت تستمع
الى مغامراتها كما تستمع الى قصص واقعية من صميم
الحياة ..

وأصبحت تنظر الى الرجال الذين يفدون الى المنزل
كضيوف عاديين، ولم تعد تسائل نفسها عن السبب الذى
يزور الرجال من أجله بيتا ليس فيه رجال .. لم تعد تتساءل،
فلا بد ان المجتمع يسمح بذلك، فاذا كان فى ذلك خطيئة فهي
خطيئة المجتمع كله ..

ولم تعد تخشى هؤلاء الرجال، ولم تعد تتعمد ان
تتحاشاهم ولكنها بقيت لا تشترك فى سهراتهم، لا لشيء الا
لأنها لا تريد ولأنها لا تجد متعة فى الاشتراك فى هذه
السهرات، ولأنها تؤمن بأنه اذا كانت هذه السهرات هى
خطيئة المجتمع كله، فهذا لا ينفى انها خطيئة ..

وعندما كانت تأوى الى فراشها لم تكن تجد خيالها فوق
الوسادة وعذابها تحت اللحاف .. لقد طردت خيالها، وطردت
عذابها .. ولم يبق لها الا الوحدة !! ..

لقد كان الخيال والعذاب يملآن وحدتها، ويلهيانها فى
عزلتها عن الناس، فلما طردتهما لم تجد ما يعوضها عنهما ..
لم تجد هناء ولا سعادة .. لم تجد الا شعورها باحتقار
الناس .. واحساسها بالثقة فى نفسها ..

ولكن ماذا تفعل بهذه الثقة؟..

الى أين توجهها؟..

ماذا تريد؟..

انها تريد ان تكون معلمة، وهى فى سبيل ذلك تذهب الى
المعهد وتقضى وقتا طويلا فى استذكار دروسها.. ولكن لا
المعهد ولا الاستذكار يكفيان لملء وحدتها.. هناك ناحية من
ناحيتها يشغلها فراغ كبير.. وهذا الفراغ بدأ يعذبها!.

واشتد احساسها بالوحدة..

وقرأت فى كتاب الفلسفة قول « نيتشة »: « الرجل القوى

هو الرجل الوحيد »!.

انها قوية بثقتها فى نفسها.. وهى وحيدة.. ولكن ماذا
تفعل بقوتها، وماذا تفعل بوحدتها. هل تصبح فيلسوفة
كنيتشة تتأمل فى الكون وتضع له النظريات!.

ثم ان نيتشة يتحدث عن الرجل القوى.. وهى ليست
رجلا.. انها فتاة، هل الفتيات ايضا يصبحن اقوياء
بوحدتهن!.

وبدأت تفكر فى شغل وحدتها.. الوحدة التى تدهمها مع
الليل..

ولم تجد الا التليفون.. وقفز الى ذهنها الاستاذ منير
حلمى.

لم لا تحادثه!.

لماذا تخافه!.

إنه سافل.. هذا صحيح..

وقد خدعها عندما ادعى حبها وهو على علاقة بأختها..
وهذا صحيح ايضا!.

ولكن لماذا تخاف من خداعه، ما دامت تعلم أنه خادع!!..
ألا تثق فى نفسها!.

ألم تقرر أن تتحدى الجميع!.
وادارت رقم منير حلمى.. الرقم الذى لا تزال تحتفظ به
فى ذاكرتها..

وتشاء قلبها فى صدرها، عندما سمعت صوته، وكأنه
يستيقظ بعد نوم طويل، وبذلت جهدا كبيرا لتسيطر على
نبرات صوتها، وقالت فى لهجة ساخرة متحدية وقلبها لا
يزال يتثأب:

- الأستاذ منير؟..

وسمعت صوته الكسول يرد عليها كأنه يدعوها الى ان
تكسل بجانبه:

- أيوه يا أقندم..

- قصتك الأخيرة بايخة قوى يا أستاذ..

فأجابها وقد اهتز صوته من المفاجأة:

- معلش.. القصة الجاية حتعجبك باذن الله....

- مش ممكن.. ولا قصة بتكتبها تعجبني..

- مرسى.. وحضرتك تبقى مين؟..

- أنا واحدة.. واحدة عايزه تقولك ان الخيال اللى بتكتبه

ده ما حدش يصدقه.. والحب اللى بتحكى عنه مش موجود..

عايزاك تكتب قصة من الحياة.. قصة تصور حياتك او حياة

أى واحد او واحدة من اللى عايشين على الأرض..
وأجاب كأنه يهتم بسماع نبرات صوتها أكثر مما يهتم
بسماع ما تقول:

- انا فاكرا انى سمعت صوتك قبل كده؟..
- ما أظنش..

- طيب.. اسمك ايه..

- ملكش دعوة..

- أول حرف من اسمك ايه؟..

- ما قولكش..

- أقولك أنا..

وخفق قلبها وضعف صوتها وقالت:
- قول..

- بس احلفى لو كان صحيح ما تكذبنيش..
- طيب..

- احلفى..

- حلفت..

- أول اسمك يا ستى «ف».. مش كده!!..

وألقت فائزة سماعة التليفون كأنه صوتة لسع يدها.. ولم
ترد عليه..

وخيل اليها بعد أن ألقت سماعة التليفون انه يقبفه
بصوت عال شماتة فيها، وتباهيا بذكائه الذى اكتشف اسمها
من وراء صوتها..

انه يظن انها عادت اليه، ولكنها لم تعد.. انما فقط اخذت

تحدثه فى التليفون فى فترات متفاوتة بعيدة.. كل شهر مرة، وأحيانا كل شهرين.. وكانت تحرص دائما على أن يدور حديثهما حول قصصه، حتى اذا بدأ يخرج بالحديث عن مجال القصص .. هربت وانتهت الحديث!!..

كانت تعلم ان ثقتها بنفسها لها حدود، وانها قد تلين امام منطقه والحاحه.. وقد تذهب اليه فى بيته وتعيد حياتها من اولها، فكانت تفر عند الحد الذى تعتقد انها ستضعف عنده! ولم تكن الأحاديث التليفونية تكفى لشغلها عن وحدتها. فبدأت تزحم حياتها بالصدقات.. صديقات من جيرانها، وصديقات من المعهد.. وعودت نفسها ان تقابل النفاق بنفاق، والمجاملة بمجاملة، والمظهر الكاذب بالمظهر الكاذب.. بل انها بدأت تشجع صديقاتها على ان يروين لها مغامراتهن ويشركنها فى اسرارهن، وأصبحت تقرر ان تتحدث احدى صديقاتها مع فتاها تليفونيا، وان تتستر على صديقة اخرى عندما تدعى امام اهلها أنها كانت فى زيارتها بينما هى على موعد مع فتى.

لقد أصبحت تقرأ الخطيئة وتعترف بها كحقيقة من حقائق المجتمع، ولا تقتربها.

ولكنها ظلت تحس ان بينها وبين صديقاتها حاجزا يبعدها عنهن كلما حاولن ان يقتربين منها، ويبعدهن عنها كلما حاولت ان تقترب منهن..

حاجز يقوم من مبادئها.. فليست لها مغامرات تضمها الى مغامراتهن، ولا تريد ان يكون لها مغامرات..

وهو حاجز يقوم من طبيعة حياتها .. فهي حرة فى حياتها
ولم تتعود أمها ان تحد من حريتها، فليست مضطرة ان
تكذب كما تكذب صديقاتها، وليست مضطرة ان تحتال على
اهلها كما تحتال صديقاتها ..

وأصبحت تعيش بين هؤلاء الصديقات كأنها تعيش فى
دار للسينما، تشاهد الفيلم دون ان تشترك فيه، ودون ان
يحس بها الممثلون والممثلات!!..

وانتهى بها هذا الشعور الى ان اكتشفت انها لا تزال
وحيدة.. وان الوحدة اقسى عليها من خيالها الذى طردته،
ومن عذابها الذى انتصرت عليه..

وحاولت ان تسترد خيالها ..

حاولت ان تعود لتعيش فى قصص الحب التى تقرأها ..
ولكنها لم تستطع، فالحقيقة التى تكشف امامها .. حقيقة
الناس .. كانت تصدمها فى خيالها ..

واستسلمت لليأس ..

انها قوية ..

وهى واثقة فى نفسها ..

وهى تتحدى المجتمع وتحقّره ..

ولكنها يائسة .. يائسة من ان تجد سعادتها!!..



ومرت الأيام ..

وتخرجت فائزة من المعهد، وكل ما تحس به ان الدكتور
رشاد قد ظلمها فى تقدير درجات مادة الادب الانجليزى، والا

لأصبحت فى مقدمة الخريجات..
وعينت معلمة فى مدرسة (....) بمدينة (.....) بمديرية
الغربية..

وكانت تعلم انها تستطيع ان تعين فى احدى مدارس
القاهرة، لو سعت لدى بعض موظفى الوزارة، او لو وسطت
احدا لدى عميدة المعهد.. وقد عرضت عليها امها فعلا ان
تتوسط لها، وعرض عليها اسماعيل زوج اختها ان يتدخل
بنفوزه لدى بعض اصدقائه، ولكنها رفضت وأصرت على
الرفض، فصرخت أمها:

- ما هو يا تشتغلى فى مصر، يا مفيش شغل ولا هباب..
مش كفاية سبتك لغاية ما أخذتى الشهادة، ويكون جزائى
انك تشحططى قلبى وراكى.. أنا عارفة حا تعيشى ازاي..
ولا حتاكلى ازاي..

وقالت فايضة فى رجاء:

- معلهش يا نينه.. هو «انا رايحه مجاهل افريقيا.. دى
المسافة ساعتين بالقطر.. وكل يوم حا بعثلك جواب!!..
وعادت الأم تقول:

- انا بدى اعرف حا تخدى ايه من المرمطة دى.. ما انت
قاعدة يابنت الناس. ناقصك حاجة.. بتشتكى من حاجة؟
وقاطعتها فايضة وهى تحاول ان تبدو مرحة:

- علشان يقولوا يا نينه ان بنتك مدرسة أد الدنيا..
وربما اعجبت توحيدة بهذا المعنى، وأحست بالزهو لأنها
تراجع:

- طيب أما نشوف المدرسة حا تجيب لنا ايه!
وقالت فايضة وهى لا تزال تحاول ان تبدو مرحة:
- حا تجيبك كل خير، باذن الله..
وقاطعتها فوقيه:
- والنبي انا مستخسيراكى فى الهم ده.. ده انتى اجمل
واحدة فينا، ولولا قنزحتك كان زمانك اتجوزتى وبقالك بيت
اد الدنيا..
وقالت فايظه ضاحكة:
- ما تخافيش تو ما تتجوزى انتى، حابطل قنزحة وأتجوز
على طول وراكى!!
وقضت العائلة اياما تستعد لسفر فايضة، وكل افرادها لا
يكفون عن إلحاحهم بأن ترفض فايضة السفر، وأن تسعى
لتعين فى احدى مدارس القاهرة او تبقى فى البيت وترفض
العمل..
ولكن فايضة اصرت على ان تسافر، فقد كانت تريد شيئاً
جديداً فى حياتها.. تريد ان تبعد عن المجتمع الذى يحيط
بها، وعن بيتها، وعن عائلتها..
انها لم تجد السعادة هنا.. فلتجرب ربما وجدتها هناك!
ووقفت العائلة كلها تودعها على محطة القطار..
الأم تبكى، وتكرر وصاياها على ابنتها:
- كل يوم خميس وجمعة تقضيهم معانا.. اوعى تتأخرى
وتلمى هدومك كلها وتجيبيهم معاكى يتغسلوا هنا.. ما
تكليش الأكل بتاع المدرسة.. فاهمة.. ابعتى اشترى اللى

تشتهي.. و.. وتستمر الأم في وصاياها.. بينما فوقيه تحدث
خديجه في موضوع لا يمت الى سفر فايزه، واسماعيل
يتشاغل عن الجميع بالنظر الى بقية المسافرين، ويدق الأرض
بقدمه كأنه يتعجل ساعة الوداع.. الساعة التي لا تستطيع
فيها ان تحزن لأن ليس فيها سبب كاف للحزن ولا أن تفرح
لأن ليس فيها سبب كاف للفرح.. انها ساعة تمر ثقيلة
كالضباب المشبع بالرطوبة!!..

وقد مضت ساعة الوداع..

وتحرك القطار، ودموع الأم لاتزال آثارها على صدر
فايزة، وأحمر شفاة شقيقتيها، لا تزال آثاره على خديها..

وأطلت فايزه على المزارع التي يمر بها القطار بعينين
ساهمتين كأنها تمر بحياتها كلها.. الحياة الجافة التي لم
تبُللها إلا الدموع..

وعادت تسائل نفسها: لماذا قبلت هذه الوظيفة؟.. لماذا لم
تبق في بيتها؟.. لماذا لم تقبل ما عرضته عليها خديجة من
ان تقيم معها؟..

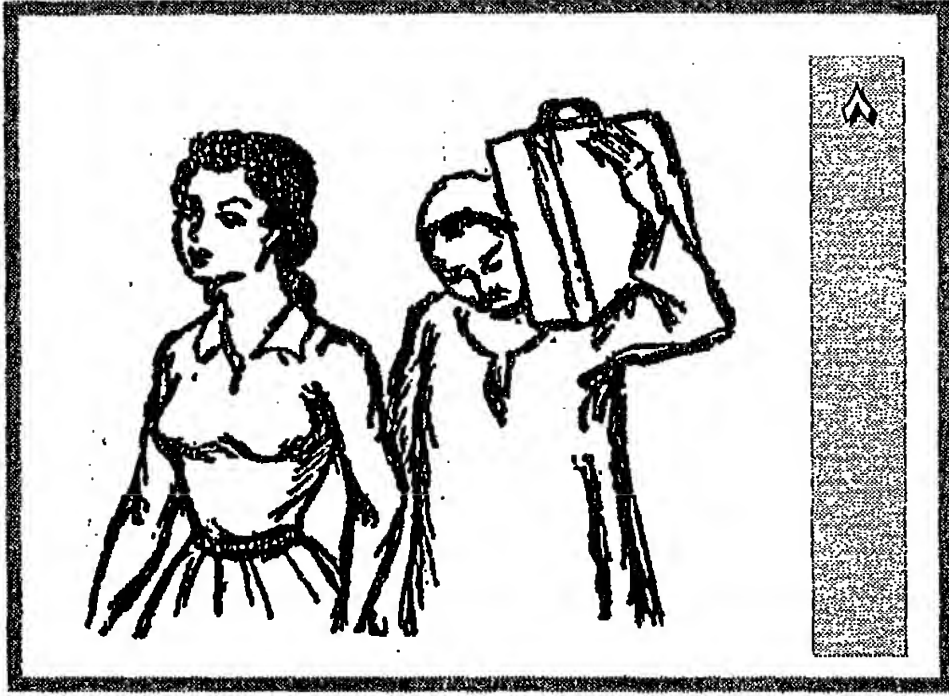
انها لا تدري؟..

لا تدري ماذا تريد.. فان الطريق الذي تسير فيه ليس هو
طريق الزواج، ولو قبلت ان تقيم مع اختها خديجة لتزوجت
احد اصدقاء زوجها، ولكنها لم تقم معها وأصرت على
السفر؟..

لماذا؟..

ربما لأنها أرادت ان تجرب حظها في الحياة.. حظها في

حياة شريفة نقية طاهرة.. الزواج فيها حب وثقة، وليس خطة
موضوعة تدبرها أم، الزوج فيها حبيب وليس ممولا!!..
وربما لأنها عندما فقدت ايمانها بالناس لم تعد تؤمن الا
بنفسها.. وقد ارادت ان تثبت لنفسها انها قوية وأنها
تستطيع ان تعيش فى دنيا بلا رجال!!..
وربما لأنها وجدت فى هذه الوظيفة ما يشغلها عن وحدتها
وما تملأ به الفراغ الكبير فى حياتها..
وربما لأنها تفر من شئ.. تفر من نفسها، من عائلتها،
من المجتمع..
انها لا تدري.
لا تدري شيئا..
وأحست انها مقبلة على عالم مجهول..



ووقف القطار عند محطة الوصول، واطلق نفسا عميقا كأنه يستريح من حمله الثقيل..

وأطلقت فايضة من نافذة القطار على العالم المجهول الذي وصلت اليه.. وخيل اليها انه عالم مجهول فعلا، وأنها تقف على ابواب غابة كثيفة تسكنها أقوام غريبة.. الناس غير الناس الذين كانت تراهم في القاهرة، والتعابير الكسولة التي تغطي وجوههم ترسم دنيا غير الدنيا التي خرجت منها، واللهجات التي تسمعها تملأ أذنيها بضجيج مثير لا تكاد تتبين منه شيئا، والرائحة التي تملأ أنفها تسدل على روحها ستارا كثيفا يفصل بينها وبين ما مضى من عمرها.. رائحة الفلاحين ورائحة المزارع، ورائحة

البهائم..

وأحست برهبة..

ومرت عليها لحظة تمننت فيها ان تعود الى القاهرة، وأن تلقى بنفسها فوق صدر أمها لتحتمى به، ولكنها جمعت ارادتها، واستردت ثقتها بنفسها، وتذكرت تحديها المجتمع.. ثم نادى شيالا وناولته حقيبتها، ونزلت من القطار..

لم يكن احد فى انتظارها.. ولكنها ما كادت تضع قدميها على رصيف المحطة حتى التفت العيون حولها، وكأن كل شىء فى هذه الدنيا الغربية قد توقف لينظر اليها.. الى القوام الذى يتثنى كأنه يتأوه من الألم، والى البشرة السمراء النضرة التى انسكبت فوقها ألوان الصحة والعافية فبدت فى لون الرمان، والى الشعر الأسود المتماوج كأنه استار الليل تعبث بها اصابع عاشق، والى الشفتين العريضتين وقد خلتا من الأصباغ فبدتا كوسادة ملاك صغير!!..

ونسى ناظر المحطة امر القطار وسقطت يده من فوق الجرس الذى كان على وشك ان يدقه، وركز عينيه عليها فى نظرة بلهاء، وقد سقط احد فكيه من تحت شاربه المتهدل..

وتسمر المعاون فى مكانه، ثم قال لزميل له وكأنه يخاطب نفسه: «شايف ياوله اللى انا شايفه»!!

وأسقط ثرى ريفى يجلس على «البوفيه» مبسم الشيشه من فمه وصاح وكأنه يتلمظ على أكلة دسمة: «أهلا.. أهلا.. شرفت بلدنا»!!..

وقام ثلاثة من الشبان يرتدون حلا افرنجية كلحت من كثرة كيهها، وكل منهم يحمل فوق رأسه اقة من البريانتين الرخيص

اللامع.. قاموا يتبعونها فى صمت، وفى عيني كل منهم خطة موضوعة!!..

وتعمدت فائزة ألا تشعر نفسها بكل هذه المظاهر التى استقبلت بها، وسارت وراء الشيال الذى كانت تعلو شفقيه ابتسامة خبيثة، حتى خرجت من المحطة وركبت عربة حنطور وقالت للسائق فى لهجة فيها من الجدية اكثر مما يجب:

- مدرسة البنات يا اسطى!!..

واستدار اليها السائق العجوز فى بطة، ونظر اليها من بين عينيه الرمدين وقال فى صوت بطيء كأن العمر كله ينتظره الى ان يتم كلامه:

- حضرتك المدرسة الجديدة؟!..

ونظرت اليه فائزة كأنها تستنكر تدخله فيما لا يعنيه..

وقالت فى اقتضاب:

- أيوه!!..

ولم يقل الرجل شيئاً، انما عاد يستدير فى بطة ناحية الخيل، وأسقط رأسه فوق صدره كأنه اغفى..

وسارت العربة فى شوارع البلدة، وسط موكب من العيون التى اصطفت على الجانبين..

ولم تلق بالا الى التعليقات التى نثرت عليها وهى فى جلستها من العربة، ولم تسمع شيئاً من الهمسات التى مرت بها، بل لم تعلم انها اصبحت حديث البلدة كلها منذ اللحظة التى جاءت فيها..

ووصلت المدرسة.. بناء ضخم بالنسبة لمعظم مباني المدينة

ويبدو من طراز مبانيه كأنه أليق ليكون سجنًا منه ليكون مدرسة بنات.. وقد تركت حديقته بلا زرع، وترك السور الذى يحيط به دون ان يتم، وتركت الحفر التى خلفتها عملية البناء كما هى رغم مر السنين.. ورغم ذلك فلم يكن البناء بالنسبة لمباني المدينة يبدو انه ينقص شيئًا.. وكأن المهندس الذى وضع تصميمه تعتمد ان يترك حديقته بلا زرع، وأن يترك السور قبل ان يتم، وأن يترك هذه الحفر التى تحيط به وتفرغ فاهًا امام الداخلين والخارجين.. وكأن المهندس الموهوب تعتمد أيضا أن يلطخ واجهة البناء بهذا الطين، وأن يحطم زجاج بعض النوافذ، وأن يخلع ضلف بعض الأبواب حتى ينسجم البناء مع باقى أبنية المدينة..

ومرت لحظة أخرى شعرت فيها فائزة بالرغبة عندما وقفت بها العربية أمام باب المدرسة، ولكنها تماكنت نفسها، ودفعت أجرا سخيا للسائق، ثم حملت حقيبتها بيدها وتقدمت الى الباب..

كان العام الدراسى لم يبدأ..

وكانت المدرسة يسودها هدوء وصمت..

ودقت فائزة على الباب الكبير بيدها ففتح لها بواب ريفى، ونظر اليها وكأنه عرف من هى، فافسح لها الطريق، ومد يده ليلتصق لحقيبتها، ولكنه عاد وأسقطها فجأة وبدأ ينظر الى فائزة من جديد وكأنه لم ير كل شىء فيها من النظرة الأولى او كأنه تبين انها صنف جديد من المدرسات لم يفد من قبل على المدرسة..

هو يتلعثم:

مد لله على السلامة..

وقالت فايضة فى برود حاولت ان تخفيه بابتسامة فاترة:
- الله يسلمك.. الست الناظرة موجودة؟..
- أيوه .. موجودة.. حصلت لنا البركة!!..
وحمل الرجل الحقيبة فوق كتفه وسار خلفها يدلها على
الطريق الى مكتب ناظرة المدرسة..
ولم تفاجأ فايضة برؤية الناظرة، كانت كما تخيلتها، وكما رأت
معظم الناظرات.. سميئة، مكتنزة الوجه، فى عينيها دائما معانى
السلطة التى تتمتع بها، وفى حركتها ثقل كأنها زوجة عمدة.
وقد تساءلت فايضة كثيرا لماذا كل الناظرات سميئات.. وهل
يجب ان تسمن ويكتنز وجهها اذا أرادت ان تكون ناظرة!..
واستقبلتها الناظرة بابتسامة متكلفة لابد منها، قائلة:
- أهلا وسهلا.. الحمد لله على السلامة..
وتوقفت الناظرة عن الحديث قليلا لتنظر اليها.. وطافت
بوجهها فى لمحات سريعة، ثم استقرت عيناها على ثوبها الأبيض
وشرابها النايلون، وحذاءها الدقيق، وحقيبتها «الفرنيه»، والقفاز
الأبيض الأنيق الذى تضعه فى يديها.. ثم ابتسمت ابتسامة
ساخرة قائلة:
- مش خسارة الفستان الحلوة فى مرمطة السفر؟..
وقالت فايضة وهى تحاول ان تبسم:
- أصله غسيل ومكوة يا أبله!!..
ورفعت اليها الناظرة عينيها وقالت فى حدة:
- أبله ده ايه.. انتى فاكره نفسك تلميذة لسه!
وقالت فايضة متعلثمة:

- أسفة.. أسفة ياست الناظرة..
وقالت الناظرة فى صوتها الأمر:
- أيوه كده.. اتفضللى استريحى!
وجلست الناظرة على مقعدها خلف مكتبها، وجلست فائزة
على طرف الكرسى الكبير الموضوع بجانب المكتب..
وسادت برهة صمت قطعتها الناظرة قائلة:
- طبعا انت عارفة اننا فى بلد أرياف.. صحيح البلد كبيرة
انما برضه اسمها أرياف، وكل واحد فيها بيتكلم على التانى..
واكثر حاجة تهمنى سمعة المدرسة، وسمعة المدرسة من سمعة
معلماتها.. والحمد لله، من يوم ما حطيت رجلى هنا ما حدش قدر
يقول كلمة ولا يفتح بقه..
وسكتت فائزة..
واستطردت الناظرة:

- طبعا انتى عارفة ان الأخلاق قبل العلم.. وانما الأمم
الأخلاق مابقيت، فان هم ذهبوا اخلاقهم ذهبوا، والأخلاق تدل
عليها المظاهر.. وعلشان كده حبيبت انبهك اننا مش فى مصر..
الناس والعوايد حاجة تانية.. ويمكن سمعتى عنى انى شديدة،
انما على أد ما انا شديدة مع اللى تغلط، باكافىء اللى ما
تغلطش.. وكل حاجة با كتب بيها تقارير للوزارة اول بأول،
والمفتشين كلهم عارفين ان المدرسة اللى انا فيها بتمشى زى
الآف.

وأحست فائزة انها تختنق.. كانت تعتقد انها انتقلت الى
مرحلة أخرى بعد ان عينت مدرسة.. مرحلة تتم فيها شخصيتها

وتقف خلالها على قدميها، ولكن حديث الناظرة اشعرها انها لاتزال تلميذة ولا تزال تعامل كأنها صبية فى حاجة الى نصائح فيما يجب أو لا يجب.. وضبطت اعصابها بصعوبة، وقالت وهى تنهى بالنظر الى قفازها:

- بانن الله حا كون دايمًا محل رضاكى..

وابتسمت الناظرة كأنها اقتنعت بأنها سيطرت على الموقف، وقالت وقد خفت حدة لهجتها:

- اتفضلى بأه استريحى من السفر وبعدين نتكلم فى الشغل!

وضغطت الناظرة على الجرس، فدخلت خادمة المدرسة- أو «الفراشة»- فأمرتها:

- اطلعى اندهى لست عيشة ولا ست سعدية ولا حد من اللى فوق.. اللى فاضيه فيهم تيجى..
وخرجت الخادمة.

وأخذت الناظرة تسأل فائزة عن دراستها وعن معلمات المعهد الذى تخرجت فيه، الى ان جاءت سعدية.. فتاة فى الرابعة والعشرين رفيعة القوام حتى لا يبدو من تفاصيل جسدها شىء، وكأنها عود من القصب، على وجهها مرح دائم وكأنها تخفى ضحكاتهما فى شذقيها.

وقالت لها الناظرة فى لهجة جدية:

- أقدملك زميلتك الجديدة الأنسة فائزة..

ومدت سعدية يدها الى فائزة وهى تقول فى ترحيب منطلق:

- أهلا وسهلا، أنستى وشرفتى الحمد لله على السلامة.

انتى باين عليكى متخرجة السنة دى.. و....
وقاطعتها الناظرة ملتفتة الى فاييزة:
- الأنسة سعدية، مدرسة الحساب فى المدرسة!
ووقفت فاييزة تصافح زميلتها، وهى لا تستطيع ان تتمالك
نفسها من ان تبترسم لها ابتسامة كبيرة خالصة.
وقالت الناظرة لسعدية:
- فى أودتكم سرير فاضى؟!..
وقالت سعدية فى فرح..
- أيوه..
- طيب تاخذى ست فاييزة معاكم!.
ولم تكذ فاييزة وسعدية تخرجان حتى احاطت سعدية خصر
فاييزة بذراعها بلا تكلف وصعدت معها الى الدور العلوى حيث
يضم مساكن المعلمات.. وكانت تتكلم طول الطريق دون ان تمنح
فاييزة فرصة للرد عليها.. تتكلم عن المدرسة وعن البلدة وعن
الطالبات وعن المعلمات والمعلمين.
الى أن وصلت الى الحجرة التى ستقيم فيها فاييزة، ومن
خلفهما «الفراشة» تحمل الحقيبة.
حجرة متوسطة الطول والعرض، تضم ثلاثة أسرة وبجانب
كل سرير دولاب صغير، وفى ركن منها مائدة عليها وابور جاز
وبعض معدات القهوة والشاى، وتحتها بعض الأوانى النحاسية.
وأشارت سعدية - وهى لا تزال مستمرة فى حديثها - الى
السرير المخصص لفاييزة، فألقبت نفسها جالسة عليه، وهى تزفر
كأنها كتمت أنفاسها طويلا حتى لم تعد تستطيع حبسها..

وسألتها سعدية:

- انتى اتغديتى؟..

وقبل ان تجيب فايذة استطردت سعدية:

- احنا عاملين النهاردة صينية بطاطس فى الفرن.. أصل أنا
اللى متولية أمر الطبخ فى الأودة دى.. أه لو دقتى المسقعة من
ايديه.. تاكلى صوابك وراها؟..

وألقت فايذة نظرة على الأوانى النحاسية الموضوعة تحت
المائدة.. ثم قامت وحملت حقيبتها الكبيرة ووضعتها فوق السرير
وبدأت تفتحها..

وفى هذه اللحظة دخلت زميلاتنا المعلمات، وبدأت سعدية
تعرفها بهن.. والتفنن كلهن حول الحقيبة المفتوحة يتفحصن
مافيهما بأعين دهشة، انقلبت الدهشة فى بعضها الى حسد، وفى
بعضها الآخر الى سخرية..

وقالت احداهن وهى ترفع فى يدها ثوبا:

- ايه ده كل ده.. ده ولا جهاز العروسة!..

وقالت اخرى:

- ده انتى باين عليكى عايذة توقفى البلد على رجل!..

وقالت ثالثة وهى تمسك بقميص نوم من النايلون الامريكاني:

- الحاجات دى عمر المدرسة ما شافتها!!..

وكانت فايذة ترد بابتسامات صامتة تصحبها احيانا بكلمة
«اتفضلى» بينما تخرج كل قطعة من ثيابها وترتبها فى الدولاب
الصغير، حتى ازدحم الدولاب واضطرت ان تصف الأحذية تحت
السرير وتترك باقى ثيابها الداخلية فى الحقيبة.

وتولت سعدية مهمة اخراج زميلاتنا من الحجرة صائحة
فيهن:

- يا لالا جماعة، كل واحدة على أودتها.. خلوها تستريح
شوية!!..

وخرجت الزميلات وكل منهن تهمس في اذن زميلتها.. خرجن
ليعقدن ندوة صاخبة عن الزميلة الجديدة التي وصلت هذا
الصباح..

ولم يبق في الحجرة الا الثلاثة اللاتي يعشن فيها: فاييزة،
وسعدية، وعائشة..

كانت عائشة مدرسة اللغة الانجليزية، أكبر من زميلتيها
قليلا.. ليست جميلة وليست قبيحة.. انما فيها شيء يجذبك اليها
دون لهفة، وشيء يجعلك تنساها بمجرد ان تدير ظهرك لها.. ولم
تكن تتكلم كثيرا، بل كانت تميل الى الصمت، وكانت في صمتها
كأنها تجتر شيئا من عمرها الذي فات.. شيئا ينضج على وجهها
فيطبعه بطابع حزين، وهي في حزنها لا يبدو عليها انها تبحث
عن ثأر، أو انها تحسد السعداء، بل إن حزنها لا يثير فيك الشفقة
انما يجبرك على أن تتركها له دون ان تحاول مواساتها..

وقامت فاييزة فخلعت ثوبها وحذاءها وارتدت ثوبا بيتيا ومن
فوقه «روب دى شامبر» ووضعت في قدميها شبشبيا، وأخرجت
فوطاة الوجه، وأخذت تبحث عن فرشاة الأسنان.. وبحث طويلا،
ثم قالت:

- يظهر انى نسيت اجيب معايا فرشاة الأسنان..
وردت سعدية:

- معلش يا اختى.. العصر أنزل معاكى نشترى واحدة من الاجزخانة.. ماهو اجنا فلوسنا كلها ضايعة على الاجزخانة دى! وخرجت فايضة من الغرفة لتغتسل.. ثم عادت لتشارك زميليتها فى صينية البطاطس.. ثم استلقت على فراشها وتركت خيالها يعود بها الى مصر.. الى امها واختها والى حجرتها فى البيت.. وأحسبت ان كل شىء أوحشها، واشتدت بها الوحشة حتى أحسست بصدرها يضيق ويكاد يخنق قلبها..

ان كل شىء تحس له بوحشة ولم تنقض على مفارقتها له ساعات، حتى دولابها.. ومرأتها، و«الكومدينو» الذى يجاور فراشها والذى كانت تصف فوقه المجلات والكتب الشهرية، وصورة والدها والمعلقة فوق رأسها.. و... ان كل هذه الأشياء تكون جزءا من حياتنا ومن شخصيتنا، وتترك فى نفوسنا أثرا منطبعا لا نحس به الا عندما نفارقها.

وتمنت للمرة الثالثة فى هذا اليوم ان تعود من حيث اتت.. ان تعود الى امها والى بيتها.. إنها ليست فى حاجة الى العمل لتكسب عيشها.. لماذا تبقى؟..

ولكنها كانت تشعر فى الوقت نفسه بأنها مقدمة على حياة مثيرة.. ان كل مجهول مثير.. كل مجهول لذته فى الاقدام عليه وفى تحديه.. وقد شعرت بهذه اللذة!..

وكانت سعيدة خلال هذه الساعات لا تكف عن الكلام.. تتكلم فى كل شىء، وتروى قصصا من الشرق والغرب، ولم تغن فايضة كثيرا بكلامها ولا بالرد عليها، الا عندما قالت لها:

- احنا كل واحدة فينا بتدفع اربعة جنيه فى الشهر علشان الأكل.. ايه رأيك؟..

واجابت فايضة بلا مبالاة:

- موافقة!!..

واستطردت سعدية:

- وعيشة هي امينة الصندوق.. والصندوق عادة بيقلس في

بيوم عشرين من الشهر.. وبعد كده رينا بيحطها!!

واكفت فايضة بالابتسام، وقالت عيشة في صوتها الحزين:

- رينا بيحل حاجات كثير في البلد دي!

وخرجت فايضة وسعدية في الساعة الخامسة متجهتين الى

الصيدلية القريبة..

كان نسيم العصر طريا نديا كأنه عائد من معركة مع الشمس

هزم فيها فسرى ضعيفا متهافتا تبalle الدموع!..

وسارت فايضة وقد أحست ان كل شىء فيها قد هدا.. خيالها

وقلبها واعصابها.. ولفتها رائحة الزرع المنبعثة من الحقول

القريبة فأحست انها تحت تأثير مخدر خفيف مريح!..

ولم تلاحظ فايضة العيون التي تلاحقها ولا الكلمات التي كانت

تلقى تحت قدميها.. ربما لأنها تعودتها حتى اصبحت شيئا

مفروضا في حياتها، ولكن سعدية لاحظت.. وربما خيل اليها ان

لها نصيبا من هذه النظرات وهذه الكلمات، فانتصب عودتها

وتأنقت في مشيتها، وتعمدت ان تضع في عينيها نظرة صارمة

كأى فتاة تصد عن نفسها مغازلات المارة، ثم همست في اذن

فايضة..

- اوعى تبص لحد، احسن البصة هنا بيعملوا منها حكاية!

وبغته رأت فايضة دراجة تقترب منها بسرعة، فقفزت الى

جانب الطريق قبل ان تدهمها، وارتبك الراكب فسقط بدراجته على الارض..

كان صبيبا يبدو أنه فى الثالثة عشرة من عمره، وكان يرتدى بنطلونا نظيفا وقميصا نظيفا مما يجعله يبدو ابنا لاحد اعيان البلدة او احد كبار موظفيها..

ووقفت فايضة تنظر الى الصبى، وتمد يدها اليه لترفعه عن الأرض، ولكن الصبى رفض يدها واخذ ينظر اليها بعينين مشدوهتين وهعو فاغر فاه، ثم قال وهو يقوم من على الارض: -- باه.. ده انتى حلوة قوى!!..

وابتسمت فايضة، وكانت الابتسامة الوحيدة التى سمحت لشفيتها ان تنفج عنها لعابر طريق..

وكان بعض المارة قد بدأوا يتزاحمون بعيونهم حول الموقف، فاستمرت فايضة فى طريقها مع سعيدة بعد ان قالت للصبى:

- تانى مرة، ابقى خد بالك من نفسك!..

وركب الصبى دراجته، وسار خلف الزميلتين، وهو يدق الجرس كأنه يحاول ان يلفت نظرهما اليه.. ووصلتا الى الاجزخانة..

كانت اجزخانة تقوم على ناصية الميدان الفسيح.. وكانت تباع بجانب الأدوية، لوازم التجميل للسيدات.. العطور، واحمر الشفاة، والبريانتين، والأمشاط، و«الفراطين»، بل كان يبدو ان صاحبها يعتمد على بيع لوازم السيدات اكثر من اعتماده على بيع الأدوية، وانه كان يفضل ان يكون بائع خردوات اكثر مما يفضل ان يكون صاحب صيدلية!!..

واصطفت امام الصيدلية وفوق الرصيف المرشوش حديثا بالمياه، بضعة مقاعد جلس عليها رجال تبدو عليهم الاناقة والاهمية. قد يكون بينهم وكيل النيابة أو رئيس الحسابات فى المديرية أو طبيب المركز أو عمدة احدى القرى القريبة.

وكان صاحب الصيدلية قد استدار لأحد الجالسين وبينهما مقعد فتح فوقه صندوق النرد واخذا يلعبان «عشرة طاولة».. وكان ثالث يدخن فى شيشة وكان اربعة آخرون قد التفوا حول مائدة صغيرة مما يستعمل فى المقاهى البلدية تحمل اقداح الشاي!.

وكان الصيدلية علاوة على انها محل لبيع الخردوات، قد اتخذ منها صاحبها مقهى او منتدى خاصا يجتمع فيه اصدقائه من وجوه البلدة..

وما كادت فايضة وسعدية تهلان امام الجالسين حتى سكت صوت تقانف النرد وتحريك «القشاطر» وتعلقت اكواب الشاي بأيدي اصحابها فى الهواء، وكفت الشيشة عن «الكركره».. وجحظت العيون!..

ودخلت فايضة ومن خلفها سعدية وقد ارتبكت خطواتها بعض الشئ، وكأنها تتعثر فى النظرات التى تتساقط تحت قدميها. وأفاق صاحب الصيدلية من ذهوله، وقفز من فوق مقعده، ولحق بهما فى الداخل.. وقال وهو يصافح سعدية وبين شفثيه ابتسامة واسعة:

— أهلا بالست سعدية..

ثم مد يده الى فايضة وفى عينيه نظرة مرتعشة كأن عينيه تنتفض تقززا من صاحبها:

- الحمد لله على السلامة ياست فاييزة شرفت ونورت البلد!
ومدت فاييزة له يدا باردة وفي عينيها نظرة أبرد، وقالت
سعدية:

- قوام عرفت الاسم.. دى لسه واصله من كام ساعة!
قال وقد علق عينيه بفايزة:
- الأخبار وصلتنا من الصبح!!
وقالت سعدية ملتفتة الى فاييزة:
- حضرته الدكتور عوض صاحب الاجزخانة.. كلنا مديونين
له!!..

وقال الدكتور عوض:
- يا ستى حد بيعاسبكم احنا لنا بركة الا انتم!!..
وقالت فاييزة فى برود وكأنها لا تشترك فى هذا الحديث ولا
يعنيها:

- من فضلك عاييزة فرشاة اسنان ميديم!..
وتمهل الدكتور عوض قليلا وكأنه دهش لكلمة «ميديم» ولم
يتعودها من معلمات مدرسة البنات. فلم تكن احداهن تهتم ان
تكون فرشاة اسنانها جافة الشعر، او ناعمة، او متوسطة بين
الجفاف والنعومة كما طلبتها فاييزة..
وكانه أحس بأنه أمام شخصية اقوى من شخصيات
الأخريات فمرت على وجهه سحابة سريعة من الفكر.. وقال وهو
يدور حول دواليب الصيدلية:
- بس كده!..

وحدجته فاييزة بطرف عينيها وهو يدير ظهره لها.. رجل فى

الخامسة والثلاثين من عمره.. نحيل حتى لتبدو أعصابه من تحت جلده، وكل شيء فيه مفتعل.. شعره الاسود وقد وضعت كل شعرة بجانب الأخرى بدقة وثبتت مكانها بالبريانتين، وابتسامته الدائمة تقطر رياء، وشاربه الصغير يبدو من شدة عنايته به كأنه اشتراه جاهزا، وتحت عينيه بقع سوداء تروى ليالى كثيرة لم يرحم خلالها نفسه ولم يرحم احدا.. وهو كثير الاهتمام بأناقته.. قميصه الحرير الهفاهف، وسترته المرتفعة الأكتاف، والساعة ذات السوار الذهبى فى يده، والخاتم ذو الفص الأخضر الكبير.. انه يهتم كثيرا بما يبدو منه وكأنه يريد أن يخفى ما لا يبدو..

وعاد الدكتور عوض يحمل بين يديه فرشاة الاسنان، وزجاجة عطر زرقاء صغيرة ماركة «سوار دى بارى».. وقال من خلال ابتسامته..

- أدي فرشاة الاسنان.. ودي حاجة صغيرة هدية من الأجزخانة بمناسبة تشريفك بلدنا..

وتناولت فائزة الفرشاة.. ورفضت ان تتناول زجاجة العطر:

- لأ.. مرسى.. كام من فضلك؟

- دى حاجة صغيرة لازم تقبليها..

- ما فيش لزوم..

- يا ستى النبى قبل الهدية..

- أنا مش النبى..

- ما تكسفينيش أمال ياست فائزة..

ولم تثر فائزة، انما كانت تنظر اليه فى برود يشوبه نوع من

السخرية، وعادت تقول:

- يا ترى كل اللي يشتري فرشاة أسنان بياخد فوقها زجاجة بارفان؟!..

- الزباين الكويسين بس..
وردت سعدية:

- وانا مش كويسة ولا ايه يا دكتور عوض!!..

- ياسلام يا ست سعدية.. ده انتى الخير والبركة!!..

ولف حول دواليب الصيدلية مرة ثانية، وعاد يحمل زجاجة كولونيا من انتاج محلات الشبراويشى، وقال:

- ودى علشانك يا ست سعدية!

وقبل ان يناولها لها، لف الزجاجتين مع فرشاة الأسنان فى ورقة واحدة، ثم أعطى اللفافة لسعدية، وكأنه يشفق على فائزة من مؤونة حملها، وقالت فائزة:

- عايز منى كام من فضلك.

- ما تطفى.. احنا حنعملك حساب زى بقية المدرسة..

- لا.. مرسى.. أنا أحب ادفع اول بأول..

وكانه شعر أن من الأفضل ألا يلح كثيرا، فقال وابتسامته الواسعة لم تفارق شفتيه:

- تسعة صاغ ونص.. بس!!

ودفعت فائزة وقالت قبل ان تخرج:

- مرسى على البارفان!!

ولم تكذ تهم بالخروج حتى اصطدمت برجل داخل.. رجل سمين مترهل كل شىء فيه له «كرش».. خداه كل منهما له

الطريق السود

«كرش»، وعيناه كل منهما لها «كرش»، وأنفه كل فتحة فيها كأنها «كرش»، وهو كله «كرش» يرتدى الملابس البلدية ويضع على رأسه طربوشا ويسير على قدمين..
والتفت الرجل الداخل الى سعدية يصافحها، ثم نظر الى فائزة نظرات طويلة كأنه يوزنها بعينه كما يوزن اللحم، وقال وصوته كالشخير:

- ما شاء الله.. ما شاء الله..

وهرع الدكتور عوض يقدمه اليها:

- عبدالمقصود بك عمدة كفر شرف..

ثم التفت اليه واستطرد:

- دى الست فائزة المعلمة الجديدة فى مدرسة البنات!..

وكرر عبدالمقصود بك:

- ما شاء الله.. ما شاء الله.. سنتنا بيضة باذن الله!..

ومد يده يصافحها، وقالت فائزة وهى تصافحه وتحس بثقل

يده فى يدها:

- تشرقنا..

وقال الدكتور عوض كأنه يهمس فى اذن فائزة:

- عبدالمقصود له ثلاث بنات فى المدرسة!..

ولم تفهم فائزة ما يعنيه الدكتور عوض عندما يحمل صوته هذه الخطورة ومعانى التهديد والترغيب، وهو يقول ان عبدالمقصود له ثلاث بنات تلميذات فى المدرسة..

وهزت رأسها تحييه ثم نظرت الى سعدية وخرجتا، وعيون الجالسين على الرصيف تتبعهما وتثير فى رؤوس اصحابها

خيالا يهتز مع اهتزاز قوام فايضة فى مشيتها ..
وعاد نسيم العصر يملأ صدر فايضة ويريح كل شىء فيه ..
ولم يتحرك تفكيرها حول الرجلين اللذين كانا أول من عرفتهما
فى البلدة .. الدكتور عوض وعبدالمقصود بك .. بل لم يدر تفكيرها
حتى حول زجاجة العطر التى اهديت اليها فى اليوم الاول من
وصولها .. كان تحديها للناس .. واحتقارها للمجتمع قد تمكن
منها حتى لم تعد تهتم بما يأتى به الناس ولا بمقاييس المجتمع ..
وقالت سعدية وهما فى الطريق:

- أهو مشوارنا طلع فايضة .. انتى طلعت بقزازة سوار دى
بارى، وأنا طلعت بقزازة شبراويشى .. والنبي أحسن من عينه ..
انما تعرفى انه راجل لطيف، ما فيش حاجة تطلبها منه الا لما
تلقيا عنده .. الحقيقة راجل خدوم وكريم ..
وقالت فايضة وكأنها كانت ساهمة:

- مين هو؟ ..

وردت سعدية فى دهشة:

- الدكتور عوض ..

ولم ترد فايضة، وفتحت صدرها تستنشق فى نهم نسيم
العصر ورائحة الزرع ..
ووصلتا الى المدرسة ..

وبدخلا الى حجرتهما، حيث كانت عائشة جالسة فوق
سريرها تطرز قطعة من القماش لتصنع منها مفرشا، والحزن
الصامت ينضح على وجهها ..

وحلت سعدية اللقافة التى تحملها، واخرجت زجاجتى العطر ..
ولحت عائشة زجاجة العطر الزرقاء فاتسعت عيناها

فجأة، وبرز الحزن على وجهها حتى كأنها لم تعد تستطيع ان
تبتلع ريقها..

وقامت تخطو كأنها تسير على شوك ثم أمسكت بالزجاجة
الزرقاء فى يدها ونظرت اليها طويلا بعينيها المتسعيتين.. ثم
وضعتها مكانها فى صمت.. وعادت تخطو على الشوك، الى ان
جلست كما كانت فوق سريرها والتقت قطعة القماش وعادت
الى التطريز..

ولم تفهم فائزة شيئا..

وقالت سعدية وكأنها توجه الحديث الى عائشة:

- الدكتور عوض كان كريم قوى معانا النهارده..

ورفعت عائشة رأسها واكتفت بأن ردت بابتسامة ضعيفة
مفتعلة..

وقالت فائزة:

- سوار دى بارى بطلت خالص من مصر.. ما بقاش منها إلا
فى الأرياف.. انا عمرى ما استعملتها.. خديها لك ياسعدية!!..
وصاحت سعدية..

- والنبي صحيح.. مرسى.. الف مرسى!!..

وجاء المساء..

وتناولت الزميلات الثلاث العشاء مما بقى فى صينية
البطاطس من وجبة الظهر..

وعندما فتحت عائشة دولابها لتغير ملابسها وترتدى ملابس
النوم، لمحت فائزة داخل الدولاب زجاجة زرقاء من عطر سوار
دى بارى..

زجاجة فارغة..



وبدا العام الدراسي..

ودخلت فايضة الى «الفصل» وجلست على المقعد المخصص
لها وأخذت تضم بعينيها تلميذاتها الجدد وتقبل كل واحدة منهن
بابتسامتها..

كان قد سبق لها ان قامت بالتدريس اثناء فترة التدريب التي
استغرقت العام الاخير من دراستها في معهد المعلمات.. ولكنها
لم تحس ابدا اثناء فترة تدريبها بما تحسه الآن.. انها تحسر ان
كل هؤلاء البنات بناتها وانها مسئولة عنهن كأم لهن، وانها تحبهن
جميعا من كل قلبها..

وأخذت تنقل عينيها بينهن.. إن كل واحدة منهن تمثل حياة

خاصة، وهى تستطيع ان ترى أم كل واجدة منهن، من درجة اعتنائها بثيابها، ومن طريقة تصفيف شعرها، وتستطيع أن ترى البيئة التى تعيش فيها من خلال الألفاظ التى تستعملها ومن طريقة حركاتها ولففات عينيها..

وأحست بمتعة غريبة وهى تحاول أن ترسم لكل تلميذة من التلميذات صورة لأمرها وبيئتها والدنيا التى تعيش فيها.. واستقبلتها التلميذات بأعين مشدوهة.. كان جمالها وأناقته أكثر مما تعودته التلميذات فأخذن ينظرن إليها كأنها صورة من الصور التى تنشرها المجلات، وشدتهن هذه الصورة إليها حتى لم يستطعن أن ينزعن عيونهن عنها.

ومر الدرس الأول هادئاً لم يتخلله ما يعكره، وكأن التلميذات نسين شقاوتهن وصباهن، فأخذن يستمعن الى درس التاريخ صامتات..

وعندما دق الجرس معلنا انتهاء الدرس، وبدأت التلميذات يخرجن الى ساعة الراحة، لاحظت فائزة أن واحدة منهن تتعمد أن تتأخر عن زميلاتها.. وتلكأ فى حركاتها وهى مرتبكة، حتى اذا أصبحت آخر من بقى فى الحجرة، ازداد ارتباكها ثم تقدمت وأخرجت من جيبها قطعة صغيرة من الحلوى وضعتها على المكتب المخصص لفائزة وجرت خارج الغرفة.. ونادتها فائزة..

ووقفت الفتاة الصغيرة وهى تنظر إليها بأعين متوسلة كأنها تخشى العقاب..

وابتسمت فائزة ابتسامة كبيرة حنونة وطلبت منها ان تقترب..

ثم قالت لها وهى تلف ذراعها حولها:

- انتى اسمك ايه يا حبيبتي؟..

وأجابت فى صوت ناعم خفيض كهمس الملائكة:

- سميرة..

وقالت فايضة وهى تطمئننها بابتسامتها:

- طيب يا سميرة.. اللى يجيب هدية لحد مش يقدمها كويس

ولا يرميها ويجرى..

وقالت الصغيرة فى براءة:

- أنا باحبك قوى يا أبله فايضة..

ونظرت فايضة الى الوجه الصغير الجميل وقالت وهى

تضغطها الى صدرها:

- وأنا كمان باحبك يا سميرة.. منا هنا ورايح حنبقى

صحاب، والملبسة دى مش حاكلها انما حاشيلها تذكرك.

ولم تجب سميرة، انما جرت خارج الحجرة كأنها تطير على

اجنحة الفرخ..

ولم تكن سميرة هى وحدها التى أحبت فايضة، بل كانت الأولى

فى قائمة طويلة من التلميذات الصغيرات، كلهن أحبين فايضة

وأغدقن عليها هداياهن السانجة البريئة..

ولكن سميرة ظلت دائماً اقربهن الى قلب فايضة.. اصبحت

تحبها الى حد لا تستطيع ان تنتزعها من تفكيرها كلما خلت الى

نفسها، ورغم ذلك فقد كانت تحرص على اخفاء هذا الشعور

الفياض حتى لا تغضب بقية التلميذات اللاتى احببنها، أو تثير

غيرتهن.

وفى يوم من الأيام تقدمت منها تلميذة عجفاء يبدو الذل على وجهها ولكنه ذل ينعكس فى عينيها قسوة وخشونة، وقالت فى لهجة نصف ريفية:

- انا بنت عبدالمقصود بيه العمدة!..

وأجابت فايضة فى برود:

- عارفه..

وقالت الفتاة كأنها تؤدى مهمة ثقيلة على نفسها:

- ابويا ببسلم عليكى..

وقالت فايضة وهى تدير عنها وجهها:

- الله يسلمه..

ثم تركتها واستمرت فى عملها..

وبعد ايام جاءت نفس الفتاة تحمل فى يدها مجموعة من الفطائر ملفوفة فى فوطة بيضاء معقودة من اطرافها، وقالت فى صوتها الجاف وكأنها تؤدى ايضا مهمة ثقيلة على نفسها:

- ابويا ببسلم عليكى وباعتلك حنتين الفطير دول..

وسكنت فايضة..

واحتارت ماذا تفعل..

هل ترفض؟..

ولكن ربما ألحت الفتاة الى درجة ان تثير ضجة، وربما دفعها الخوف من أبيها -اذا ما رفضت فايضة هديته- الى البكاء وربما سألتها النازرة عن سبب رفضها للهدية وهل هناك دافع خاص لرفضها؟..

هل تقبل الهدية؟..

ولكن لماذا تقبل.. انها لا تحب الفطير، وتستثقل دم الرجل
الذى يهديه، ودم ابنته التى تحمله؟..
وظلت فائزة صامته لا تمد يدها لتتناول اللفافة..
وعادت التلميذة تقول فى صوتها البليد كأنها تردد جملة
حفظتها:

- أبويا بيسلم عليكى وباعتلك حنتين الفطير دول..
ومرة واحدة قررت فائزة ان تقصر الشر وان تتجنب اى
اشكال، فمدت يدها وتناولت لفافة الفطير.. وحملتها وصعدت الى
غرفتها حيث وجدت سعدية تصحح بعض الكراسات فصاحت
فيها:

- الراجل العمدة ده اتجنن ولا ايه اتفضلى يا ستى البلاوى..
حضرته باعتلى فطير!!..

ولعت عينا سعدية وتناولت اللفافة من يد فائزة فى لهفة،
وأخذت تفردھا قائلة:

- وماله يا أختى.. ده فطير عبدالمقصود بيه ما يتبعتش الا
للغالية..

وقطمت قطعة من الفطير:

- الله.. والنبي تدوقى يا فائزة.. يجنن.. بس كان حقه بعث
معاه علبة قشطة بلدى ولا عسل نحل..

وقالت فائزة وهى لا تزال ثائرة:

- أنا عمرى ما شفت ناس بالسماجة دى..

وقالت سعدية:

- والنبي كتر خير، على الأقل حاسس بالشقا اللي بنشقاها

فى تعليم بناته.. باعت حنتين فطير.. لا رشوة ولا حاجة.. مجرد عرفان بالجميل..

وسكتت فايضة، واستطردت سعدية:

- وعلى فكرة، الدكتور عوض صاحب الاجزخانة سألنى عليكى، ولما عرف انك ادتينى قزازه السوار دى بارى قاللى انه حيبعت مصر يجيبك قزازه «جى رفيان».. مش تيجى نفوت عليه؟

وقالت فايضة:

- لا يا ستى متشكرين.. لما عوز حاجه أبقى أفوت.



وبدأت حياة فايضة تتخذ شكلا منظما، وقد ارادتها حياة هادئة رتيبة، فلم تسمح للمشاكل ان تقترب منها، ولم تحاول ان تثور على وضع من الأوضاع، وخضعت خضوعا تاما لأوامر الناظرة وان كانت قد حرصت على ان تحتفظ باحترامها امامها، وتعمدت ان تجعل بينها وبين زميلاتهن المدرسات وزملائهن المدرسين حدا بحيث لا يزعجونها فى حياتها او تزعجهم فى حياتهم..

وربما احسست ببعض الملل من انتظام الايام حولها، فكانت تتغلب على مللها بكتابة خطاب طويل الى امها او الى احدى شقيقتيها.. خطاب تسرد فيه كل التوافه التى تمر بها فى يومها.. وربما احسست انها بدأت تفقد شعور الأمومة نحو تلميذاتها.. الشعور الذى كان يطغى عليها فى الاسابيع الاولى من الدراسة. فقدته من كثرة ما انهكها التدريس وتصحيح الكراريس، ولكنها كانت تتعزى دائما بحبها لتلميذتها سميرة.. الحب الذى لم يخف

ابدا..

وقد ذهبت مرة مع فريق من زميلاتنا الى السينما، ولاحظت ان عددا من الشبان -بقدر عدد زميلاتنا- ينتظرون عند الباب ثم يدخلون خلفهن، ويجلسون وراءهن فى مقاعد الدار. وبدأت الهمسات..

ولاحظت ان معظم هذه الهمسات تنصب حولها، فلم تثر، ولم تغضب، ولم تأخذ على زميلاتنا اهتمامهن بهؤلاء الشباب... كانت قد اقتنعت من زمن أن هذه هى طبيعة المجتمع، وأن الخطيئة حقيقة لا يمكن تجاهلها!!!

ولكن ما حز فى نفسها هو أن زميلاتنا أنفسهن بدأن يتضايقن من وجودها بينهن، وبدأن يحقدن عليها لالتفاف العيون حولها.... فقررت من يومها ألا تخرج معهن الى مكان الا اضطرارا. واكتفت باصطحاب سعدية وعائشة، وان كانت عائشة لا تميل كثيرا الى الخروج وتفضل ان تبقى مع حزنها فى وحدتها..

وكانت قد وضعت بين ساعات يومها ساعة بعد انتهاء مواعيد الدراسة، تخرج فيها مع سعدية لتروى صدرها من نسيم العصر الطرى، وتمسح عن ذهنها آثار العمل المضى الذى تقوم به.. كانتا تتجهان الى خارج حدود البلدة، وتسيران على شاطئ المصرف الكبير، وتجلسان أحيانا عند اقدام شجرة ضخمة ويقومان بتصحيح الكرايس، بينما تتبادلان الحديث الذى تروى خلاله سعدية -عادة- جميع وقائع اليوم الدراسى وما حدث بين المدرسات والمدرسين، وما حدث بين المدرسات والناظرة، وما حدث بين المدرسات وأهالى المدينة.. حتى اذا مالت الشمس الى

المغيب قامتا عائدتين الى المدرسة قبل ان تلحقهما يد الليل..
وفى اليوم الأول من نزهتهما هذه، التقتا بالصبي الذى كان
يدهم فائزة بدراجته فى يوم وصولها..

وأخذ الصبي يدور حول فائزة بدراجته، ويبتعد ثم يعود، وهو
لا يكف عن دق جرس الدراجة دقائق متوالية كأنه يستجديها فى
الحاح ان تلتفت اليه..

والتفتت اليه فائزة فى غضب تخففه ابتسامة صغيرة وقالت:

- وبعدين.. مش خايف تقع تانى!

قال الصبي وكأنه فرح لأنها حادثته:

- انا.. مش ممكن ماتخافيش على.. ده انا احسن واحد
يركب عجل فى البلد.. بصى، ده انا اعرف اركب وانا سايب
اديه!!..

ورفع الصبي يديه عن مقود الدراجة وجرى بها، ولكنه كان
يبتعد قليلا حتى سقط على الارض..

وقفزت اللفة الى عينى فائزة، وشهقت شقة خفيفة، ولكنها
عندما رأت الصبي بخير ابتسمت، واتسعت ابتسامتها حتى
كادت تضحك..

وقام الصبي من على الأرض، ونفض الغبار من على سرواله،
ثم عاد سائرا على قدميه وهو يجر دراجته بجانبه. وقال عندما
اقرب منهما:

- اصل كان فيه حفرة فى الأرض!!

ونظرت اليه فائزة لترى ملامح وجهه لأول مرة.

انه اصغر مما كانت تعتقد.. وربما لا يتجاوز عمره الثانية

عشرة.. جميل الوجه.. واسع العينين.. دقيق الأنف، رقيق الشفتين، نحيل كعود الورد، تكسو ملامحه صفرة رقيقة كزهرة لم يكتمل عمرها.. كان يبدو كأنه ملاك ضل طريقه في السماء فسقط على الأرض ولم تعنه جناحاه الصغيران على الصعود ثانية، أو كأنه فنان صغير تتجاذبه أحاسيس وعواطف أكبر من فنه فعجز أن يعبر عنها، وكتمها حتى أضنته..

وقالت له فائزة في حنان:

- أنت اسمك إيه يا شاطر..

- اسمي محمد..

- طيب ارجع البيت بأه يا محمد، أحسن بعدين أقول لوالدك..

وهزت أصبعها أمام وجهه كأنها تهدده، وأجاب دون أن

يتحرك:

- بابا في مصر.

- طيب حاشتك لوالدتك..

- ماما ماتت السنة اللي فاتت..

قالها الصبي في بساطة واستسلام.. وشعرت فائزة بقلبها

ينكمش في صدرها كأنه يتراجع جزءا أمام مصيبة، ووجدت

نفسها تضع كفها على كتفه وتربت عليه ثم تسأله:

- قاعد مع مين دلوقت؟..

- قاعد مع طنط.. مرات أبويا!!..

قالها الصبي كأنه يخفي جرحا في صدره، وعادت فائزة

تسأله:

- وانت بقيت في سنة إيه دلوقت؟

قال فى زهو الصبى:

- فى سنة رابعة ابتدائى!!..

- طيب روح بأه علشان تذاكر، وتأخذ الابتدائية السنة دى!!..
ولوى الصبى شفتيه وكأنه يستكبر على نفسه ان تحدثه
كأنه طفل، وقال وهو يشير الى الكراسيات التى تحملها فايضة:

- تحبى أشيلك الكراسيس دول؟

وقالت فايضة وهى تتصنع الغضب:

- اذا ما روحتش دلوقت حازعل منك!

وأعقبتها سعدية ساخطة فى وجهه بصوت جاف:

- ياللا يا شاطر ياللا على بيتكم بلاش لعب عيال!!..

ونظر الصبى الى سعدية نظرة صامته كأنه يحتقرها ولا يأبه
بوجودها، ثم عاد ينظر الى فايضة وبين شفتيه ابتسامة فرحة
طاهرة كأنه يرى فيها امه، ثم جر دراجته بيديه وابتعد عنهما.

ومن يومها، وهو ينتظر فايضة كل يوم فى نفس الساعة، وفى
نفس المكان.. وأحبته فايضة كما أحببت تلميذتها سميرة.. كانت
ترتاح اليه، وكانت ترى فيه كل معانى الطهر والعفة التى ملأت
خيالها منذ صباها ومزقها الرجال الذين التقت بهم فى حياتها..
كانت ترى فيه المجتمع قبل أن يتلوث، والنفوس قبل أن تستبد
بها الغرائز، والقلوب قبل أن تفسدها معركة الحياة. وتمنت لو أن
الرجال كلهم ظلوا اطفالا لا يكبرون، اطفالا لا تزيد اعمارهم على
الثانية عشرة، ولا يريدون أكثر من هذا الحنان البرىء العف الذى
يتطلبه منها محمد.

وقد لمست فى الصبى روحا شاعرية اكبر من سنه.. كان

يحفظ كل الاغانى العاطفية ويلقيها بألحان صحيحة وأنه يحس بكل معانيها، وكان يرسم رسوما تدل على احساس فطرى بالفن وكان يحاول ان يكتب ازجالا سانجة يقلد فيها كلمات الأغانى التى يسمعها..

كل ذلك قربه من قلب فايضة، وجعلها تظمه الى تلميذتها سميرة فى عاطفة الامومة التى يشعها قلبها.. واصبحت تلقاه فى نزهتها كل يوم، فيحمل لها الكرايس، ثم يسير بجانبها حتى تجلس هى وسعدية عند اقدام الشجرة الكبيرة، فيعيد لها الكرايس لتصححها ثم يأخذ فى الغناء او فى الرسم على الارض يعود من الحظب او فى رواية بعض ما حدث له فى يومه.. ثم يحمل عنها الكرايس مرة ثانية الى ان تدخل المدرسة..

واصبحت فايضة تعتمد على صحبتها، حتى لم تعد تخشى ان تخرج بمفردها الى نزهتها فى المرات التى تعتذر فيها سعدية عن الخروج معها..

وفى احدى هذه المرات كان يبدو غاضبا صامتا، وسألته فايضة عن سر غضبه وصمته، فقال بعد تردد:

- سمعت حاجة عنك..

- سمعت ايه؟..

- سمعت انك بتحبى بنت اسمها سميرة!!..

- طيب وماله؟..

- فيه واحد صاحبى كبير فى المدرسة الثانوى، قاللى ان

المعلمات ما بيحبوش الا البنات!!..

- ما تصدقش.. أنا باحب سميرة وباحبك انت كمان..

- مش ممكن.. شادية بتقول فى الغنوة بتاعتها «ما أقدرش احب اتنين»!

وضحكت فايضة كما لم تضحك من قبل، ثم قالت بين ضحكاتهما وهى تنظر اليه من خلال ضحكتها فى حنان وتربت على وجهه بكفها:

- وانت يهكم ايه.. هيه بنت وانت راجل!!

واشرقت الفرحة على وجه محمد، وقال جذلاً:

- صحيح والنبى.. يعنى بتحبينى انا؟!

- طبعاً باحبك.. امال بخليك تكلمنى وتقعّد معايا ازاي؟

وقال محمد فى صوته الطفل وقد اغرق فى الخجل والارتباك .. حتى لم يعد يسمع صوته:

- يعنى.. يعنى.. اقدر اقولك «يافايزة»؟!

وسكتت فايضة عن ضحكتها وقالت وهى لا تستطيع ان تخفى ابتسامتها:

- ليه.. مش عاجباك «ابله فايضة»!

وقال متردداً:

- بيتها لى وانا بأقولها انى زى البنات..

- بس انا كبيرة.. انا زى ماما.. ولازم تحترمنى..

- ماما الله يرحمها كانت اكبر منك.. وطنط كمان اكبر منك..

انتى احلى منهم هم الاتنين!..

كان يتكلم فى سذاجة لم تستطع فايضة ان تقاومها فانسعت

ابتسامتها وعادت تضحك، ثم قالت فى حنان:

- طيب أنا حاسم لك تقوللى «فايزة» بس بينى وبينك.. انما

قدام الناس تقوللى «يا أبله فايضة»!!..
وقفز الصبى من جانبها كأنه وجد أجنحته التى يطير بها،
وقال فى كلمات متقطعة؟

- مرسى.. مرسى.. يا.. فايضة!
ثم انحدف عليها فجأة وقبلها فوق خدها، ثم أخذ يعدو بعيدا
عنها..

وقبل أن تفيق فايضة من دهشتها صرخت وراءه:
- محمد.. محمد.. تعال.. تعال هنا!!!

وتوقف محمد عن العدو، ثم عاد اليها فى خطوات بطيئة وهو
منكس رأسه الى الأرض، وقالت فايضة وهى تفتعل العنف:
- أوعى تعمل كده مرة ثانية.. المرة دى حاسمك، انما المرة
الجاية حازعل منك ومش حا كلمك تانى.. ثم ازاي تجرى
وتسيبنى لوحدى؟.. انتة مجنون.. حد يسيب واحدة ست لوحدها
فى الشارع..

ولم يجب محمد وظل غارقا فى خجله وارتابكه، ثم حمل
الكرارىس، وسار بجانبها حتى باب المدرسة..

ولم تعلق فايضة كبير أهمية على قبلة الصبى.. انها لم تكن
اكتر من قبلة طفل محروم من حنان الأم لامرأة وجد فيها حنان
الأم.. ولم تعلق ايضا كبير أهمية عندما قلبت مرة فى احدى كتبه
المدرسية فوجدت اسمها مكتوبا على كل صفحة من صفحات
الكتاب.. ولم تعلق ايضا اهمية عندما رآته مرة من نافذة حجرتها
واقفا بجانب سور المدرسة يتطلع الى نافذتها والساعة قد
تجاوزت السابعة مساء، فاكتفت بأن نهزته فى اليوم الثانى..

كان لا يعدو ان يكون طفلا جميلا رقيقا محروما من الحنان،
وكانت تعصر قلبها لتقطر فى قلبه الظامىء حنانها ..

ودخلت سعدية عليها فى حجرتها ووجهها يتהלل فرحا وهى
تصيح كأنها تزغرد:

- يا بختك.. يا بختك.. شوفى يا ستى جالك ايه!!

وفتحت لفافة فى يدها وأخرجت منها زجاجة عطر، ورفعتها
فى يدها أمام وجه فائزة كأنها ترغلل عينيها، واستطردت:

- قزازه جى رفيان، باعتها لك الدكتور عوض.. لسه واصله
من مصر النهاردة، مخصوص علشانك!!..

وتنبهت عائشة التى كانت جالسة فوق فراشها تطرز قطعة من
القماش، واتسعت عيناها كأن شبحا مخيفا مر من أمامها!!
وقالت فائزة فى حدة:

- اسمعى يا سعدية.. أنا ماسمحشى انك تقبلى هدايا
باسمى.. من قالك انى متعودة اقبل هدايا من عوض ولا من
غيره.. من فضلك ترجعها مطرح ماجبتيها..

وقالت سعدية وقد أخذت، وتراجع صوتها حتى أصبح
كالصدى البعيد:

- حد يرفض النعمة!!..

وقالت فائزة وهى لا تزال فى حدتها:

- دى مش نعمة، دى نقمة.. تسمحي تقوليلى واحد زى

الدكتور عوض يبعثلى هدايا ليه.. عايز منى ايه؟..

وقالت عائشة كأنها تحدث نفسها وكأنها تعاني الما فى
معدتها:

- عايز منك اللى بيعوزه كل الرجالة.
وقالت سعدية ملتفتة الى عائشة وقد عاد صوتها الى الارتفاع
وكأنها تتحداها:

- ما فيش راجل يقدر ياخذ من واحدة اكتر من اللى هيه
عايزه تديهوله.. حتى لو غرقها بالهدايا وبعثها ميت قزازه
بارقان.. الرك على الست!!

وقالت عائشة فى صوتها الهامس:

- انتى أصلك ما جريتيش!!..

وارتفع صوت سعدية حتى اصبح أشبه بالصراخ وقالت وهى
تكاد تفقد أعصابها:

- ما جريتيش ليه.. أنا مش ست زى بقية الستات ولا ايه.. لا
ياحبيبتي جريت كثير.. بس كنت دايما عارفه انا باعمل ايه،
علشان كده عمري ما ندمت على حاجة عملتها.. وعمري ما شلت
الهم زى بعضهم.. ومش ضرورى اقولك مين بعضهم.. انتى
عارفه انا اقصد مين!!..

وسكتت عائشة كأنها خرس، ونكست رأسها فى ذل!!
واستمعت فايضة الى مناقشة زميلتيها، وخيل اليها انها
تستمع إلى مناقشة من المناقشات الكثيرة التى كانت تدور بينها
وبين شقيقتيها..

ثم قالت لسعدية فى هدوء:

- مافيش لازمه للكلام ده كله.. المهم انك ترجعى القزازه دى
للدكتور عوض بكره..

وقالت سعدية وهى تهز كتفيها:

الطريق السلوك

- رجعيها انتى.. انا مش مستغنية عن مستقبلى!!..
وقالت فائزة فى دهشة:

- وايه اللى دخل مستقبلك دلوقت!

وقالت سعدية وهى تدعى عدم المبالاة:

- ما أقدرش أزعل الدكتور عوض.. ده راجل عارف كل

البلد.. مين عارف يقدر يعمل ايه لما يزعل!!..

وفهمت فائزة ما تقصده سعدية، وقالت وكأنها وقعت فى

مشكلة:

- طيب هاتيها.. انا ارجعها بنفسى!

ولم يتناول الثلاثة طعام العشاء فى تلك الليلة.. وان كانت

سعدية قد تسلمت بعد اطفاء النور بقليل وصنعت لنفسها

«ساندويتش» حشته بالجبن، وأخذت تلتهمه فى صمت وهى

مستندة على حافة النافذة..

ولم تنم فائزة..

كانت تفكر فى زجاجة العطر، وكان يطوف بأذنيها صوت

شقيقتها خديجة وهى تقول لها: «الشرف هو انك تشغلى مخك»!

ماذا يقول مخها اليوم ليحتفظ لها بشرفها؟

هل تذهب الى الاجر خانة وتلقى بزجاجة العطر فى وجه

صاحبها الدكتور عوض، وتعلمه درسا فى الاخلاق؟..

أم هل تقبل زجاجة العطر وتسكت وتقصر الشر، كما سكتت

وقصرت الشر يوم جاءتها هدية الفطير من عبدالمقصود «بيه»

العمدة؟..

وظلت تفكر..

وعندما سقطت خيوط الفجر فوق عينيها كان مخها قد استقر
على الرأى الثانى..

ونامت بين أحضان الفجر، نوما قلقا لا هو بالنوم ولا هو
باليقظة.. كالفجر نفسه، لا هو بالليل ولا هو بالنهار!!..

وعندما أصبح الصباح لم يدر حديث بين الزميلات الثلاث عن
زجاجة العطر، ولم تسألها سعدية عما قررته بشأنها..

وعندما جاء المساء ارتفعت ابتسامة فوق شفتى سعدية وهى
ترى زجاجة العطر لا تزال فى مكانها!!..

وجاءتها بعد ايام تقول:

- الدكتور عوض سألنى عليكى، وقلته انك متشكرة على

قزاة البارفان..

وارتفعت فوق شفتى سعدية ابتسامة خبيثة..

وقالت فايضة وهى تتجاهل الابتسامة:

- ابقى سلمى عليه..

وكان سعدية تشجعت.. فعادت تقول:

- والنبي ده بيعزك قوى.. ولما قلته انك مابتروحيش

الأجزخانة علشان بتجيبى لوازمك من مصر، طلب منى أقولك انه

مستعد يجيبك مصر كلها لغاية عندك.. حقه يا بختك يا فايضة!!..

وقالت فايضة فى اقتضاب:

- قوليله متشكرين!!..

واصبحت فايضة تتعمد ان تغلق باب الحديث عن الدكتور

عوض، كلما حاولت سعدية ان تفتحه، ثم اصبحت سعدية نفسها

تتجنب الحديث عنه حتى لا تثقل به على فايضة فتخسر صداقتها

وثقتها..

الى أن قالت لها يوما هامسة وكأنها أعدت لها مفاجأة:

- الجمعة دى مش ممكن حتنزلى مصر يا فايضة.

- ليه؟

- معزومين..

- معزومين فين؟..

- فى عزية عبدالمقصود «بيه».. جنة.. جنة.. يا فايضة اللى يروح
هناك بيتحسر على بخته.. فواكه ايه.. وخير ايه.. ونركب حمير
وخيل.. والفلاحين يرقصوا .. وتبقى زيطة!!..

وابتسمت فايضة كأنها تصورت نفسها فى الجنة، ولكنها
عادت وسحبت ابتسامتها وقالت:

- انما الراجل ده دمه ثقيل.. باين عليه فجعان ستات، ويوم
ما شفته فى الاجزخانة حسيت انه حياكلنى بعينيه، ويحطنى فى
كرشه..

وقالت سعدية متحمسة:

- أبدا والنبي ده راجل طيب.. وكل سنة بيعزم المعلمات كلهم
على دفعات علشان خاطر بناته.. وحتى الست الناظرة بتروح
هناك.. وبينى وبينك يظهر انه بيعستلطف الست الناظرة، أصلهم
الاتنين من وزن واحد..

وعادت فايضة تبسم وهى تتصور عبدالمقصود بكرشه الضخم
المترهل وبجانبه الست الناظرة السمينية المكتنزة، وقالت من بين
ابتسامتها:

- ياسم عليهم همه الاتنين.. الطيور على أشكالها تقع!!..

وقبلت فائزة الدعوة..
وأرسلت الى امها خطابا تعتذر عن الذهاب اليها فى موعدها
الأسبوعى..

وفى مساء الخميس، همست سعدية فى أذن فائزة:
- بكره الساعة تسعة، الدكتور عوض حيستنانا على السكة
الزراعية بالأتومبيل..

وقالت فائزة دهشة:

- هوه جاى معانا؟!..

واجابت سعدية:

- ما هوه اللى حيودينا..

والتفتت فائزة الى عائشة قائلة:

- عاجبك كده يا عيشة..

- خير.. ما سمعتش!!..

- الدكتور عوض جاى معانا!..

وقالت عائشة وفى عينيها نظرة غبية:

- فين؟!..

- الله.. انتى مش جايه معانا ولا ايه.. سعدية ما قللكيش؟!..

- على ايه؟!..

- احنا معزومين بكره فى عزبة عبدالمقصود بيه!!..

وتدخلت سعدية وهى محرجة:

- الحقيقة.. عيشه مش معزومه، يمكن يعزموها نوبه تانيه!..

وقالت فائزة:

- وانا مش رايحة الا لو جت معانا عيشة..

وقالت سعدية:

- بس هيه مش معزومه.. يا ترى حنرمي نفسنا على
الناس!!..

وقالت فايضة:

- هم اللى بيترموا علينا.. يا نروح احنا التلاته.. يا محدش
رايح!!..

وقالت عائشة فى صوت ذليل:

- بلاش انا يا فايضة.. بلاش احسن!!..

- مش ممكن.. انتى قبل اى حد.. عاجبهم على كده نروح!!..

وقالت سعدية وقد اشتد بها الحرج:

- طيب مش نستأذنهم قبله!!..

وقالت فايضة بحزم:

- ولا نستأذن ولا حاجه.. يعنى حيدبحوا خروف زياده..

مالكيش دعوة انتى!!..

وقالت سعدية:

- أصلك ما تعرفيش الحكاية.. فى حاجات كتير ما

تعرفيهاش!!..

- مش عايزة أعرف..

وقالت عائشة فى ذل:

- اعفينى انا يا فايضة!!..

وقالت فايضة وهى تضمها بابتسامه حنونة:

- لأ.. مش حاعفيكى!!..

وابتسمت عائشة لابتسامه فايضة، ثم قفز الى عينيها بريق

عجيب كأنها قررت شيئاً، والتفتت الى سعدية قائلة كأنها تتحداها وتغيظها:

- علشان خاطر فايزة.. حاجى معاكم!!..

وقالت سعدية دون ان يسمعها احد:

- يا باى!!..

ونام الثلاثة وكل منهن فى عالم خاص..

وخرجن فى الصباح متجهات الى خارج البلدة، وفايزة مستبشرة بيوم جميل، وسعدية ممتعة كأنها تتوقع كارثة وعائشة هائمة فى صمتها وعلى شفيتها ظل ابتسامة حزينة كأنها تحدث نفسها..

وعند اول الطريق الزراعى كان الدكتور عوض ينتظرهن جالسا على مقعد القيادة من سيارته.. كل شىء فيه مفتعل.. شعره الأسود قد وضعت كل شعرة منه بجانب الاخرى وثبتت مكانها بالبريانتين، وشاربه الصغير يبدو من شدة عنايته به كأنه اشتراه جاهزا، وتحت عينيه بقع سوداء تروى لياالى كثيرة لم يرحم خلالها نفسه ولم يرحم احدا..

والتفت اليهن الدكتور عوض، واريد وجهه عندما رأى بينهن عائشة، ولكنه تمالك نفسه سريعا، ووضع فوق شفيتها ابتسامة تقطر رياء، وهو يقول:

- اهلا وسهلا.. يا صباح الخير!!..

وصافح الثلاثة وهو لايزال جالسا فى مكانه، وقالت سعدية وكأنها تدافع عن نفسها:

- فايزة صمتت ان عيشة لازم تيجى معنا!!..

ومال الدكتور عوض، وفتح باب السيارة المقابل له قائلاً:

- وماله.. علشان خاطر عين تكرم الف!!.

وتجاهلت فائزة الباب الذى فتحه، وفتحت هى الباب الثانى ودلفت منه بسرعة وجلست فى المقعد الخلفى، ودلفت وراءها عائشة.. ووقفت سعدية حائرة كأنها لا تجرؤ على الجلوس بجانب الدكتور عوض فى المقعد الأمامى..

والتفت الدكتور عوض الى فائزة قائلاً وعلى وجهه علامات الخيبة:

- مش كنتى تيجى تقعدى قدام.. ده انتى ضيفة الشرف!!.

واجابت فائزة فى اختصار حازم:

- هنا كويس...!!

ونقل عينيه بين فائزة وعيشه ثم استدار الى عجلة القيادة قائلاً:

- اتفضللى يا ست سعدية..

وجلست سعدية بجانبه وهى تبتسم كأنها تتباهى..

ولم يستغرق الطريق الى عزية عبد المقصود «بيه» اكثر من ربع ساعة قضاها الدكتور عوض فى الحديث عن نفسه، والتلميح عن مغامراته النسائية..

واستقبلهم عبد المقصود «بيه» كأنه كرش يقف على قدمين،

وعاد يكرر بصوت كالشخير وهو يضع يده الثقيلة فى يد فائزة:

- ما شاء الله.. ما شاء الله.. سنبتنا بيضه باذن الله!!..

ثم قال وهو يصافح عائشة:

- والله وحشتينا ياست عيشه.. فىن ايامك!!..

ثم قهقه بصوت عال..

وقال وهو يصافح سعدية:

- جرى ايه يا ست سعدية، مش تسمنى شويه بأه.. انا حاجزك عندي هنا ومش حاسيبك الا لما تبقى اده كده اربع مرات..

ثم استدار إلى فلاح عريض يقف وراءه وهوى بكفه السمين على قفاه وصاح فيه:

- يا وله اجرى افتح المندره.. ده ماله واقف مبلغم زى التيس!!..

كانت المندرة تقع فى ركن قصى من حديقة الموالح التى تحيط بالبيت الكبير، واتجه الجميع اليها سائرين فى ممرات الحديقة ومدت فايضة يدها وقطفت حبة من «اليوسف افندى» وهى تقول للعمدة:

- تسمع!!..

وقال العمدة:

- الجنينة كلها تحت امرك... واذا ما كفتش ازركك جنبها جنينه ثانية!..

ولم ترد فايضة، واخذت تقشر حبة «اليوسف افندى» وهى تحس برغبة ملحة تدفعها لان تنطلق حافية القدمين بين الأشجار، تقبل كل ثمرة فيها، وتتعلق بكل فرع منها.. تريد ان تجرى.. تريد ان تمرح.. تريد ان تضحك.. والتفتت الى زميلتها قائلة:

- تيجو نلعت استغماية يا بنات!!..

وضحكت ضحكة من قلبها كأنها تذكرت ايام طفولتها.. الأيام

البعيدة قبل ان يتوفى عنها ابوها..
ولم ترد عليها زميلاتها.. سوى بابتسامات باهتة، ومدت كل
منهما يدها فى وقار وفى انوثة مفتعلة، وقطفت حبة من الثمار....
ودخل الجميع الى المنذرة..
وجلست فايضة على الاريكة «الاستنبولى» الطويلة وكأن كلا
من العمدة والدكتور عوض، كان يتريص ليرى اين تجلس فما
كادت تجلس حتى جلس كل منهما بجانبها من ناحية!!..
وقال العمدة وهو يرفع يده ويريت بها على فخذ فايضة:
- نورت بلدنا يا ست فايضة..

ثم رفع يده..
وعاد بعد قليل يقول وهو يرفع يده ايضا ويضعها على فخذ
فايضة:

- شرفت العزبة يا ست فايضة..
ثم رفع يده..
وادعى الدكتور عوض الرقة، فبدأ يسأل فايضة عن مصر، واين
تقيم عائلتها فيها.. و.... و...
وقاطعه العمدة، وقال وهو يرفع يده ايضا ويضعها على فخذ
فايضة:

- أهلا وسهلا بالست فايضة!..
وفى هذه المرة لم يرفع يده، انما أبقاها بكل ثقلها على فخذ
فايضة..

وتمالكت فايضة اعصابها، ومدت يدها ورفعت يده عن فخذها
فى ادب قاس، وقالت وهى تلتفت اليه وتعتدل فى جلستها بحيث

تبعد عنه فحذيتها:

- امال الهانم فين؟!

وقال العمدة متعجبا وكأنه يحاول ان يتذكر شيئا نسيه:

- هانم مين؟!..

وقالت فائزة وهي تعلم أنها تعكر مزاجه:

الست حرمكم!..

وطاف العمدة بعينه على الحاضرين كأنه يشهدهم على

سخافة السؤال، وقال وهو يزفر:

- والله الست عيانة شوية، ما بتقدرش تنزل من السرير!!

وعادت فائزة تقول كأنها تزيد من ضيقه:

- والبنات فين.. مش ييجوا يسلموا على ابلواتهم؟!..

وقال العمدة وهو يلتفت الى الدكتور:

- شوف لنا سيجارة معاك يا دكتور.

ثم التفت الى فائزة واستطرد:

والله البنات بايتين عند عمتهم من امبارح..

واخرج الدكتور عوض من جيبه علبة سجائر من الصفيح،

وقدمها مفتوحة الى العمدة، وتناول العمدة منها سيجارة مدببة

الطرف وهو يقول:

- ده انتة ما معاكش كثير.. انتة مش عامل حسابك ولا ايه؟!

وقال الدكتور عوض:

- بس لما يخلصوا.. يبقى يحلها حلال!..

ومد يده بالعلبة الى سعدية قائلا:

- اتفضللى يا ربة المزاج!..

وتناولت سعدية سيجارة بيد ملهوفة.. ثم طاف الدكتور عوض
بالعبة على عائشة وهو يقول:

- وانتى كمان ياست عيشة.. والله زمان!

وقالت عيشة وهى تتناول سيجارة من اللعبة:
زمان ما اتنسى خلاص..

وقال عوض:

- ازاي بأه.. وانا انسى يوم ما قعدت تحكى نص ساعة بعد
اول نفس!!...

وقدم عوض اللعبة الى فايضة، فقالت فى هدوء:

- مرسى ما بدخنش!..

وقال عوض:

- ده مش دخان.. مدى ايدك مدى!..

وقالت فايضة:

- صحيح ما بالدخنش!

وقال العمدة:

- جرى ايه بأه ياست فايضة.. انتى باين عليكى غاوية محايلة!!

وكان العمدة وسعدية وعائشة قد أشعلوا سجائرهم وبدأوا

يدخنونها، وشمّت فايضة رائحة غريبة تتجمع فى جو الغرفة..

وقالت وكأنها تخاف شيئاً:

- ده ايه ده؟..

وقال الدكتور عوض وهو يسحب علب سجائره من أمامها

ويشعل لنفسه سيجارة..

- قوليلها يا سعدية يبقى ايه!..

وقالت سعدية وهى تلتهم الدخان بأنفاسها وتزفره سحباً
كثيفة سوداء:

- يعنى مش عارفة يا فايضة.. خديك سيجارة خدى.. ده
والنبي يروق الدماغ وينسى الهم..
وقالت عائشة:

- ويقلب الحال...

وسكتت فايضة وقالت وهى تضم شفيتها:

- فهمت.. لأ مرسى.. بأه هو ده!..

وقاطعها العمدة:

- أهو ده.. والله لا انت واخده سيجارة.. خليكى معانا
أمال!..

وقالت فايضة:

- لأ.. مرسى، انا عمرى ما دقته!..

وقال الدكتور عوض:

- ازاي بأه.. ده كل ستات مصر غاويينه..

وقالت فايضة:

- لا زم انا مش من ستات مصر!!..

وقال العمدة:

- ده انا جاني ديك النهار على بك خيرت زى المجنون بيدور

على المدعوق ده.. قلته جراك ايه يا على بك، ما كنت بطلته..

قاللى: مش علشانى ياسيدى علشان الست..

وضحك عبدالمقصود ضحكة ضخمة كأنه يتجشأ، وقال وهو

يغمز لفايضة باحدى عينيه:

- بلاش كهن بأه ياست فايضة.. هو ده عيب مدى ايدك خديك
سيجارة!.

- لا، مرسى..

ورفع عبدالمقصود صوته قائلاً:

- طيب على الطلاق بالتلاته لا انتى وا خده سيجارة!!..
وساد الصمت..

والتفتت فايضة بعين مذعورة الى من حولها.

كان الدكتور عوض ينظر اليها بخبث..

وكانت سعيدة تنظر اليها كأنها تشجعها..

وكانت عائشة منكسة رأسها الى الارض لا تنتظر اليها.

وظلت فايضة لا تتحرك، وقال الدكتور عوض فى صوت

كالفحيح:

- اظن ما يخلصكيش توقعى يمين العمدة..

ورفعت اليه فايضة عينيها كأنها مذهولة.. وخيل اليها انها فى

قفص، والذين حولها قضبان له.

وترددت..

ثم مدت يدها الى العلبة، وتناولت سيجارة ما كادت تلمسها

حتى سقطت من بين اصابعها كأنها لمست قطعة من الجمر.

وانحنى الدكتور عوض والتقط السيجارة وأعادها اليها، ثم

أشعل عود ثقاب وقربه منها.

وهزت رأسها وقد انقلب صمتها الى ثورة تضج فى صدرها

وتنطلق من عينيها:

- لا.. مش حاولع.. العمدة حلف انى آخذ سيجارة.. ما

حلفش انى ادخنها!!

وقهقه العمدة، وقال:

- بس كده. بسيطة، طيب على الـ ...

وقفزت فايضة واقفة على قدميها وصرخت كالمجنونة تقاطعه:

- لو حلفت بالطلاق تانى، حاسيبك تطلق.. انت فاهم!

وذهل الجميع..

ونظر اليها العمدة متعجبا، ونظرت اليها عائشة معجبة،

ونظرت اليها سعدية مبهوتة، ونظر اليها الدكتور عوض ساخرا.

ونظر اليها العمدة كأنه لا يصدق.. ثم قال متراجعا:

- طيب بلاش يا ستى.. حقك علينا.. بس ما تزعليش قوى

كده!!

وقال الدكتور عوض وكأنه أعد خطة اخرى:

- احنا أسفين.. كنا فاكرينك بتتقلّى علينا، علشان نتحايل

عليكى.. ما تخدش على كلام العمدة ده بيحلف بالطلاق كل يوم

ميت مرة.

وعادت فايضة تجلس على الاركة «الاستنبولى» بين المقصود

بيه والدكتور عوض..

وفرغ الجميع من تدخين سجائرهم المدببة، وبدأ كل منهم

يشغل سيجارة اخرى مدببة ايضا.

كانوا يتكلمون كلاما سخيفا، ويتبادلون الفاظا من الشرق

والغرب لا معنى لها ولا رابط بينها، ورغم ذلك كانوا يضحكون

ويضحون بالضحك..

ومرت عليهم اكواب الشاي المرة تلو المرة، ووضعت امامهم

اطباق الفطير والكعك الفلاحى..

وشربوا الشاى، واكلوا بنهم..

وظلت فايضة تحس بالضيق، وكانت سحب الدخان المسوم قد
تجمعت كثيفة حتى اصبح الهواء كله دخانا مسموما.. وبدأ هذا
الدخان يتسرب الى انف فايضة ويخنق رئتيها.. وأحست كأن
مفاصلها قد بدأت تتخلى عنها، وأحست كأن كل ما حولها يهتز
أمام عينيها، وأحست كأن أصوات الكلام تصل اليها من بعيد.
وشربت الشاى لعلها تتماسك.. واكلت الفطير لعل حركات
فكيها تنبه اعصابها.. وحاولت ان تفهم ما يقولونه وان تضحك
معهم، ولكنها لم تفهم شيئاً، ولم تضحك..

وفجأة هبت واقفة مرة ثانية وقالت فى حزم وهى تتجه الى
الباب:

- أنا عايضة اتمشى فى الجنيينة.. احنا مش جايبين علشان
نقعد فى اودة مقفولة!!

وكانوا منذ ثارت عليهم يتحفظون فى الحديث معها، ويدعون
الرقعة والمجاملة فى معاملتها، فقال العمدة فى صوته الذى يشبه
خوار الثور:

- مش نستنى لما نتغدى، وبعدين نطلع الجنيينة..

وقالت فايضة وهى تحاول ان تجامله:

- هو لسه فيه غدا بعد الفطير ده كله!

وقال العمدة:

- لسه فيه كثير.. بس اقعدى انتى واهدى بالله!..

وقالت فايضة:

- معلش.. اخرج اتمشى شوية علشان نفسى تتفتح.. ثم التفتت الى زميلتيها واستطردت:

- ما حدش عايز يتمشى فيكم!..

وتلملت سعدية كأنها تعترض على تعكير مزاجها بهذا الاقتراح، ونظرت اليها عائشة صامتة ثم نكست رأسها الى الأرض كأنها اضعف من ان تبقى رأسها مرفوعا..

وقال الدكتور عوض:

- أجي معاكى انا..

ورد عليه العمدة فى سرعة كأنه يقف فى وجهه معترضاً سبيله:

- خليك انت.. ولا عايزنا نقوم كلنا معاك..

ثم التفت العمدة الى سعدية مستطرداً:

- قومى انتى معاها ياست سعدية، فرجيهما على الجينة!..

وخرجت فايضة وسعدية تطوفان بين اشجار الموالح.. واحست فايضة ان الهواء النقى الطلق بدأ يغسل رئتيها، وينزع الضيق عن صدرها..

وكان يبدو ان سعدية مرتبكة لا تدري كيف تبدأ حديثاً مع فايضة، وانتظرت طويلاً ان تبدأها فايضة بالحديث.

ولكن فايضة ظلت متشاغلة عنها بالتطلع الى اشجار الموالح.. واخيراً قالت سعدية متلعثمة:

- الحقيقة انا ما كنتش حاسبه حساب القعدة دى.. كنت

فاكره حنقضى اليوم نلعب ونجرى!!..

ونظرت اليها فايضة كأنها تحتقرها ولم تتكلم..

وعادت سعدية تقول بعد فترة صمت:
- والبتاع اللي بيشر يوه يقطع النفس.. ده انا حاسه ان
صدرى كله قايد نار!!..
ولم ترد فائزة ايضاً..
وسكنت سعدية لحظة ثم عادت تقول كأنها تدافع عن نفسها:
- انما بيقلوا انه بيضمن.. اصله بيفتح النفس، تقوم الواحدة
تاكل كتير وتضمن.. وانا فى عرض اتنين كيلو بس احطهم على
عضمى!!
وقالت فائزة فى هدوء كأنها تقفل موضوع الحديث:
- انتى مش بتقولى انك دايم عارفة ايه اللي بتعمله؟..
- أيوه..
- أنا كمان عارفة ايه اللي باعمله.. وما فيش لازمة للكلام
بأه!!..
وأنا عملت حاجة؟..
- مش قصدى.. انما اقفلى الموضوع، وخلينا نشم شوية
هوا..
وسكنت سعدية.. وسارت بجانب فائزة الى أن خرجتا من
الحديقة وانطلقنا فى المزارع الخضراء..
واستعادت فائزة ابتسامتها، واستردت مرحها، فأخذت تقفز
فوق القنوات الصغيرة، وتبحث بين الزرع عن حبات الفول
الحراتى وأوراق «الجعز» لتأكلها..
وكانت سعدية تسير وراءها مستسلمة لا تستطيع ان تجاريها
فى مرحها، وانما يبدو الضيق من وجهها، ثم بدأت تحس بالتعب

من طول السير، وقالت كأنها تسترحم فايضة:

- ده احنا بعدنا قوى عن الجماعة.. مش نرجع بأه!!؟..

وقالت فايضة:

- يا شيخة سيبك منهم.. يعنى عاجبك فيهم ايه.. العمدة اللي

زى العجل، والا الدكتور اللي بينقط سم..

- بس زمانهم مستنينا على الغدا..

خليهم يستنوا..

واستمرت تقفز فوق القنوات وتلتقط الفول الحراتى وأوراق

الجعضيد، الى ان احست بالشبع من الهواء النقى، والتعب من

السير فعادت تجر وراءها سعديّة..

وعندما وصلت الى الحديقة رفعت عينيها الى بيت العمدة

فلمحت فى الشرفة بناته الثلاث.. تلميذاتها!!؟..

واحست بالخجل، وعاد الضيق يزحف على صدرها..

كيف تستطيع ان تواجه البنات غدا صباحا فى المدرسة؟..

كيف تستطيع ان تحتفظ باحترامها امامهن!!؟..

وماذا يقلن الآن بينهن وبين بعضهن، ومن يرينها مع ابيهن

فى المندرة!!؟..

وكيف يسمح ابوهم لنفسه بأن يجلس مع معلمات بناته هذه

الجلسة المريبة!!؟..

وتمنت لو انها نادى البنات واخذتهن معها الى ابيهن لتقول

رأيها فيه امامهن، ولتعلمه كيف يحتفظ بكرامة بيته الذى يضم

بناته..

ولكنها لم تفعل، وارخت عينيها عن الشرفة التى تقف فيها

البنات، وسارت الى المنذرة وبين ضلوعها نار تكتمها فى صدرها
فتأكل من قلبها..

وفوجئت بوجوم مخيم على الجميع..
كانت عائشة تجلس ورأسها فوق يدها وعلى وجنتيها آثار
دموع.. وكان العمدة تبدو على وجهه آثار خيبة الأمل.. وكان
الدكتور عوض ينفث دخان سيجارته فى عصبية وقد برزت عظام
فكيه من تحت جلده الأصفر.

ووجدت على المائدة زجاجة كونياك وعدة كويات، بعضها
فارغ وبعضها نصف ممتلئ..
وقالت سعدية:

- ما لكم يا جماعة.. جرى ايه؟!..
وقال الدكتور عوض:

- ولا حاجة... انتو اتأخرتوا كده ليه.. ده احنا كنا عايزين
نقوم من الصبح!..

ورفعت عائشة رأسها الى سعدية، ثم التفت الى فاييزة، ثم
اخرجت منديلها ووضعتة فوق انفها كأنها تحبس مزيدا من
الدموع تكاد تنهمر!..
وقال العمدة:

- اهلا بالست فاييزة.. اتفضلى اقعدى.. تاخدى كأس كونياك
بأه!!..

وقالت فاييزة بحدة:

- لأ.. متشكرة!!..

وقال العمدة كأنه يسلم امره لله:

- حتى ده كمان. بلاش ياستى ماهو اليوم كله نكد.. نجيب الغدا بأه.

والتفت الى عائشة:

- اظن ما عند كيش مانع نتغدى يا ست عيشه.. ناكلنا لقمتين ننسى بيهم الهم!!..

وقال عوض ملتفتا الى سعدية وهو يزفر:

- انا عارف كنتم جبتوها معاكم ليه!!..

وقالت سعدية فى حقد:

- فايژه هيه اللى صممت تعزمها.. انا ماليش دعوة!!..

والتفتت فايژه الى الجميع تحاول ان تفهم ماذا حدث.. كانت تعرف ان هناك مأساة فى حياة عائشة، وكانت قد استنتجت ان الطرف الثانى فى هذه المأساة لابد ان يكون الدكتور عوض، ولكنها لم تكن تعرف التفاصيل.. لم يقلها لها احد، وفضلت ألا تسأل احدا عنها..

وصفق العمدة بيديه، ليدخل خادم ريفى عريض، امره بأن يعد طعام الغداء، ثم قاموا جميعا الى غرفة ثانية تتوسطها مائدة خشبية كبيرة ازدهمت فوقها اطباق الطعام..

ولم تأكل فايژه إلا النذر رغم الحاح العمدة..

ولم تأكل عائشة، ولم يلح عليها احد بالأكل..

وكان الدكتور عوض يأكل بشراهة، حتى تعجبت فايژه اين يجد مكانا فى جسده النحيل لكل هذا الطعام.

وكانت سعدية تحاول أحيانا ان تدعى التمتع، وتحاول أحيانا ان تدعى الرشاقة فتمسك «بديوس الفرخة» بأصبعين اثنين

وترفع اصابعها الثلاثة الاخر فى الهواء كأنها تشهد الله على
رشاقتها.. ثم لا تلبث ان تنسى تمنعها ورشاقتها.. وتقبل على
الطعام كأنها تهبه جسدها كله..

اما العمدة فكان هادئا امام الأطباق.. كأنه أعد لكل طبق
مكانا من كرشه..

وانتهى الطعام او كاد، وفجأة قفز الدكتور عوض قائلا:

- ياللا بينا..

وقال العمدة:

- على فين... ما تستنى الشاى!!..

وقال الدكتور عوض وهو يمسح يديه فى القوطة:

- اشربه فى البلد.. اصل عندى شغل!!..

وقال العمدة دون ان يتحرك من مكانه، وهو لا يزال مقبلا على
الطعام:

- انا عذرك.. الحقيقة حاجه تنكد.. انما برضه الحق عليك!!..

وقامت الزميلات الثلاث فاستطرد العمدة:

- احنا أسفين ياست فايضة، احنا ما عملناش بالمقام..

ثم نظر الى عائشة قائلا:

- افرديها بأه أمال.. كل حاجة تتعوض!!..

ونظرت فايضة الى عائشة ثم احاطت خصرها بذراعها، وضمتها

ضمة خفيفة كأنها تواسيها وتشكرها لأنها افسدت نزهة اليوم!!..

وحملت سيارة الدكتور عوض الجميع الى مدخل البلد، حيث

نزلت منها الزميلات الثلاث..

وعندما وصلت فايضة الى المدرسة، واصبحت فى حجرتها،

أحست أنها وصلت إلى شاطئ النجاة..



ومرت الأيام مملة متشابهة لا تدري فائزة ماذا تصنع بها!!
كانت لا تزال تخرج فى نزهتها اليومية على شاطئ، المصرف
وان كانت قد اصبحت تفضل ان تصحب معها عائشة بدلا من
سعدية..

وكان الصبى محمد يلحقها كالعادة بدراجته، ثم يحمل عنها
الكراريس ويجلس بجانبها تحت الشجرة الضخمة العجوز يرسم
على الأرض رسوما ساذجة بعود الحطب، او يترنم بأغنية
شعبية، او يروى لها حوادث يومه، ويشكو لها تصرفات زوجة
ابيه، واهمال ابيه له..

وقال لها يوما وهو جالس بجانبها لا ينظر اليها:

- بيقولوا فى البلد انك رحت عزبة عبدالمقصود بيه عمدة كفر شرف!!..

ورفعت فايضة رأسها عن الكراس الذى تصححه، ونظرت اليه فى عينيه، وقالت:

- أيوه رحت.. وبيقولوا ايه كمان فى البلد؟!..
وقال الصبى فى صوت خفيض:
- ولا حاجه..

وسكت قليلا واخذ يعبث بعود الحطب فى التراب، ثم رفع رأسه فجأة وقال كأنه يكاد يبكى:

- انا بكره عبدالمقصود بيه.. ما بحبوش!!..
وابتسمت فايضة وقالت:
- وانا كمان!!..

وقال محمد وكأنه انتفض رجلا رغم صوته الرفيع:
- أمال رحتى عزبته ليه؟!

ودهشت فايضة لجرأته، وبدأت تحس انه يتعلق بها اكثر من تعلق طفل يبحث عن الحنان، وانه يلقي عليها حملا ثقيلًا ليست على استعداد لتحمله. انها تحب ان تعوضه عن بعض حنان امه التى فقدتها، ولكنها لا تحب ان تنساق فى هذا الحنان حتى يصبح حقا له، يتدخل بموجبه فى حياتها..

وربما أحست ساعتها انها اخطأت عندما ربطت نفسها به الى هذا الحد، واخطأت عندما اعتبرته مجرد طفل لا يتجاوز عمره الثانية عشرة.. فخلف هذا العمر تكمن احساسيس وعواطف فجأة قد تتفتح فجأة وقبل أوانها، عندما تعيش فى ظروف شاذة

من الحرمان..

ورغم ذلك اجابته فائزة فى لهجة حازمة:

- انا رحت عزية عبدالمقصود بيه علشان بناته فى المدرسة.

وأجاب الصبى:

- ودول بنات دول ... و...

وقاطعته فائزة وقد ازدادت حزما:

- وبعدين معاك يا محمد. مش عيب!!..

وسكت محمد، وتشنجت عضلات وجهه كأنه يحاول ان

يحبس دموعه.. ثم قام وركب دراجته واختفى..

ومن يومها قررت فائزة ان تخفف من تعلقه بها، وبدأت تقلل

من نزعتها اليومية حتى لا تلتقى به..

وكانت تلمحه عندما لا تخرج الى نزعتها وهو يطوف حول

المدرسة بدراجته، وكانت تلمحه يقف تحت نافذتها حتى يخفيه

الليل عن عينيها، وكانت فى المرات القليلة التى تخرج فيها ويلحق

بها تلمح على وجهه نحولا وحزنا صامتا كأنه يلف بالصمت

جراحا عميقة فى قلبه.. ورغم ذلك فلم تكن تسأله عن سر تحوله

او عن سر صمته.. كانت قد قررت ان تقسو على نفسها وتقسو

عليه، حتى تنقذ نفسها منه، وتنقذه من نفسها!!..

وضاقت حلقة الملل والسأم حول فائزة..

وكانت تقضى امسيات كثيرة بين زميلاتهما المعلمات فى

«صالة» القسم الداخلى او فى حجرة احدهن، يستمعن الى

الراديو، ويتحدثن عن الناس، ويتبادلن النكات.. وكان بعضها

نكات خارجة لا تستطيع فائزة احيانا ان تمنع نفسها من

الضحك لها، ولكنها لم تكن ابدا تتداولها او تعيد روايتها.. كانت تحس للنكتة الخارجة بثقل على لسانها حتى لا تستطيع النطق بها..

وكانت المعلمات يتحدثن فى ذلك المساء عن مستوى الجمال فى البلدة، وقالت حسنية:

- انتم عايزين الحق.. من يوم ما فايضة جت ماشفناش اجمل منها!!

وسكتت بعض الزميلات حاققات، وابتسم البعض الآخر ابتسامات لها معنى، وقالت واحدة او اثنتان، وكأنهما تحاولان ارضاء حسنية لا فايضة:

- لك حق..

كانت حسنية معلمة قديمة يبدو انها تعدت الثلاثين من عمرها وان كانت تصر على انها لم تتجاوزها.. وكانت قوية الجسد، مكتنزة فى غير ترهل، حتى يبدو اكتنازها متناسبا مع طولها، ولم تكن جميلة الوجه، ولكنها لم تكن منفرة.. وكانت قوية الشخصية بحيث تستطيع ان تسيطر بشخصيتها على كثيرات من زميلاتهن، ولا تحاول ان تخفى هذه السيطرة، بل تظهرها كأنها تتباهى بها.. كانت شخصيتها عارمة خشنة، اقرب إلى شخصيات الرجال..

وكانت حسنية تغنى احيانا فى الندوات التى تعقدها زميلاتهن.. كان صوتها مليئا قويا حتى ليخيل اليك انه صوت لنصف رجل او نصف امرأة.. ورغم ذلك كان صوتا ممتعا وكان اكثر ما يتميز به هو ضبط اللحن وسلامة النغم.. وكانت فايضة تحب ان تستمع اليها، وكان هذا الصوت يثيرها كأنه يتخلل دماغها وينقر على اعصابها.. ولكنها ظلت تنفر من صاحبته،

وظلت منذ اليوم الأول الذى التحقت فيه بالمدرسة تقاوم شخصية حسنية، لسبب لا تدريه.. لم تكن تأخذ عليها شيئاً واضحاً إلا أنها تعودت ان تقبل جميع زميلاتنا فى خروجها ودخولها.. واستطردت حسنية قائلة للزميلات المجتمعات وهى تبتسم ابتسامة واسعة:

- تفذكروا ايه اجمل حاجة فى فايزة؟ ونظرت الزميلات بعضهن لبعض نظرات ذات معنى، ثم قالت واحدة بلا تحمس:

- رجليها!..

وقالت ثانية:

- شعرها.. الحقيقة ما شفتش شعر اسود باللون الجميل

..هـ

وقالت الثالثة:

- أهى كلها على بعضيها حلوة.. ما حدش يقدر يقول حاجة! وأحست فايزة بالخجل.. أحست أن العيون التى تلتف حولها قد خلعت عنها ثيابها، حتى لم يبق فيها شىء مستور. وقالت حسنية فى صوتها الملىء القوى وقد شابتته حشرجة غريبة كأنها تكتم شيئاً يكاد ينفلت منها:

- كلكم غلطانين.. اجمل حاجة فيها صدرها.. زى ما تكون بنت أريعتاشر.. والنبي انا اول ما شفت صدرها قلت عليها انها بنت عزيزة ما فيش راجل قدر يحط ايده عليها!..

ومدت حسنية يدا ملهوفة ولمست صدر فايزة، وهى تقول وفى صوتها هذه الحشرجة العجيبة:

- شوفو.. زى حبة الرمان!..

وانتفضت فائزة وتراجعت فى مكانها وهى تحس بقشعريرة مقبضة كأن ثعبانا املس مر فوق صدرها.

وضحكت الزميلات وقالت احداهن:

- ماتكسفيهاش يا حسنية.. ده لسه صغار!..

وضحكت الزميلات مرة ثانية..

وأحست فائزة بما فى ضحك الزميلات من تهكم وسخرية، وخشيت ان يتمادين فى تهكمهن وسخريتهن، فأعملت ذهنها بسرعة وتمالكت ارادتها ثم هبت واقفة وهى تقول وعلى شفيتها ابتسامة مفتعلة:

- مين قال انى جميلة.. ربنا يسمع منكم.. غنى لنا يا حسنية حاجه.. غنى غنوة «يا عطارين دولنى» يمكن ربنا يصبرنا على الهم اللى احنا فيه..

وقالت حسنية وهى تنظر اليها فى نهم:

- مش حا غنى الا لما تيجى تقعدى جنبى..

- بس كده..

وضغطت فائزة على ارادتها، وألقت نفسها بجانب حسنية. ومدت حسنية ذراعها ووضعته فوق كتفى فائزة، وبدأت تغنى..

وعندما انتهت حسنية من الغناء، قامت الزميلات كل منهن الى فراشها، وقبلت حسنية كلاً منهن على كل من وجنتيها، وضغطت بشفتيها قليلا وهى تقبل وجنتى فائزة..

ومر يومان...

وكانت فائزة قد خلعت ثيابها فى المساء وارتدت قميص النوم،

عندما فوجئت بحسنية تدخل الى الغرفة وهى مرتدية ثياب النوم
ايضا..وقالت فى مرح:

- انا اتفقت مع سعدية انها تنام فى سريري الليلة وانا انام
فى سريرها.. نفسى اغير الخلق اللى انا قاعدة معاها.. عندك
مانع يا فايضة؟..

وقالت فايضة فى تردد وارتيباك:

- لا.. أبدا اتفضللى!..

وقالت حسنية:

- اهو نقعد نرغى ونتحدث لغاية ما يكبس علينا النوم!..
وجلست حسنية على فراش فايضة، دون ان تهتم بعائشة التى
كانت راقدة فى فراشها، أو توجه اليها كلاما، وكأنها شىء لا
يستحق الاهتمام ولا الكلام..

وجاءت فايضة وهى تحاول ان تخفى ضيقها وجلست على
الفراش بجانب حسنية، ثم رفعت الوسادة واسندتها الى الحائط
وأمالت رأسها عليها..

وقالت حسنية وهى تضع ساقها تحتها:

- قوليلى بأه.. الراجل اللى بتحبيه شكله ايه؟

وضحكت فايضة قائلة:

- مالوش شكل..

- ازاي بأه؟..

- ما باحبش!..

- وده معقول.. المدرسة كلها بتقول انك بتحبنى واحد فى

مصر!!..

- لا فى مصر ولا فى اسكندرية!
- يعنى عايزة تقوليلى ان واحدة فى جمالك وشبابك، ما لقتش راجل تحبه؟..
- اعمل ايه.. ماليش بخت!!..
- بالعكس.. ده لو كان الكلام ده صحيح يبقى ربنا بيحبك..
- هى الستات بتاخذ حاجه من الرجالة الا الندم والهم وتعب القلب.. أهو كل يوم قلب ينكسر ولا واحدة تنتحر من تحت رأس الرجالة!..
- وأخذت حسنية تروى لفايزة قصصا عن كوارث الحب التى تعرفها..
- ثم مدت يدها الى فتحة قميص النوم الذى ترتديه فايزة، وقالت وقد عادت الحشرجة الغريبة الى صوتها، وهى تحاول ان تضغط بأصابعها على الصدر العزيز الغالى:
- القميص ده حلو قوى يا فايزة... جايباه منين؟..
- ووضعت فايزة يدها على صدرها فى لهفة كأنها تحميه، وقالت فى صوت خائف مذعور، بينما تحاول ان تسيطر على نفسها:
- والله ما انا عارفه.. نينه اشترتهولى وبعته من مصر!..
- وسحبت حسنية يدها من فوق القميص وعادت تتحدث كأنها لم تتعمد شيئا..
- وبدأت فايزة تتعاب او تفتعل التثاؤب.. وقالت حسنية:
- انتى باين كابس عليكى النوم.. ايه رأيك ما تيجى ننام مع بعض علشان نكمل حديثنا...

وقالت فاييزة بسرعة وفى إصرار:
- أنا متعودة من يوم ما وعيت انى اناام لوحدى.. لو حد نام
جنبى ما نمشى للصبح.. وانا أصلى بكره عندى الحصّة
الأولى..
ونظرت اليها حسنية فى تمنع كأنها تبحث فى وجهها عن
الطريق اليها، ثم قالت:
- طيب تصحبى على خير يا حبيبتي..
ويحكم عادتها، مدت حسنية وجهها وطبعت قبلة على وجنة
فايزة، وقبل ان تصل الى الوجنة الثانية مرت على شفتيها،
فأطبقت عليهما..
وأحست فاييزة بأنفاسها تضيق وبأمعائها تنقلب..
أحست كأن الثعبان الأملس يمر فوق شفتيها ويكاد يلدغ
لسانها..
وكتمت انفاسها.. واستسلمت برهة ثم دفعت عنها زميلتها فى
رفق..
وما كادت حسنية توليها ظهرها حتى مسحت شفتيها
بذراعها فى غيظ، وهى تسخط على الدنيا، وعلى الناس..
ولم تتم..
ظلت مفتحة العينين طوال الليل، كأنها تخاف أن يسرق احد
شيئا منها.. من جسدها!!..
وقامت فاييزة فى الصبح متعبة، منهكة، مصدعة الرأس،
وألقت تحية الصبح على حسنية وعائشة فى «قرف»، ودخلت
الى تلميذاتها، وبحث بينهن عن الوجه الذى تحبه.. وجه تلميذتها

سميرة.. ولم تجده..

وازداد قرفها وسخطها على الدنيا.. كانت سميرة هي
الانسان الوحيد الذى تحبه ويرفه عنها فى هذه المدينة.. وكانت
دائما فى حاجة اليها، وهى اليوم أشد حاجة اليها من أى يوم
آخر..

وغابت سميرة فى اليوم التالى..

وفى اليوم الذى يليه..

وعرفت فائزة انها مريضة وقررت ان تزورها فى بيتها لتطمئن
عليها وتخفف من لهفتها عليها..

وطرقت الباب..

وفتح لها شاب.. بل رجل!!..

والتقت عيناها بعينه.. وأحست كأن يدا امتدت وأخذت تطرق
باب قلبها فى الحاح مهذب لذيذ..

وربطتهما برهة خاطفة من الصمت..

وقالت فائزة فى ارتباك وقد تصاعدت الدماء الى وجنتيها فى
مظاهرة حمراء:

- أنا المعلمة بتاعة سميرة.. جاية اطمئن عليها!!..

وقال الشاب فى صوت مهذب:

- اتفضلنى يا افندم.. اهلا وسهلا..

وخطت الى الداخل، وهى تتمنى فى كل خطوة ان تلتفت

وراءها لتلتقى عيناها بعينه مرة ثانية!..

وكان البيت واحدا من هذه البيوت الكبيرة القديمة التى تدل

على عز قديم، والتى يختفى سكانها وراء المشربيات..

الباب الخارجى الخشبى الضخم يفتح عن حديقة صغيرة تتوسط الدار.. وكأنه يفتح عن الجنة.. ثم تصعد سلما ضيقا تاكلت درجاته، حتى تصل الى الدور العلوى، فلا يلتفت نظرك منه شىء إلا كثرة حجراته، والا هذا الجو الرطب الهادىء المشبع برائحة البخور الذى يضمك فى حنان فترتاح اعصابك حتى لتكاد تغفو فيه.. وكان كل شىء فى البيت قديما.. الجدران والأثاث والسجاجيد حتى الخدم كانوا جميعا كهولا يبدو عليهم القدم..

وكان اهل البيت يبذلون جهدا كبيرا ليحتفظوا بكل هذه الاشياء القديمة على حالها.. كانت السجاجيد قد انسلت خيوطها، ولكنها رتقت رتوقا ظاهرة وفرشت بعناية فوق الحصر لتحفظها من الرطوبة... وكانت قطع الأثاث متآكلة وقماشها كالحا، ولكنها كانت نظيفة لامعة كأن يدا حريصة تمر عليها كل صباح ومساء..

وسارت فايضة داخل البيت وقلبها واجف كأنها تسير فعلا فى أبهاء الجنة..

وتقدمها الشاب بيضع خطوات، ثم فتح لها باب احدى الحجرات، وهو يقول فى صوته المهدب:

- اتفضلى.. ح ادى خبر لوالدتى حالا!!!..

ورفعت فايضة عينيها اليه ثم خفضتهما سريعا، وقالت فى صوت خافت:

- متشكرة..

وجلست على مقعد «ارابسك» كتبت على ظهره آية قرآنية بحروف من صدف، وأخذت تجيل عينيها فى تردد كأنها تخشى

ان تجرح الجدران وقطع الأثاث بنظراتها.. وأحست بشعور عميق بالراحة والهدوء.. أحست كأنها كانت تجرى العمر كله لتصل الى هذا البيت وترتاح فيه..

ودخلت سيدة كبيرة السن ترتدى السواد..
كان وجهها ناصعا كأنه يشع نورا، وبين شففتيها ابتسامة طيبة كأنها ابتسامة قديسة، وكانت تطل من عينيها نظرات حانية كأنها تضم كل الناس الى قلبها..
وقالت فى فرحة خالصة:

- اهلا وسهلا.. خطوة عزيزة.. لازم حضرتك ست فايضة!
وقامت فايضة واقفة، ومدت يدها تصافحها وانحنت كأنها تريد ان تقبل اليد التى التقطتها..
وعادت السيدة الطيبة تقول:

- انا اول ما سى احمد ابنى قاللى انك المعلمة بتاعة سميرة قلت لازم تبقى ست فايضة.. ده انتى ما تعرفيش غلاوتك عندى اد ايه.. اقعدى يا حبيبتى.. أنستى وشرفتى..
وجلست فايضة قائلة:

- ازى سميرة دلوقت.. انا مشغولة عليها قوى؟..
- ما تنشغلش على غالى يا حبيبتى.. دى يا حبة عينى مسكتها السخونية كام يوم وبقت تفرفر لما فرطت قلبى عليها..
وطول ما هى بتخطر ف ما بتجيبش الا اسمك وسيرتك..
- وازيها دلوقت؟..

- الحمد لله.. الف حمد.. نشرب القهوة ونقوم ندخل لها..
- والنبي دى وحشاني أوى..

وابتسمت الأم فى حنان وقالت:

- طيب نشرب القهوة بعدين.. اتفضللى..

وقامت الى الغرفة التى ترقد فيها سميرة، وما كادت سميرة تلمح معلمتها حتى قفزت من فراشها وتعلقت برقبة فاييزة وهى تصيح:

- أبله فاييزة!!..

واحتضنتها فاييزة بين ذراعيها وضمتها الى صدرها فى لهفة، ثم اخذت تقبل وجهها وهى تكاد تبكى من فرط انفعالها:

- اخص عليكى يا سميرة.. كده برضه تشغلينى عليكى!!
وتشبثت سميرة بعنق فاييزة، واخذت الأم تنظر اليهما فى حنان، وهى ترتل بعض الأدعية..

وجلست فاييزة على فراش سميرة وجلست الأم على الأريكة وطال بينهما الحديث.. وكان حديثا سانجا حلوا تمننت فاييزة ألا ينقطع ابدا.. كانت كل كلمة فيه نظيفة طاهرة لا تخفى شيئا اكثـر من معناها..

ووجدت فاييزة نفسها بين طيات الحديث تقارن بين هذه الأم الطيبة وبين امها.. بين الوجه النظيف الخالى من الأصباغ وبين الوجه الذى تتجمع فوقه كل الألوان.. بين الحشمة والوقار، وبين الخلاعة والمجون.. بين سجادة الصلاة وبين زجاجة الويسكى.. بين الاعصاب الهادئة ومنطق الاستسلام للقدر وبين الاعصاب الثائرة ومنطق اقتناص الفرص!!..

وأحست فاييزة كأن هاتفا يصرخ فى صدرها ندما على حظها من الحياة..

لماذا لم يكن لها مثل هذه الأم؟!..!!
لماذا لم يكن لها مثل هذا البيت؟..
لماذا لم تكن سميرة اختها واحمد اخاها؟..
ولم تشعر فايضة بالحقد والغيرة، انما احسست بالحب.. حب
هذه العائلة الطيبة، وحب هذا البيت الهادئ، ذى الجو الرطب
المشبع برائحة البخور..
وقامت فايضة مستأنزة فى الانصراف..
وقالت الأم فى لهجتها الحلوة النصف ريفية:
- استنى يا حبيبتى لما اندهلك ام ابراهيم توصلك لغاية
المدرسة ده احنا بقينا ليل والمغرب قرب يدن!!..
وقالت فايضة:
- متشكرة..
وقبلت فايضة سميرة وهى تعدها بأن تزورها غدا، ثم صافحت
الأم وهى تكاد تنحنى وتشعر برغبة اكيدة فى تقبيل يدها كأنها
تريد بتقبيلها أن تتبرك بها..
وقالت الأم وهى تمسح على رأس فايضة بيدها:
- حنستنا كى بكرة ياست فايضة.. ما تتأخرىش علينا.. والنبي
ده انا حبيتك زى بنتى سميرة.. مع السلامة.. ربنا يحميكى
ويحمى شبابك ويجعلك فى كل خطوة سلامة..
وخرجت فايضة، ولحقت بها أم ابراهيم.. خادمة عجوز ترتدى
الثياب الريفية وتغطى وجهها بطرحة سوداء..
وفى الحديقة الصغيرة التى تتوسط الدار التقت فايضة مرة
ثانية بأحمد.. واستطاعت هذه المرة، وفى لمحة واحدة ان تعى

وجهه كله.. وجهه الأسمر القوي.. وعينيه الواسعتين المهدبتين،
وأنفه الأشم، وشفتيه الرقيقتين، وقوامه الطويل العريض كأنه نبت
من ارض خصبة بكر.. كان كل مافيه ينبض بالرجولة، وكانت كل
لمحة من لمحاته تلح عليك بأن تثق به.. وتحتمى به..

وجمعتهما برهة أخرى من الصمت.

ثم قال أحمد وهو يرخى عنها عينيه ولا يمد يده لمصافحتها:

- أنستى وشرفتى!!..

وأجابت فائزة وهى تحاول أن تسيطر على خطواتها حتى لا
تهتز ارتباكاً:

- الله يأنسك.. تتمسى بالخير!!..

وقال أحمد وكأن الخير قد ملأ قلبه بمجرد ان تمنته له فائزة:

- يسعد مساك..

وخرجت فائزة وهى تتساءل: هل تتمنى حقاً ان يكون أحمد
أخاها؟..

وأحست بدقات قلبها تكذبها!!..

ولم تلق صعوبة -وهى فى طريقها الى المدرسة- لتجر أم
ابراهيم الى الحديث، فقد أخذت المرأة من تلقاء نفسها تحدثها
عن البيت القديم.. عن رجل البيت الذى كان من اكبر تجار
المدينة، ثم أصيب بنكبة فى تجارته لم يعمر بعدها سوى سنتين،
وعندما مات كان ابنه الوحيد أحمد طالباً فى كلية التجارة، فقطع
دراسته وتسلم ما بقى من تجارة والده، وأخذ يكافح حتى نهض
بها بعض الشئ.. واستطاع بذلك ان يصون اسم والده وكرامة
العائلة وان يغول امه وشقيقته، وان يبقى البيت الكبير مفتوحاً

تنبض فيه الحياة..

وأحست فائزة بكل كلمة قالتها أم ابراهيم كأنها تعيش فيها..
أحست بالفرح والزهو وهى تحدثها عن العز القديم وأحست
بالحزن واللوعة وهى تحدثها عن وفاة رجل البيت كأنها تحدثها
عن وفاة أبيها، وأحست كأنها تتباهى بأحمد وهو يجاهد ويكافح
فى سبيل الاحتفاظ بالبيت الكبير وباسم العائلة.

وعندما وصلت الى المدرسة كانت قد أصبحت فى دنيا
جديدة.. دنيا جميلة.. دنيا لا ترى فيها سعدية وعائشة وحسنية
وحضرة الناظرة وبقية الزميلات الا من بعيد.. وعندما أصبحت
تراهن من بعيد، لم تعد ترى مساوئهن وعيوبهن وشهواتهن،
فصفحت عنهن جميعا، أحبتهن كأطيار تحيط بها ولكنها لا
تصل اليها..

ولاحظ كل من فى المدرسة ان تغييرا بدأ يطرأ على فائزة..
لاحظن ابتسامتها الدائمة التى تطلقها فى الهواء دون ان تخص
بها احدا. ولاحظن عينيها وقد امتلأتا بالمرح والأمل ولاحظن
الكلمات الحلوة التى تلمع دائما فى حديثها ولا حظن أنها
احيانا تهيم بعيدا، وانها تكون فى أسعد اوقاتها عندما تكون
هائمة..

حتى التلميذات لاحظن ان «أبلة فائزة» كأنها ازدادت جمالا..
وكان على وجنتيها دائما حمرة خفيفة.. كأن الملائكة أشبعوها
تقبيلًا. وكانت عيناها تلتمعان دائما كأنها ترى شيئًا لا يراه
الناس، وكانت شفاتها منفرجتين دائما كأنهما فى انتظار قادم
اليهما. وكانت قد أصبحت تحبهن جميعا، وتلقى دروسها كأنها
تترنم بأغنية حبيبة.. وتصيح الكراريس كأنها تقرأ خطابات

غرام.. وقد لاحظت التلميذات ايضا ان «ابلة فايضة» تسرح كثيرا بذهنها الى أفق بعيد عنهن، وأنها احيانا واثناء «الحصة» تطل من النافذة على الحقول البعيدة كأنها تبحث عن شيء طال غيابه..

وكانت فايضة خلال تلك الأيام تتردد على تلميذتها سميحة حتى أصبحت تتردد عليها كل يوم.. وأصبحت تدخل البيت وتخرج بلا كلفة وبلا حرج كأنها قد أصبحت أحد افراد العائلة..

وكانت تلتقى دائما بأحمد..
كانت تلتقى به في حديقة الدار، كأنها على موعد معه وكأنه يعتمد انتظارها..

ثم أصبح يصعد الى الدور العلوى، ويدور بين الغرف الى ان تناديه والدته:

— ما تيجى تقعد معانا يا أحمد يا ابنى.. مافيش حد غريب دى ست فايضة المدرسة!!..

فكان أحمد يجلس بينهن مهذبا مؤدبا، لا تكاد تلتقى عيناه بعيني فايضة حتى يخفضهما وكأنه يكتم فى صدره آهة يخاف منها ان تنطلق..

ولم يعد يكتفى بتحيتها بالكلمة الحلوة.. أصبح يمد يده الى يدها فى لمسة سريعة، ثم أصبحت يده تستقر فوق يدها برهة، ثم أصبحت يده تضغط على يدها ضغطة خفيفة كأنه يبلغها شكوى يعجز عنها الكلام..

وكانت العائلة تملك قطعة أرض صغيرة لا تتجاوز الخمسة أفدنة تقع عند مدخل المدينة، وتزرع بالخضراوات.

ودعت الأم فايضة الى ان تصبح سميرة وأم ابراهيم الخادمة
ليقضين يوم الجمعة فى قطعة الأرض هذه حتى تستفيد سميرة
من الهواء الطلق بعد ان أصبحت فى دور النقاهاة..
لم تذهب الأم معهن، فلم تكن تخرج من البيت الا نادرا..
وركب الثلاثة عربة حنطور وحملن معهن غداءهن، وذهبن الى
هناك..

وانطلقت فايضة بين الحقول كأنها استعادت صباها وكأنها
تبدأ الحياة من جديد.. كانت فى انطلاقتها ومرحها كأنها فى عمر
تلميذتها سميرة.. تضحك وتلعب الاستغماية، وتقفز فوق القنوات،
وتغافل الفلاحين وتنزع الخضراوات من الأرض لتأكلها، وتتفق
مع سميرة على معاكسة ام ابراهيم..
كانت سعيدة.. تكاد تطير من السعادة..

ولكن.. كان يخيّل اليها ان سعادتها ليست فى انطلاقتها بين
الحقول، بل فى شىء تنتظره.. وكانت بين ضحكاتها ولهوها
تتلفت الى الجسر تبحث بعينيها عن هذا الشىء..
ولم يظهر ما تبحث عنه..

وتناولت الغداء مع سميرة وأم ابراهيم.. دون ان يحدث جديد
فى يومها..

وبدأت سعادتها تنكمش، وبدأ يجتاحها شعور كأنه خيبة
الأمل.. وأحست بالشبع من اللهو واللعب، فرقدت على الأرض
صامتة، وبدأت تهيم فى افكارها، وتلتصع بين شفيتها ابتسامة لا
تلبث ان تخبو تحت ظل سحابة من القلق.. ثم تعود الابتسامة
تلمع مرة اخرى كأنها شارة الأمل..

وجلست سميرة بجانبها وقالت بصوتها الحلو الرفيع:

- انتى حتنامى يا أبله فايضة؟..

وقالت فايضة وهى تحتضن تلميذتها بابتسامتها:

- باستريح شوية. ما شبعتيش من الشقاوة؟!..

- أنا عمرى ما حاشبع منك يا أبله فايضة!!..

واحتضنتها فايضة الى صدرها، وقالت فى حنان:

- ربنا يخليكى ليه يا حبيبتي!!..

وقالت سميرة كأنها تريد ان تفعل أى شىء لتيسد فايضة:

- أحكيك حكاية؟!..

- أحكى!!..

وأخذت سميرة تحكى قصة ساذجة من قصص الأطفال..

وتقلد خلالها صوت ام ابراهيم ولهجتها، وفايزة تضحك من كل قلبها..

وفجأة تلقت أنذا فايضة صوت عجالات تسير على الجسر..

فالتفتت فى عنف كأن يدا مجهولة أمسكت برأسها ولفنتها رغم ارادتها..

وما كادت ترى العربة ومن فيها حتى ارتفعت الدماء الى

وجنتيها، وعادت تنظر الى سميرة دون ان تسمع من كلامها

شيئا، ودون ان تعتدل فى رقدتها..

والتفتت سميرة بعد برهة ثم صاحت:

- أخويا احمد جه!!..

واعتدلت فايضة جالسة، وأخذت تنظر الى احمد وهو ينزل من

العربة كأنه ينزل عن عرشه.. طويلا مهيبا جميلا...

ولوح لهما أحمد بيده، ثم سار فى خطى وئيدة الى الساقية
ووقف هناك منتصباً كأنه اله، وكأنه يأمرهما بأن تأتيا اليه لتقدما
فروض الولاء والخضوع..

وقامت سميرة تجرى نحو اخيها..

وقامت فايضة تسير فى خطوات مرتبكة وهى ترفع رأسها فى
خطوة وتخفضه فى خطوة اخرى.

واحتضن احمد شقيقته وقبلها.. ثم مد يده الى فايضة..
وضغط على يدها فى رقة كأنه يخشى ان يعتصرها، وقال فى
صوت هادىء تكاد اللهفة تمزق هدوءه:

- ازيك يا فايضة..

قالها ببساطة.. كأنه كبير.. كبير جدا.. وكأنها صغيرة..
صغيرة جدا..

وقالت فايضة فى صوت خجول كأنها فتاة ريفية تكشف وجهها
أمام الرجال لأول مرة:
- الله يسلمك..

- اوعى تكون سميرة ضايقتك النهاردة.

- ابدأ.. عمر سميرة ما تضايقنى، ده انا اتمنى أعيش معاها
العمر كله!!

وقال أحمد وهو يحاول ان يخفى عواطفه بضحكته:

- اللي يعيش مع سميرة لازم يعيش معايا انا كمان!!..

والتفت إلى سميرة مستطردا حتى لا تلتقى عيناه بعيني
فايضة:

- مش كده يا سميرة!!

وأجابت سميرة وهى تحجل على قدم واحدة بينهما:
- أنا حا عيش مع أبله فايضة على طول..
وقال أحمد:
- وتسيبيني.. خسارة تربيتى فيكى!
وقالت سميرة:
- ماهو مافيش فى الداخلية رجالة!
وقال أحمد:
- افتحك داخلية مخصوص.. نقعد فيها أنا وأنتى وفايزة
ونينتك.. ايه رأيك؟..
وقالت سميرة:
- وأم ابراهيم..
وأجاب أحمد:
- وام ابراهيم كمان، علشان خاطرك..
ثم التفت الى فايضة واستطرد:
- موافقة يا فايضة؟..
وكان قلب فايضة يهتز لكل كلمة تسمعها كأن أحمد يطلب يدها
من سميرة..
وصمتت ولم تجب.. كما تصمت العروس لتعبر عن موافقتها..
وارتفع صوت ام ابراهيم من الحقل، وهى تنادى على سميرة
لتساعدها فى جمع الأطباق وأوانى الطعام التى حملتها معهن..
وبقى احمد وفايزة وحدهما بجوار الساقية..
وقفز احمد وجلس على حافة الساقية وأخذ يهز قدميه فى
الهواء، وهو ينظر الى الأرض كأنه يبحث فيها عن كلمات ضاعت

منه ولا يجدها لسانه..

ووقفت فائزة مسندة ظهرها الى عريش الساقية.. كل شيء فيها ينطق الا لسانها.. دماؤها تتكلم فوق وجنتيها وصدرها يتكلم بأنفاسها، وعيناها تتكلم بنظراتهما، واعصابها تتكلم بحركات يديها اللتين لا تستقران وتحتار اين تضعهما.

وقال أحمد وكلماته تتعثر فوق شفتيه:

- أنا با فكر فى حاجات كثير.. ومش لا قى لها حل..

وقالت فائزة فى صوت خفيض وصدرها يرتفع ليلتقط كلماته، ثم ينخفض كأنه لم يفهم شيئاً:

- بتفكر فى ايه؟..

- يعنى مش عارفه؟..

وترددت قليلا ثم قالت كأنها لم تجد طريقا آخر غير الاصرار على تجاهل قصده:

- لا.. صحيح بتفكر فى ايه؟..

وقال احمد فى صوت رقيق كأنه يعاتبها:

- بافكر فيكى.. بافكر فينا احنا الاتنين.. يا ترى حنفضل

على طول كده.. نبص لبعض من بعيد لبعيد!!

وقالت فائزة ورأسها منكس الى الأرض بينما تعبت بقدمها

فى التراب:

- مش فاهمة!!..

وقفز أحمد من فوق حافة الساقية فى عصبية، واقترب منها

حتى وقف قبالتها وكاد صدره يلامس صدرها..

ورفعت رأسها وتعلقت عيناها بعينه..

وأحست أنه سيقبلها .. أحست انه يجب ان يقبلها .. يجب ..
يجب!! ..

ولكنه لم يفعل .. وظل فى وقفته وصدره يكاد يلامس صدرها ..
ثم قال كأنه غاضب:

- أنا مش غريب عنك يا فائزة .. ما يصحش تعاملينى المعاملة
دى .. مش من حقك تعاملينى زى الغريب .. انتى عارفه أنا عايز
اقول ايه .. عارفه بالضبط اللى اقصده ايه ..
وسقطت عينا فائزة عن عينييه، وقالت فى صوت لا يكاد
يسمع:

- عارفه يا احمد ..

وارتفعت ابتسامة على شفتى احمد كأن قلبه قد ارتاح، وقال
كأنه يبحث لديها عن امله:

- وحانفضل لأمتى محرومين من بعض .. حنفضل لأمتى
نخبى عن بعض ونضحك على بعض .. انا مختار يا فائزة .. مش
عارف أعمل ايه .. مش عارف اقول ايه؟! ..
وقالت فائزة وهى تتنهد:

- انا مختارة أكثر منك .. مش عارفه انا رايحة فين؟! ..
وقال أحمد وهو يلتقط يدها ويضغط عليها:

- احنا الاتنين رايعين لبعض!! ..
ورفعت اليه عينيها كأنها لا تصدق كل هذه السعادة ..
وقال أحمد وهو يدير عينييه عنها:

- أنا ما أقدرش أستغنى عنك يا فائزة .. و .. و ..
وارتفع صوت سميرة وهى تجرى نحوهما صائحة:

- أبله فائزة.. أبله فائزة.. شوفى مسكت ايه..
ورفعت أمام عينيها فراشة كبيرة متعددة الألوان..
وأخذت فائزة الفراشة منها فى رفق،، ووضعتها على كفها ثم
نفختها فى الهواء، وهى تقول:
- حرام عليكى يا شيخخة!!..
ونظرت الى سميرة، ولأول مرة تحس بالضيق وهى تنظر
اليها.. وتحس ان الدنيا كانت تكون اجمل لو لم تظهر سميرة فى
هذه الساعة!!..
وجاءت أم ابراهيم خلف سميرة، تحمل السلال التى كانت
محملة بالطعام، وقد ملأتها بخضراوات الحقل لتعود بها الى
البيت، وقالت فى لهجتها الريفية:
- انت اتأخرت علينا قوى يا سى أحمد.. زمان الست الكبيرة
انشغلت علينا..
ولم يجب احمد..
وتحرك الجميع نحو العرية..
وركبت فائزة وسميرة وأم ابراهيم، ووقف أحمد يشير الى
السائق ان يتحرك.
وقالت سميرة:
- مش حتروح معانا يا أخويا احمد..
وقال احمد فى هدوء نائر كائه يستنزف كل قواه ليخفى
عواطفه:
- لا.. أنا حاستنى شويه فى الغيط، وبعدين حتمشى لحد
البيت..

ثم نظر الى فايضة قائلاً:

- مع السلامة..

وردت فايضة تحيته بعينيها وأنفاسها.

وسارت العربى الحنطور وهى تهتز بعنف، وفايضة لا تحس إلا
باهتزازات قلبها..

وتعجبت، لماذا لم يركب معهن احمد؟

ربما تعتمد ألا يركب معها حتى لا يثير الأقاويل فى المدينة
عندما تمر بهم العربى فى شوارعها؟..

وارتاحت الى هذا التفسير، ولم تجد غيره.. ثم اخذت تستعيد
كلماته، وتستمع الى صداها الذى لايزال يملأ اذنيها.. وتعلقت
أنفاسها وهى تستعيد قوله: «احنا الاتنين رايعين لبعض.. أنا
ما أقدرش أستغنى عنك يا فايضة!»

وأحست أنها ترتفع الى سماه يملؤها ضجيج محبب..
ضجيج العوالم ومن يقرعن الدفوف فى زفاف عروس..
وقفز ذهنها الى أمها.. أحست برغبة ملحة تدفعها اليها لتلقى
نفسها فوق صدرها، وتروى لها كل شىء.. كأن السعادة قد
فاضت بها حتى لم تعد تتحملها وحدها وتريد أمها لتعاونها على
حملها..

ولكن ماذا تروى لها؟..

وابتسمت فايضة عندما وجدت نفسها قد انسأقت فى احلامها
الى هذا الحد.. ان شيئاً لم يحدث حتى تبنى حولها كل هذه
القصور..

ورغم ذلك فهى سعيدة.. سعيدة بأحلامها وسعيدة بالقصور

التي يبينها خيالها .
ووصلت العربة الى بيت سميرة ..
ونزلت سميرة وام ابراهيم، وبقيت فاييزة فى العربة التى
حملتها الى المدرسة .
ولم تع فاييزة وجوه زميلاتنا اللاتى التففن حولها يسألنها اين
قضت يومها، انما حيت الجميع، وابتسمت للجميع .. ثم اسرعت
الى غرفتها والقت بجسدها فوق الفراش فى دلال .
وعادت الى احلامها وقصور خيالها ..
ولم تنم ليلتها رغم تعبها .. كأنها كانت تضن بالليل ان تضيعه
فى النوم ..
انما عاشت الليلة كلها معه ..
ولأول مرة فى حياتها يشركها خيالها مع رجل فى فراش
واحد ..
وكانت تتعجب من نفسها وتبتسم .. انها لا تفكر فيه بعقلها
فحسب، ولا تشعر به فى قلبها فحسب ..
انما تفكر فيه بأعصابها .. وتشعر به بجسدها ..
انها تشعر بكفيه فوق ذراعيها العاريتين تضغطان عليهما فى
قسوة حتى لتكاد ترى بعين الوهم آثار اصابعه فوق لحمها!
وتحس بصدره يصهر صدرها، حتى لينتفض نهداها
ويشبان، كأوراق الورد تتفتح فى الدفء!!
وتحس بشفتيه تتلمسان فى الظلام شفتيها ثم ترقدان
بينهما .. ثم تستيقظان فجأة وتعربدان حتى لا تعود تعرف اين
شفتاها من شفتيه!! ..

وتحس بعينيه تطوفان بثنايا جسدها، حتى لتجذب اللحاف
فوقها كأنها تخفى جسدها عن عينيه، ثم تعود وترخى اللحاف
كأنها تذكرت انه يملك كل شىء فيها!!!..

انها تحس بأنوثتها..

وقد قضت عمرا طويلا لا تحس بها.. عمرا كانت تعيش فيه
على مقاييس للفضيلة والشرف يضعها عقلها، ولا يحسب فيها
حساب جسدها..

وتذكرت جسدها..

وتمنت لو قامت من فراشها، واضاءت النور، ووقفت أمام
المرأة عارية لترى مدى جمال هذا الجسد..

كانت تعرف انها جميلة القوام.. هكذا يقول لها كل الناس..
ولكنها هي نفسها لم تكن تتذوق هذا الجمال، لم تكن تلمسه
بحسها.. لم تكن تعيه.. كانت تنظر اليه كأنه شىء منها لا يثير في
نفسها زهوا ولا افتنانا.. لم تكن تلتفت الى استواء ساقيهما، ولا
الى نحول خصرها، ولا الى ثمرتى الرمان المعلقين فوق
صدرها.. كان كل ذلك كنزا يلوح امام الناس ويغفل عنه صاحبه.
ولكنها اليوم تحس به..

أحست به عندما خطر لها ان تعطيه!

وقامت فى الصباح يبدو عليها التعب.. التعب من خيالها..
ولكنها كانت سعيدة، كأنها اكتشفت فى نفسها عالما جديدا طال
بحثها عنه..

وقضت يومها المدرسى.. وكادت عقب انتهائه ان تذهب الى
بيت سميرة، ولكنها عدلت فجأة..

يجب أن يبحث عنها ..
يجب أن يخطو خطوة نحوها .. يجب أن يفتقدها ..
انها لن تذهب اليه، الى ان يأتى اليها!
وقضت ليلا آخر مع خيالها ..
ومر يوم .. ويومان .. وثلاثة ايام .. وأربعة ..
ولم تأت الأيام بجديد ..
وبدأت أعصابها تتلف ..
وجاءتها زميلتها سعدية تقول لها:
- الدكتور عوض عايز يشوفك ضرورى .. بيقولك لازم تفوتى
عليه فى الاجزخانة بكره فى فسحة الضهر!! ..
وصرخت فائزة فى وجهها:
- أنا مش عايزة اسمع اسم الدكتور زفت ده .. فاهمه .. روحى
قوليله لو جاب اسمى على لسانه مرة ثانية حاسود عيشته ..
ونظرت اليها سعدية فى دهشة، ثم أطلت من عينيها نظرة رثاء
كأنها ترثى الى مستقبلها كله .. وانصرفت عنها ..
وجاءتها تلميذتها ابنة عبدالمقصود بيه تحمل صندوقا بين
يديها قائلة:
- ابويا بيسلم عليكى، وباعتلك شوية العسل دول .. وبيقولك
انه عايزك تدينا دروس خصوصية فى البيت!! ..
وصرخت فائزة فى وجهها:
- انا ما بديش دروس خصوصية، وما بحبش العسل ..
وقولى لأبوكى يتلم!
وجرت الفتاة من امامها فى هلع ..

وجاءت حسنية ذات مساء وجلست بجانبها، وريبت على
فخذيها قائلة:

- انتى مالك يا فايضة اليومين دول.. مش عاجبانى!!...
وقفزت فايضة من جانبها مبتعدة وهى تقول فى لهجة غاضبة
حازمة:

- اعملى معروف سيبينى يا حسنية. انا متضايقة واللى
يقربلى حا نفجر فى وشه!!..

ونظرت اليها حسنية فى استخفاف وتركها لحالها..

كانت فايضة تعلم انها بدأت تفقد أعصابها..

كانت تعلم انها لو انتظرت اياما أخرى، ستجن...

لماذا لم يتصل بها؟..

لماذا لم يرسل لها ام ابراهيم لتدعوها الى بيته؟..

لماذا لم يجد اى حجة ليصل اليها؟..

وخرجت فى العصر بعد انتهاء الدراسة تسير فى شوارع

البلدة.. ولم يكف النسيم الرطب المشبع برائحة الزرع ليهدىء من

افكارها، او ليرخى اعصابها المشدودة..

وسارت قليلا..

ثم اتجهت الى ميدان المحطة، وقفزت الى عربة حنطور، وقالت

دون ان تنظر الى السائق:

- سوق يا أوسطى..

والتفت السائق اليها وقال فى تعجب:

- على فين يا ست؟..

وقالت فى عصبية:

- سوق على الجسر..
ولم تكد العربة تتحرك قليلا حتى سمعت صوت اجراس
دراجة تدق بجانبها والتفتت فوجدت الصبي الصغير محمد.
وابتسم لها محمد ابتسامة ضعيفة وهو ينظر اليها بعينين
مبتهلتين..

وابتسمت له كأنها ترضيه لينصرف عنها..
وظل محمد يقود دراجته بجانب العربة وهو يقول لها:
- انتى مخصمانى..

- لا.. ابدأ.. ما دام انت ولد كويس اخاصمك ليه..

- امال مابتكلمنيش ليه؟

- بس مشغولة يا محمد..

- ورايحة فين دلوقت؟..

- رايحة مشوار.. ارجع انت بأه!!..

- آجى اوصلك؟..

- لا.. متشكرة.. ارجع انتة..

وأسرع محمد بدراجته قليلا حتى سبق العربة، ثم عاد اليها
واخذ يطوف حولها، ويتبعها.. ونادته فائزة بصوت حازم:

- محمد.. اذا ما رجعتش حا خاصمك بصحيح.. مش حا

كلك عمرى!!..

وعاد محمد دون ان يحييها.. او هكذا ظنت بعد ان اختفى عن
عينها..

وسارت العربة فى طريق الجسر، ثم أوقفتها فائزة بعد قليل
ونقدت السائق اجره، وسارت على قدميها..

كانت تعلم الى اين ذاهبة، ولكنها لم تكن تريد ان تصارح
نفسها..

كانت تخدع نفسها بأنها تقوم بمجرد نزهة لشم الهواء
وإراحة اعصابها..

ثم وجدت نفسها تنحرف عن طريق الجسر، وتنزل الى احد
الحقول، ثم تتجه الى ساقية، وتستند بظهرها الى عريشها واقفة
على قدميها، وانفاسها تتلاحق..

ثم .. أحست بدموعها تسيل فوق وجنتيها فى صمت..
ثم انهمرت الدموع حتى لم تعد وجنتاها تتحملانها، فانكفأت
على حافة الساقية، وهى لا تستطيع ان تكتم نשיجها..

وسمعت صوتا من ورائها كأنه نداء السماء:
- فايضة؟.. الحمد لله.. انا كنت متأكد انك حتيجى هنا يوم..

ورفعت رأسها ورأته..

وارتفع نשיجها..

وفتح ذراعيه..

وسقطت بينهما فى استسلام..

وقال أحمد وهو يضمها الى صدره فى حنان، ويمسح بيده
على شعرها:

- من يوم ما كنا هنا.. وأنا باجى كل يوم أستناكى.. ياما

الساقية دى سمعت منى كلام، وياما حكيت لها عنك وعن

أحلامى.. كنت عارف اننا حنتقابل هنا مرة ثانية.. وثالثة ورابعة..

وحنفضل طول عمرنا نتقابل هنا..

ورفعت اليه العينين المخضلتين بالدموع، وقالت فى همس:

- صحيح يا أحمد.. صحيح كنت بتستنانى كل يوم!!
ولم يجب..

انما وجدت شفتيها بين شفتيه كأنه يكتب جوابه فوقهما.
واستسلمت لقبلته..

وأعطته الشفاه البكر الطاهرة..

وأرابت فى هذه الساعة ان تحقق كل خيالها.. ان تعيش فى
قبلته كما عاشت خلال ليالى الأوهام..

ولكن شيئاً كان يجذبها عنه..

شيئاً لا يريد ان يغفو، ولا يريد ان يتركها له، ويحرمها من ان
تندمج فى قبلته حتى تنسى كل ما حولها.. تنسى الليالى الطويلة
التي قبضتها فى انتظاره، وتنسى العمر الطويل الذى قبضته
محرومة من نفسها، تكافح الذئاب من حولها..
انه عقلها..

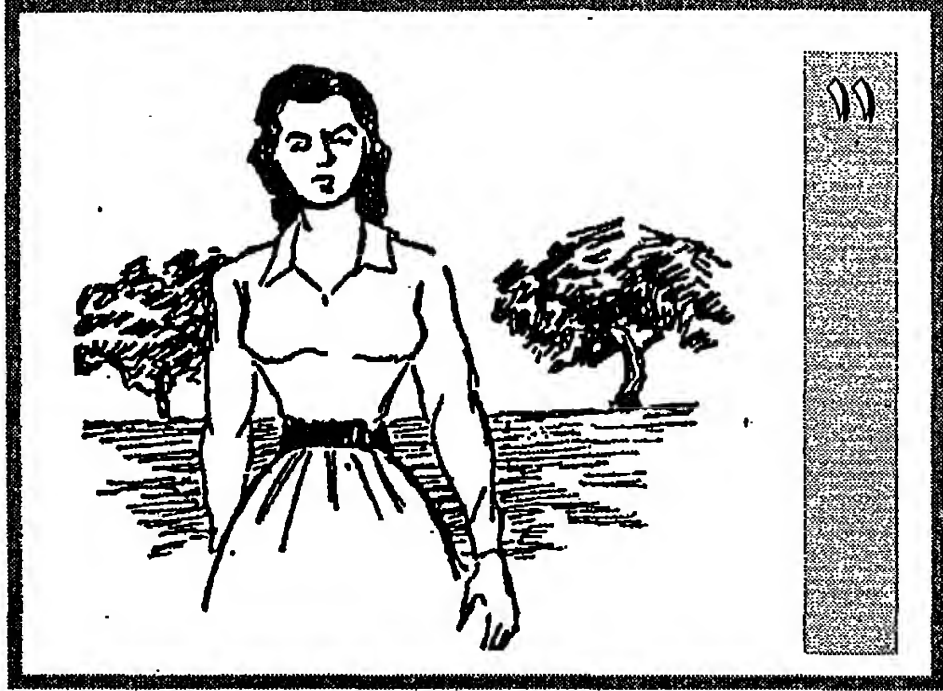
عقلها الذى ينشط ويتحرك بأسرع من نشاط وتحرك
انوثتها..

عقلها الذى لا يريد ان يستسلم، انما يظل واعياً يسائل نفسه:
انه يقبلنى الآن.. انه يضمنى الى صدره.. ان يديه تتحركان..
ماذا سيفعل بعد ذلك!!؟

اسكت يا عقل..

دعنى فى هذه اللحظة..

ولكن مستحيل.. ان عقلها لا يريد ان يغفو.. لا يريد ان
يتركها.. فهذه هى طبيعتها منذ بدأت قصتها مع الحياة..



ولم يعد لفائز حياة إلا أن تلتقى بأحمد أو تنتظر لقاءه.. كانا يلتقيان دائما عند الساقية..

ولم يأخذ منها في كل لقاء أكثر من القبلات..

كان أحيانا يضمها بقسوة حتى يكاد يعصرها في صدره، وكانت أنفاسه تتهدج أحيانا حتى تحس بها كلفح النار، وكانت الحياة تجري في قبلاته أحيانا بعنف كأنها الشلال.. حتى لا تستطيع أن تجري معها..

ولكنه كان دائما يقف عند حد معين..

كانت دائما تستسلم له.. كان في صدرها شعور خفي يدفعها الى الوثوق به، وكانت تحس بأنه يخاف عليها أكثر مما تخاف

على نفسها ..

وكانت تستسلم أكثر لحديثه .. عندما يشكو لها متاعبه، وعندما يضع امامها آماله فى الحياة، آماله فى ان يستكمل دراسته حتى ينال بكالوريوس التجارة، ثم يوسع من تجارته وينزح الى القاهرة، ويؤسس شركة، ويعيد مجد ابيه ازهى مما كان ..

وكانت تحس بنفسها فى كل كلمة يقولها .. تحس بمتاعبه كأنها متاعبها، وتحس بآماله كأنها آمالها .. وتتخيل نفسها بجانبه فى بيتها .. هى جالسة تطرن، وهو جالس يستذكر دروسه استعدادا لامتحان البكالوريوس!!

ولم يعد يهتمها شىء من أمر المدرسة. لا المدرسات .. ولا التلميذات .. أصبحن لهن قيمة فى حياتها .. لم تكن تركز عينيها إلا على تلميذتها سميرة، لأنها كانت ترى فيها وجه اخيها احمد .. وكانت احيانا تذهب مع سميرة بعد انتهاء الدراسة الى بيتها، فتلتقى بأحمد كالعادة فى الحديقة الصغيرة التى تتوسط الدار فتشيع على وجه كل منهما ابتسامة كأنها النور، ويتبادلان تحية قصيرة تحمل سرها الأكبر. ثم تصعد الى الدور العلوى وتجلس مع والدته ..

وكانت تحس بنفسها قريبة جدا من الأم الطيبة .. تحس كأنها أمها، أو كأنها حماتها .. وتجيل الطرف احيانا فى وجهها كأنها تسألها: هل أبلغها أحمد شيئا؟ ... هل أعلنها برغبته فى الزواج منها؟!! ..

فاذا قالت لها الأم كلمة حلوة، فسرتها أكثر من تفسير، ينتهى دائما الى تفسير واحد، هو أن الأم تلمح الى زواجها من ابنها!! ..

وإذا استقبلتها مهلة قائلة: «أهلا بالست فائزة» سمعتها فائزة كأنها تقول لها: «أهلا بمرأة ابني»!!..

ولم يكن هناك ما يضايقها في هذه الأيام الا الصبي محمد. لم تكن قد تنبهت الى الاقاويل التي تدور في المدينة عنها، ولم تكن قد التقطت شيئا مما تطرق به السنة زميلاتها.. كانت بعيدة عن كل ذلك، تعيش في دنيا خاصة بها لا يشاركها فيها الا حبيبها أحمد..

ولكن الصبي محمد كان دائما يحاول ان يقحم نفسه في دنياها الخاصة..

كان يتبعها كلما خرجت من المدرسة..

وكان يلحقها بدراجته كلما ركبت عربة حنطور واتجهت الى الجسر لملاقاة أحمد عند الساقية.

وكانت تجد صعوبة كبيرة في التخلص منه واقناعه بالعدول عن ملاحقتها، حتى كانت تضطر الى الاختباء منه واتخاذ طرق ملتوية وشوارع جانبية كلما ذهبت الى موعد حبها..

ولم تكن تدري لماذا تخاف هذا الصبي ولماذا تحسب له كل هذا الحساب؟..

ربما ظنت انه وحده الذي يستطيع ان يكشف سرها، ويفضح حبها امام الناس.. وقد كانت ضئيلة بهذا السر، وهذا الحب..

وافلحت اياما متتالية في الهروب من الصبي محمد كلما خرجت من المدرسة..

الى ان كان يوم..

وكانت قد اتخذت طريقا جانبيا يوصلها الى المحطة، حيث

تعودت ان تركب من هناك عربة حنطور تحملها الى ساقية
غرامها..

وفجأة وجدته أمامها..

لم تكن معه دراجته.. بل كان يسير فى هزال حتى يكاد
جسده يقع من فوق خطاه.. وكان وجهه شديد الاصفرار، وعيناه
غائرتين فى ظلال سوداء داكنة تحيط بهما، وشفته مرتعشتين
جافتين حتى تكونت فوقهما قشرة من الجلد الابيض الرقيق
يمزقها بين الحين والحين بأسنانه..

ووقف قبالتها، ونظر اليها نظرة حملت من العذاب مايكفى
حياة رجل، لا حياة صبي فى الثانية عشرة من عمره..
وخاطبته فايضة مشفقة:

- مالك يا محمد.. انت عيان؟!..

وأطال نظرتة اليها، وتجاهل سؤالها، وقال وشفته ترتعشان
بكلماته:

- انا عارف كل حاجه..

وردت فايضة دهشة:

- عارف ايه؟..

وسكت محمد، وعادت فايضة تكرر سؤالها:

- مالك يا محمد.. اتكلم.. عارف ايه؟..

قال وبموع باهتة ضعيفة تنحدر فوق خديه.. كأنها آخر ما
بقى له من دموع:

- عارف ليه ما بتكلمينيش زى الأول.. عارف ليه ما بقتيش
تطبقى تشوفينى.. عارف كل حاجة..

وقالت فائزة وكأنها تحاول ان تنهى الحديث فى أقصر وقت..
- أنا مش قلتك انى مشغولة اليومين دول فى امتحان نصف
السنة.. علشان كده ما بخرجش وما بشوفكش..
قال فى حدة من بين دموعه وكأنه ينشج:
- مشغولة.. انما مش فى الامتحان مشغولة بأحمد افندى
اخو سميرة!!..
قالت وكأنه لطم قلبها:
- بتقول ايه؟..
- أيوه مشغولة بيه.. شفتكم بعنيه.. شفته بيبوسك عند
الساقية!!..
ورفعت فائزة يدها امام وجهه كأنها تهتم بصفعه.. وصرخت:
- انت مالك انت. ايش دخلك فى شئونى.. أنا مش عايزه
أشوفك قدام وشى تانى.. سامع.. ياللا امشى بلا لعب عيال!!..
وانحرفت عنه وسارت فى خطوات عصبية وهى تسمعه يقول
كأنه يودع الحياة:
- يا خاينة!!..
ثم ارتفع صوت نشيجه!!..

واستيقظت فائزة فى اليوم التالى، ولم تكذب تتم ارتداء ثيابها،
وقبل ان تتجمع التلميذات لدخول الفصول، جاءت خادمة
المدرسة تجرى فى جزع وقالت بين أنفاسها المتلاحقة:
- الست النازرة عايزاك حالا ياست فائزة!!..
وألقت فائزة المشط من يدها وخرجت وراء الخادمة وهى

تسألها:

- خير علي الصبح.. يا ترى عايزاني ليه؟..

وأجابت الخادمة:

- أنا عارفه يا ستي.. دي يظهر حكاية كبيرة قوى .. الدنيا
مقلوبة في اودة الست الناظرة!!..

وأسرعت فايضة الخطى..

ولم تكد تفتح باب حجرة الناظرة وتدخل حتى قالت لها
الناظرة في صوت صارخ:

- ايه اللي عملتيه ده يا ست فايضة؟..

ولم تكد فايضة ترفع عينيها تساؤلًا حتى لمحت رجلا في الغرفة
يهجم عليها ويصفعها على وجهها وهو يصيح كالمجنون:

- انتى.. انتى.. انتى فايضة.. يا مجرمة.. يا مجرمة.. يا
مجرمة..

وتمايلت فايضة تحت وقع الصفعة حتى استندت بذراعها على
الحائط، وأطلت من عينيها نظرة هلع، ودهشة، وتساؤل.. كأنها لا
تدرى شيئا.. ولا تدرى اى مصيبة حلت بها..

وخرجت الناظرة من وراء مكتبها بسرعة، ووقفت بين الرجل
وفايضة، ثم اخذت تبعده عنها قائلة:

- هدى أعصابك يا عبدالعظيم بيه..

واستمر الرجل في صراخه وهو يلوح بيديه في الهواء:

- يا مجرمة.. يا سافلة.. حرام عليكى يا شيخه.. حرام عليكى
ده عيل عنده اتناشر سنة.. حتى العيال ما بترحمهمش.. انتم
ايه؟.. حيوانات.. مصاصين دم.. جايبينكم منين.. لينكم من اى

سكك علشان تفسدوا بنات الناس وأولادهم..
وكانت فايضة تضع يدها مكان الصفحة، وعيناها لا تترالان
تحملان نظرات الدهشة وتنعكس فيهما المفاجأة..
وتماسكت قليلا، وقالت فى صوت كالصراخ الضعيف:
- أنا عايزه أعرف ايه الحكاية.. إزاي الراجل المجنون ده
يضرينى!!

وصرخ الرجل يقاطعها:
- أضربك.. ده أنا لازم اقتلك.. لازم أشرب من دمك.. لك عين
تتكلمى يا مجرمة..
واحتاجت الناظرة الى كل قواها لتبعده عن فايضة، وتدفع به
الى المقعد، وهى تقول:
- هدى أعصابك آمال يا عبد العظيم بيه.. خلينا نبحت المسألة
بهدوء..

وقال الرجل وهو يخور كالثور الذبيح:
- هدوء.. ودى مسألة تستحمل هدوء..
وقالت الناظرة ملتفتة الى فايضة:
- انتى تعرفى ولد صغير اسمه محمد عبد العظيم..
وقالت فايضة وأطرافها كلها ترتعش كأنها قد دبت فيها الحمى
او كأنها تقاوم فى عنف حتى تفهم الموقف قبل ان تنهار مغشيا
عليها، أو تنثور على الرجل الذى صفعها:
- أيوه.. ماله؟!..

والتقطت الناظرة ورقة من فوق مكتبها وأعطتها لفايضة فى
حدة وكأنها تدسها فى عينيها:

- خدى اقربى دى..

وقرأت فايضة:

«والدى العزيز.....»

«أنا انتحرت لأنى أحب فايضة المدرسة بمدرسة البنات، وقد

خاننتى وأحبت احمد افندى شهدى اخو سميرة»..

«وداعا يا ولدى.. سألق بأمى...»..

وصرخت فايضة فى هلع وهى لا تزال تنظر فى الخطاب

السادج بعينين مفتوحتين:

- مات؟..

وقال الرجل وأنفاسه تتلاحق كأنه يفيق من جنونه:

- طبعا كنتى عايزاه يموت علشان يدارى فضيحتك بموته!!..

وقالت الناظرة:

- شرب صبغة يود. وانقذوه فى آخر لحظة..

وقالت فايضة وهى تستند بيدها على مقعد حتى لا تقع على

الأرض:

- الحمد لله.. الحمد لله..

وقالت الناظرة فى صوت صارم:

- انا بعث اشارة مستعجلة لادارة التحقيقات علشان يتولوا

التحقيق..

وصممت فايضة قليلا ثم شدت عودها والتمعت عيناها كأنها

قبلت التحدى، وقالت فى هدوء:

- تحقيق بتاع ايه.. أنا ذنبى ايه فى ده كله!!..

وقال الرجل وكأن نوبة الجنون بدأت تعاوده من جديد:

- أنا اللي مش قادر أفهمه.. كنتى بتعملى ايه بعيل عنده
انتاشر سنة.. هوه من قلة الرجالة فى البلد.. يا عالم.. دى حاجة
تجنن..

وقالت فايضة فى حزم:

- من فضلك اتكلم فى أدب.. انا سكتك لأنى مقدرة حالتك،
ومحترمة حزنك على ابنك.. انما بعد كده مش حسكتك..
وصرخ الرجل:

- ادب يا قليلة الادب.. ادب يا بتاعة العيال.. انتى لك عين
تتكلمى..

وقفز من مقعده، وقفزت وراءه الناظرة تحول بينه وبين فايضة
للمرة الثانية.

ووقفت فايضة صامدة لا تتحرك وبين جنبها ثورة مكبوتة
تصبغ وجهها بلون أحمر غامق، وتطل من عينيها فى نظرات
شاردة تكاد تكون ساخرة..

وتكلمت الناظرة فى صوت كأنه العواء الأجوف:

- احنا عايزين نعرف الحكاية بالتفصيل.. ارجوك تهدى
اعصابك يا عبدالعظيم بيه..

وقالت فايضة:

- ما فيش حكاية ولا حاجة.. ده ولد كنت بأعطف عليه.. كان
بييجى يقعد معانا انا وسعدية لما نطلع نتفسخ على المصرف وإذا
كان قدر العطف ده تقدير تانى فلأنه ولد محروم من الحنان ماتت
امه وما لقاش حد يعوضه عنها.. كان عنده عقد نفسية هيه اللي
دفعته لمحاولة الانتحار..

وقال الرجل وهو ينظر اليها كأنه يذبحها بعينه:
- بأه ده كلام معقول.. انتى مالك وماله اذا كان محروم ولا
مش محروم.. مين سمح لك تعوضيه عن امه.. ولما انتى بتفهمى
كده فى العقد النفسية سبتيه ليه لغاية ما العطف اللى بتتكرمى
بيه عليه يدفعه للانتحار.. و..
وقاطعته فائزة فى صوت جدى:
- انا فعلا حاولت فى الآخر انى ابعد عني.. لأننى لاحظت انه
تعلق بيه اكثر من اللازم..
وقال الرجل متهمكا:
- ده طبعا بعد ما عرفت احمد..
وقالت فائزة فى حدة:
- من فضلك.. أنا ما اسمحكش.. انتة مالکش حق تحقق
معايا..
وقالت الناظرة وعلى شفيتها ابتسامة خبيثة:
- وايه حكاية أحمد افندى شهدى؟..
وسكنت فائزة قليلا، وضعف صوتها كأنها تنهار.. وقالت:
- مالوش حكاية.. ده أخو تلميذة عندي كنت باروح ازورها
فى بيتها..
واتسعت الابتسامة الخبيثة.. وقالت الناظرة:
- بس كده؟!..
وسكنت فائزة كأنها لم تعد تقوى على الكذب..
وعادت الناظرة تقول:
- انتى فاكرة انى نايمه على ودانى ولا ايه.. تأكدى ان كل

حاجة بتعملها اى واحدة فيكم بتوصللى أول بأول.. واللى وصلنى عنك كتير.. كتير جدا..

وقالت فايضة وهى تحاول ان تقاوم:

- أنا معملتش حاجة.. وأنا مستعدة للتحقيق!!

وقالت الناظرة فى سخرية:

- طيب اتفضللى شوفى شغلك.. لغاية ما بيتدى التحقيق..

واستدارت فايضة وسارت فى خطى متعثرة نحو الباب.. وما كادت تفتحه حتى وجدت أمامها عبدالمقصود «بيه» عمدة كفر شرف داخلا بكرشه الضخم..

ونظر اليها عبدالمقصود «بيه» نظرة شامته، ولم يحييها، انما زاحمها بكرشه، ودخل وهو يصيح:

- ايه الحكاية يا حضرة الناظرة.. الواحد ما بقاش قادر يطمئن على بناته فى المدرسة دى.. ايه الفضايح والجُرس اللى الواحد بيسمعها دى.. و..

وأسمرت فايضة بالخروج، وصفقت الباب وراءها بعنف كأنها تسد به أذنيها..

وسارت نحو حجرة الدراسة، وكل من يصادفها فى طريقها يصمت فى وجهها كأنه يقرأ على روحها الشهادتين..

وخيل اليها ان تلميذاتها يتجهمن فى وجهها، وأنهن بوجهن اليها نظرات فيها اتهام وفيها خوف..

ولم تأبه بتلميذاتها ولا بنظراتهن..

وكتبت لهن سؤالاً وأمرتهن فى صوت جاف ان تكتب كل

منهن جوابه فى كراستها.. ثم جلست على مقعدها وتاهت فى

دوامة من الفكر لا تستطيع ان تخرج منها الى شاطئ...
كانت تحاول ان تحصر تفكيرها فى اعداد اقوالها التى تدلى
بها فى التحقيق.. فتجد نفسها تفكر فى أحمد، وفى امه.. كأنها
تدلى باقوالها امامهما..

وتحاول ان تحصر تفكيرها فى أحمد.. فتجد نفسها تفكر فى
الصبى الصغير محمد..

وتحاول ان تحصر تفكيرها فى محمد.. فتجد نفسها تفكر
فى المجتمع كله.. فى الناس.. فى الدنيا التى ظلمتها! لماذا لم
يحقق مع زميلاتها سعدية التى تدخن الحشيش وتقبل كل شىء..
لماذا لم يحقق مع حسنية وهى تنثر مرضها بين زميلاتها.. لماذا
لم يحقق مع كل زميلاتها، ولكل منهن رجل.. لماذا يحقق معها
هى وحدها.. لماذا؟

ثم تجد نفسها تفكر فى امها وتحزن اليها.. لماذا لم تسر فى
طريقها؟ لماذا تحدثها وحاولت ان تصنع لنفسها حياة اخرى..
حياة تنسجها من مثلها العليا وتبتعد بها عن الناس؟
ثم ينتهى تفكيرها دائما الى احمد..
ماذا يكون موقفه منها؟

انها ستستقيل من وظيفتها، وتتزوج وتعيش له.. لا تريد ان
ترى من الناس احدا غيره، ولا تريد من الدنيا الا ان تكون
بجانبه، تطبخ له وتعد له ثيابه وتشاركه مستقبله..

وأفاقت من دوامة الفكر على صوت جرس المدرسة..
وجمعت كراريس التلميذات دون ان تنتظر الى وجوههن..
واستمرت فى عملها تنتقل من حصة لحصة، وبين الحصص

تتجمع حولها زميلاتُها وكل منهن تدعى اللهفة عليها، ويسألنها عن الحادث فتجيب اجابات مبتورة مشتتة، لا يربطها خيط واحد كأن عقلها لم يعد يحتمل التفكير فى خط مستقيم..

ولم تحتمل كثيرا..

ما كاد النهار ينتصف حتى أحست انها لم تعد تستطيع ان تقف على قدميها.. ولم تعد تستطيع ان تكبت صراخ أعصابها.. ولم تعد تستطيع ان تحتمل نظرات من حولها ونفاقهن..

وصعدت الى حجرتها فى خطوات مهرولة والدنيا تظلم امام عينيها حتى لم تعد ترى طريقها..

وسارت تترنح حتى اقلت نفسها على فراشها..

وبكت..

بكت بحرقة كأنها تبكى عمرها كله..

واستبدت بها دموعها حتى لم تعد تطيقها، فأخذت تشد شعرها بكلتا يديها وتهمم بكلمات خافتة لا تقصد لها معنى ولكنها تريح صدرها..

ثم بدأت تستريح..

وبدأت دموعها تضعف وتسيل من بين جفونها متباعدة، كعصير السحب عقب المطر الغزير..

ودخلت زميلتها سعدية، وجلست بجانبها فوق الفراش، وأخذت تربت على ظهرها وهى تقول فى صوت ناعم تحاول ان تتسلل به اليها:

- خلاص بأه يا فايضة.. انتى حتموتى نفسك.. كل حاجه لها

حل!..

وقالت فائزة كأنها تتنهد:

- أنا مابدورش على حل.. أنا بادور على طريقة تريحنى من الدنيا واللى فيها..

وقالت سعدية:

- ما تقوليش الكلام ده يا فائزة..

- أنا خلاص تعبت .. تعبت من العيشة.. ما بقتش أقدر أستحمل!!..

- والذنب سيبك من الكلام ده.. رينا يخليكى لشباباك وجمالك.. تعالى بس نتكلم جد ونودور على حل.. والمسألة على كل حال بسيطة، ياما مدرسات وقعوا فى مصايب العن من دى طلعا منها زى الشعرة من العجين..

- أنا ما وقعتش فى حاجة..

- انتى حثقوليلى يافائزة، ما أنا عارفه يا حبيبتى.. انما برضه المسألة خطيرة. ولد انتحر وواحد تانى بيتهموكى بيه.. مش بسيطة!!..

- وأنا ذنبى ايه اذا كان انتحر.. ما انتى عارفاه وكنتى معايا.. وذنبى ايه اذا كان الناس ألسنتهم طويلة ويقلولوا على كلام..

- يا ستى ماحدث قال ان لك ذنب.. انما احنا بقينا فى تحقيق.. يا ترى حتسيبيهم يعملوا اللى يعملوه فى الوزارة.. هوه البرىء مش بيدور على حل علشان المحكمة تحكم ببراءته.
- والحل ايه؟..

وسكنت سعدية قليلا كأنها تستعد لدخول ميدان جديد،

وقالت:

- الحل الوحيد.. انك تدورى لنفسك على ظهر..
- قصدك ايه؟..
- قصدى تشوفى حد يقف جنبك ويقدر يسندك..
- ولوت فايضة شفتيها احتقارا واعتدلت جالسة فى فراشها
- وقالت فى استخفاف:
- زى مين؟..
- ولم تلحظ سعدية احتقار فايضة وقالت:
- والنبي خايفة أقولك ترجعى تزعلى منى. انما أنا ما بدورش
- إلا على مصلحتك!!..
- مين بس.. قولى!!..
- يعنى مش عارفه!!..
- ورفعت فايضة عينيها كأنها تخمن ثم قالت:
- أه.. قصدك الدكتور عوض صاحب الأجزخانة!..
- وقاطعتها سعدية فى حماس:
- أهو مافيش الا هو.. الراجل ده هو اللى ماسك البلد كلها
- بين ايديه ويلاعبها بصوابه.. وطاوى الموظفين كلهم تحت باطه..
- مافيش مفتش فى الوزارة ييجى الا ويقعد عنده، ومافيش واحد له
- كلمة الا وهوه صاحبه.. وست الناظرة ما تقدرش ترفضه طلب..
- هوه مافيش غيره اللى يقدر ينقذك من الورطة دى.
- وقالت فايضة وهى لا تزال تستخف بزميلتها:
- كده!!..
- واستطردت سعدية.. وهى لا تزال فى حماسها:

- كده ونص.. وبينى وبينك عيشة وقعت السنة اللي فاتت فى مصيبة وهو اللي طلعتها منها، ما سابشى فى الدوسيه بتاعها نقطة واحدة سوده..

وقالت فايضة تقاطعها:

- ده انا متهيألى ان عيشه كل أيامها مصايب وعيشتها كلها سوده..

وقالت سعدية كأنها تطرد موضوع عيشة من الحديث:

- هيه اللي مغفله.. غاوية هم.. انا من رأيى نقوم دلوقت نروح الأجرخانة وتحكى للدكتور عوض على كل حاجه، وهو يتصرف..
- كده لله!!..

وقالت سعدية وهى تحاول ان تبسم:

- والنبي ده بيعزك قوى وما يبطلش سؤال عليكى.. ويعنى حياخد منك ايه.. ما دمتى عارفه الدنيا ماشيه إزاي!!
وانفجرت فايضة فى وجهها وكأنها لم تعد تحتمل:

- انا لو كنت ماشيه زى الدنيا ماهى ماشيه ماكانش حصللى كل ده.. ولو كانت حياتى فى ايد الدكتور زفت ده مش حاروحله.. فاهمه.. انا ما اخرجش من مصيبة علشان اقع فى مصيبة ادهى وأمر.. وما أنقذش نفسى من شوية اشاعات علشان اعيش فى الطين اللي انت عايشه فيه.. ابعدى عنى من فضلك.. الله الغنى عنك وعن نصايحك المهيبة..

ونظرت اليها سعدية كأنها تهم بأن تمد يديها الى عنقها، ثم قامت كأنها عود القصب الذى عصف به الهواء، وقالت:

- الحق على.. انا بنت ستين كلب اللي يحاول اخدم واحدة

زيك.. خليكي تندبي على بوزك.. وتستاهلي كل اللي يجراك!!
وخرجت سعدية..
وظنت فائزة ان تحديها لسعدية قد أعاد لها قوتها.. قوة
التحدى وقوة الصمود، فحاولت ان تقوم من فراشها..
وما كادت تقف على قدميها حتى أحست برأسها يدور..
والدنيا تظلم امام عينيها.. فسقطت مرة ثانية فوق الفراش..
واعذرت عن تكملة اليوم الدراسي، وبقيت راقدة، تغفو من
شدة التعب كأنها قد أصابها اغماء، وتفتح عينيها فتتمنى ان
يغمى عليها مرة ثانية..
وبقيت حتى صباح اليوم التالي لا تستطيع ان تحصر
تفكيرها في موضوع واحد، ولا تستطيع ان تسيطر على نفسها
لتعد الكلام الذي تلقىه امام المحقق..
وكانت زميلاتها يتردن عليها فيخيل اليها أنهن جنن يتفرجن
عليها ويشمتن فيها.. وكانت تقرأ على وجه كل منهن خبرا جديدا
فلا تسأل.. وكانت تعلم ان المدرسة قد انقلبت الى عش للدبابير
يضج بالطنين، فلا تحاول ان تفسر هذا الطنين او تدفعه، انما
فقط تحاول ان تغلق اذنيها دونه..
وكانت تريد ان تبقى وحيدة مع اطياف خيالها.. وكانت كلها
أطيافا مهزوزة تقفز امام عينيها ثم لا تلبث ان تتلاشى... لم يكن
في خيالها الا طيف واحد ثابت، يقف امامها قويا جميلا كالأمل..
طيف احمد..
وانقضى الليل الطويل.. ليل العذاب.. وقامت منهكة تعسة
مشتتة الذهن..

الطريق المسدود

وبقيت فى حجرتها، فلم يكن عليها ان تلقى درس الحصة الأولى..

وجاءتها خادمة المدرسة تقول فى هلع:

- المحقق وصل يا ست فايضة!!..

والتفتت اليها فايضة بعدم اهتمام قائلة:

- طلبنى؟!..

وقالت الخادمة كأنها تولول:

- لآ.. لسه.. بس حببت اقولك اقولك ياستى.. المدرسة كلها

مقلوبة.. وفضوا له أودة الست الناضرة!!..

ومرت ساعة ولم يستدعها المحقق..

وقامت لتلقى درسها. وألقت تحية صامطة على التلميذات

واستدارت نحو السبورة لتكتب عنوان الدرس، فاذا بها تقرأ

فوقها بخط كبير ركيك اسم «محمد عبدالعظيم»!!..

ووقفت فايضة تنظر الى الاسم المكتوب وهى لا تزال مديرة

ظهرها للتلميذات.

ان الاسم كتبته احدى التلميذات كما يبدو من الخط الركيك.

وقد كتبته، لتقرأه هى..

ان التلميذات كلهن اصبحن يعلمن القصة.. قصة محمد

عبدالعظيم الصبى الصغير الذى انتحر من أجلها..

ماذا تفعل؟..

هل تثير ضجة؟..

واحتاجت الى كل ارادتها لتضغط بها على ذهنها وتفكر..

واخيرا امسكت «بالباشورة» القماش ومسحت الاسم من فوق

السبورة، وكتبت عنوان الدرس، ثم استدارت بوجهها للتلميذات، وكأنها لم تقرأ شيئاً..

وسمعت هممة بين التلميذات..
ورفعت اليهن عينين غاضبتين قاسيتين.. فسكتت الهممة
كأن التلميذات قد أصابهن هلع من نظرتها..
وبدأت تلقى درسها، كأنها تلقى شيئاً من شفقتها حفظته
«صم» دون أن تفهم معناه..

ودق الجرس..
وخرجت التلميذات من حجرة الدراسة..
وسقطت عينا فائزة على تلميذتها سميرة فنادتها:
- سميرة..

وتجاهلت سميرة النداء وحاولت أن تختبئ بين زميلاتهما،
ورفعت فائزة صوتها كأنها تصرخ وكررت النداء..
ووقفت سميرة ثم استدارت لها ببطء وظلت بعيدة عنها..
وقالت لها فائزة في رقة:
- مالك يا سميرة ما بتسلميش عليه ليه؟..
ولم ترد الفتاة الصغيرة..
وقالت فائزة:

- تعالى.. قريبى..
ولم تتحرك الصغيرة..
وقامت إليها فائزة وهي تقول:
- مالك يا سميرة.. قوليلي مالك.. انتى خايفه منى؟.. أنا مش
صاحبك؟..

وتراجعت سميرة خطوات مبتعدة عنها، ثم مرة واحدة
اجهشت بالبكاء، وقالت فائزة وهى تحاول ان تصل اليها:

- انتى سمعتى حاجة عنى يا سميرة.. قولى.. ما تخافيش..

وقالت سميرة بين دموعها:

- أيوه..

- سمعت ايه؟..

وارتفع صوت نشيج سميرة، وقالت بين دموعها:

- البنات بيقلوا على حضرتك انك بتقتلى العيال..

وأحست فائزة كأن خنجرا اخترق قلبها، وقالت فى صوت

ضعيف:

- وصدقتى البنات يا سميرة!!

وارتفع نشيج الصغيرة مرة ثانية.. وقالت:

- لأ.. مش مصدقة.. مش مصدقة والنبي يا ابله..

ثم فرت من امامها وخرجت من الغرفة كأنها تهرب من

عفريت..

وتنهدت فائزة كأنها تستجير بالله، وخرجت تجر قدميها

ورأسها منكس.. ثم عادت ورفعت رأسها وحاولت ان تجمع كل

مابقى لها من قوة لتتنصب عودها.. وهزت كتفيها بلا مبالاة..

ان البنات معذورات.. انهن لا يفهمن شيئا..

وسميرة.. ان اخاها احمد سيقنعها ببراءتها.. سيقول لها ان

فائزة بريئة، وانه يحبها ، وانه سيتزوجها..

هكذا حاولت ان تقنع نفسها..

ومرت ساعة اخرى، وساعتان، ولم يستدعها المحقق..

وبدأت تتعذب.. لم تعد تستطيع ان تستمر فى المقاومة تريد ان تنتهى، تريد ان تعرف مصيرها..

وقبل ان تنهار بلحظة واحدة جاءت الخادمة تستدعيها للتحقيق.

كان المحقق شابا رقيقا مهذبا يضع فوق عينيه نظارة سميكة، ويبدو عليه الجد والتحفظ فى كل حركاته..

وكان يجلس وراء مكتب الناظرة، وعلى جانب المكتب يجلس كاتب امامه اوراق، وكانت الناظرة تجلس على جانب آخر من المكتب..

وقام الشاب واقفا وهو يصافح فايضة، وقال وهو يشير الى مقعد امامه:

- اتفضللى يا افندم..

وجلست فايضة وكل ما فيها مرتبك..

وبدأ المحقق بالأسئلة العادية الخاصة بالاسم والعمر وتاريخ التعيين فى الوظيفة.. الخ.. وقبل ان يلقى سؤالاً فى الموضوع.. التفت الى الناظرة قائلاً فى أدب:

- تسمى يا افندم تسيبينا شوية.. أنا أسف.. انما الأمر متعلق باجراءات التحقيق!..

وقامت الناظرة غاضبة كأنها أهينت.. وخرجت..

وبدأ المحقق يسأل فايضة..

وقالت فايضة كل ما فى قلبها..

وكان المحقق يستمع اليها فى صبر وهدوء، حتى استراحت اليه وأحست بأنها الفت بكل حملها على كتفيه..

وقال المحقق وهو دائما متحفظ:
- والله ياست فايضة أنا ميال لتصديقك.. لكن الشهود ضدك
كثير..

وقالت فايضة فى دهشة بريئة:
- شهود؟.. شهود مين؟!
وقال المحقق وعلى شفتيه ابتسامة مرة كأنه يتأفف من حال
الدنيا:

- كل زميلاتك تقريبا.. غير الأهالى..
وجذب مجموعة الأوراق من أمام الكاتب وأخذ يقلب فيها
قائلا:

- سعدية شهدت أن محمد كان بيقابلك كل يوم بجوار
المصرف. وأنه قبلك مرة قدامها، واثك على علاقة مع أحمد أفندى
شهى. وحسنية شهدت بأن محمد كان بيوقف قدام شبك
حجرتك بالليل. وبقية زميلاتك شهدوا بأنك كثيرة الخروج بعد
انتهاء الدراسة والناظرة شهدت بأن تصرفاتك مريبة واثك موضع
أقاويل البلد وفيه شكوى ضدك من ولى أمر بعض التلميذات
اسمه عبدالمقصود بيه عمدة كفر شرف وواحد اسمه الدكتور
عوض صاحب الأجزخانة مقدم شكوى بيقول انك خدت منه
زجاجتين عطر بطريق التحايل مما يدل على سوء سلوكك.. و..

وكانت فايضة تستمع الى كل ذلك فى زهول، كأن يدا قوية ظالمة
تصفعها، ولا تكف عن صفعها..
ثم أفاقت مرة واحدة وانفجرت صارخة:

- أبدا.. دول كدابين.. كلهم مجرمين.. كلهم حاولوا يجرونى وراهم ولما ماقدروش جم يشهدوا ضدى.. الجبنا الأندال.. تصور انهم حاولوا يدونى حشيش، واللى اسمه عوض ده بعلى قزازة كولونيا بيغازلنى بيها.. واللى اسمها حسنية دى مجرمة عندها شنود.. كلهم مجرمين.. كلهم حاولوا ييوظوا أخلاقى..

وقال المحقق فى هدوء:

- حاولوا يدوكى حشيش، إزاي؟..

- عزمونى فى عزية عبدالمقصود، وحاولوا يدونى حشيش

هناك!!..

- وقبلت العزومة ليه؟..

- ماكنتش عارفة.. كنت فاكركه اننا رايعين نزور الستات ما

كنتش عارفه والله.. ياربى.. ليه بس ياربى.. أنا عملت ايه فى

دنىتى!!..

وعاد المحقق يقول فى هدوئه الذى لا يتحرك:

- من مصلحتك انك ما تقوليش الكلام ده فى التحقيق.. على

كل حال اتفضللى انتى دلوقت.

ونظرت فايضة اليه وقالت وهى لا تستطيع ان تكتم ثورتها:

- أنا عايزة أعرف نتيجة التحقيق ده..

- بعدين.. اتفضللى انتى دلوقت..

وقامت فايضة، وقبل أن تصل الى الباب، قال لها المحقق:

- على كل حال فيه واحدة من زميلاتك شهدت معاكى شهادة

كويسة!!..

وقالت فايضة:

- مين؟..

وقلب المحقق أوراقه وقال:

- واحدة اسمها عيشة..

ودقت فائزة الأرض بقدمها وقالت وهى لا تزال ثائرة:

- أصلها غبيه زى!..

ولم يفهم المحقق ما تعنيه..



وخرجت فائزة من حجرة الناظرة، وأخذت تجيل النظر فى

أبنية المدرسة وفى عينيها شواظ من نار..

وخيل اليها انها فى سجن..

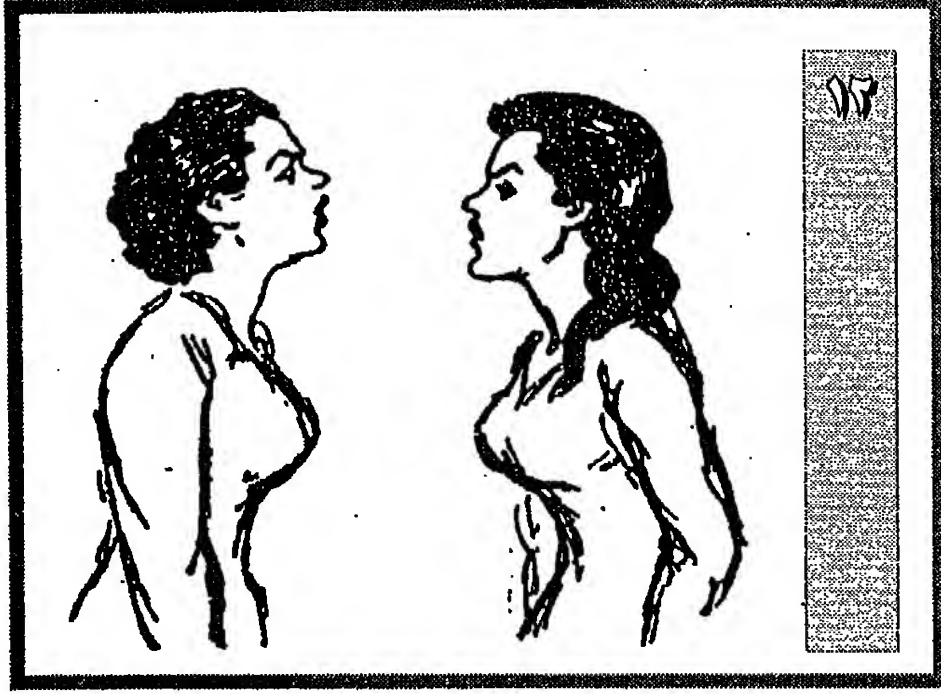
سجن كبير..

سجن سجانوه مجرمون، ومسجونوه أبرياء..

وانطلقت تفر من السجن..

خرجت تجرى..

تبحث عن احمد..



وهرولت فاييزة فى شوارع المدينة..
كانت لاتسير، ولا تجرى.. انما تهرول..
كانت لهفتها أقوى من أن تدعها تسير فى خطوات متزنة..
وكان حياؤها اقوى من أن يدعها تجرى فى الشارع.. فكانت
تهرول والعيون ترمقها على الجانبين.. عيون وقحة تستبيح
كرامتها، وتستهن بشخصها..
وانطلقت الهمسات الى اذنيها كطلقات الرصاص.. همسات
المارة والجالسين على جانبي الطريق.. سمعت أحدهم يقول
لآخر:

- دول حيحققوا معاها النهاردة..

وسمعت آخر يقول:

- دى تستاهل الشنق!!

وثالث:

- شوف البت ماشية إزاي يا خويا.. ولا باين عليها انها
قتلت قتيل!!

ورابع:

- والله ما حد حيودى البلد فى داهية الا نسوانها.. وآل
عاملين مدرسات آل..

همسات على طول الطريق..

وخافت هذه الهمسات، وخافت هذه العيون.. وأسرعت
الخطى حتى لم تعد تستطيع ان تحتفظ بتوازن جسدها فوق
كعب حذاءها..

انها تريد أحمد..

تريد ان تحتوى به من العيون والهمسات ومن الناس ومن
المجتمع ومن نفسها.. تريد ان تختبئ فى صدره العريض من
الدنيا القاسية التى تلاحقها..

ووقفت امام البيت تطرق الباب الكبير..

وانتظرت.. ثم أعادت الطرق بضربات أقوى كأنها تكاد تجن
من الخوف..

وسمعت كأن نافذة من «المشربية» المطلة على الطريق قد
فتحت، ثم اغلقت سريعا..

وأعادت الطرق بضربات اشد..

وطال انتظارها.. أطول مما تعودت ان تنتظر..

وأخيرا فتح الباب كأن أهل البيت قد استيقظوا من رقاد طويل.. فتح نصف فتحة أطلت منها الخادمة العجوز أم ابراهيم.

وأرادت فائزة أن تدخل كما تعودت أن تدخل بلا استئذان ولكن الباب لم يتسع لتمر منه.. ظل مفتوحا نصف فتحة تسدها أم ابراهيم بقامتها الطويلة، ووجهها جامد لا يعبر عن شىء..

وارتبكت فائزة، وقالت فى كلمات متعثرة وفى لهجة مسكينة كأنها تعاقب بها أم ابراهيم:
- الست الكبيرة هنا؟..

وردت أم ابراهيم فى اقتضاب وفى صوت جامد كالحجر:
- لا..

ودهشت فائزة.. انها لم تعلم ابدا ان والدة احمد تخرج من البيت.. انها دائما فيه حتى انها لن تخرج من البيت الا الى القبر..

وقالت ودهشتها تكاد تلجم لسانها:

- خرجت!!.. خرجت راحت فين!!..

وقالت أم ابراهيم ووجهها لايزال صامتا كالجبل:

- أنا عارفه يا ست فائزة.. أهى خرجت والسلام!!..

ونكست فائزة رأسها الى الأرض خجلا من نفسها، وقال

بعد برهة:

- وأحمد أفندى موجود؟..

وقالت أم ابراهيم وقد أصبح صوتها أكثر صراحة:

- لا.. ما فيش حد موجود بالمرة!!..
وقالت فايضة بصوت ضعيف:
- طيب، متشكرة.. خليتك بعافية!!..
- الله يعافيكى ويسترك ياست فايضة!!..
واستدارت فايضة تسير وهى تجر قدميها كأنها طردت من
الدنيا كلها..
وظل الباب وراءها مفتوحا وأم ابراهيم تسده بقامتها..
وتتبعها بعينيها.. ثم سمعت الباب يصفق، كأنه أغلق دونها الى
الأبد..
ولم تعد تقوى على التفكير، أو لم تكن تريد ان تفكر.. انما
سارت بلا عقل، الى ان وجدت نفسها تقترب من المحل
التجارى الذى يملكه أحمد، فأفاقت قليلا.. وقفت.. ثم انحرفت
عن الطريق الذى يؤدى الى المحل.. وسارت مرة ثانية متجهة
الى ميدان المحطة ووضعت نفسها فى عربة حنطور وقالت
للسائق فى صوت مبجوح:
- على الجسر يا أوسطى..
ونزلت من العربة فى مكان تعرفه بعيدا، ونقدت السائق
أجره، وسارت على الجسر قليلا ثم انحرفت ونزلت فى احد
الحقول، واخترقت الزرع الاخضر الى الساقية..
وحاولت أن تقف مستندة على عريش الساقية كعادتها،
ولكن ساقها كانتا قد اصبحتا أضعف من ان تحملاها.. كان
كل شىء فيها قد تخلص عنها.. تخلص عنها فلم تعد تفكر
ولم تعد تدرى ما تفعل.. وتخلصت عن أعصابها فلم تعد تحس،
ولم تعد تدرى من تحب ولا من تكره، وتخلصت عنها ارادتها فلم

تعد تقوى على الصمود..

وجلست على حجر كبير ملقى بجوار الساقية، كأنها تلقى
بنفسها فى بطن الأرض.. وبقيت غارقة فى ذهولها..

ولم تدر كم من الزمن مر بها..

ريما لاحظت ان الشمس بدأت تميل، وربما لاحظت ان
حرارة النهار بدأت تخف، وان النسيم بدأ يستيقظ طريا
كسولا.. ولكنها كانت قد فقدت احساسها بالزمن.. لم يهملها
الليل والنهار، ولم يعد يهملها ان تبقى او تنصرف فهي لا تشعر
ببقائها ولا تفكر فى انصرافها..

ولكن شيئا واحدا بدأ ينبه احساسها..

انه تشعر بصوت أقدام تقترب..

إنها ترى هذه الأقدام امامها..

ورفعت رأسها لتجده بين عينيها.. طويلا.. قويا.. جميلا..
وصاحت صيحة ضعيفة انتزعت منها كل ما بقى من قواها:

- احمد!!..

ونظر اليها احمد صامتا، ثم ادار رأسه عنها وأرخص عينيه
الى الأرض..

لم يمد يده ليرفعها من جلستها ويضمها بين ذراعيه
لتختبئ فى صدره العريض، ولم يجلس بجانبها ويأخذها اليه
ليحميها من مصيبتها.. انما ظل جامدا صامتا كالتمثال!!..

وتحاملت على نفسها الى ان وقفت بجانبه وهى تقول:

- احمد.. ده أنا مستنياك من الصبح.. عرفت ايه اللى

حصل لى؟..

وقال أحمد وهو لا ينظر إليها:

- عرفت..

- وحنعمل ايه.. حنعمل ايه يا أحمد.. طمنى.. أنا حتجنن؟!

- والله ما انا عارف يا فايضة.. أهو ربنا عايز كده!!..

- عايز ايه.. مش ممكن ربنا يعوز الظلم.. دول ظلموني يا

أحمد.. انتة مش عارف قالوا عليه ايه، وعملوا فيه ايه، دول
بيحققوا معايا.. تصور!!

- والتحقيق انتهى على ايه؟..

- ما اعرفش.. أنا ما يهمني ش تحقيق.. أنا هستقيل من

الوزارة.. أنا مش محتاجه للوظيفة!!..

- وحتستقيلي من الناس وكلام الناس.. ازاي؟..

- أنا ما يهمني ش حد الا أنت.. مادام انت جنبى مش عايزة

حد!!..

- ما انا برضه من الناس يا فايضة!!..

- قصدك ايه يا أحمد؟..

- قصدى انى تاجر وعایش على سمعتى بين الناس!!..

والتمعت عينا فايضة، وثارت دماؤها فجأة وتدفقت فى
عروقها بقوة، فانتفض عقلها نشطا ثائرا، واستيقظت أعصابها
كأنها أوتار عبثت بها أصابع مجنونة، وقالت فى حدة:

- مش فاهمه. عايز تقول ايه؟..

ونظر أحمد إليها كأنه فوجئ بصوتها الحاد، ثم عاد

وأرخی عينيه الى الأرض، وقال:

- الناس اتكلمت كتير يا فايضة.. والبلد مهما كانت.. اسمها

بلد أرياف وكلام الناس عليه معول كبير!!..

- الناس اتكلمت عنك وعننى.. ما تكلمتش عنك انت لوحدك!!..

قال أحمد وعيناه بعيدتان عنها:

- انتى غريبة عن البلد.. تقدرى تسببها وقت ما تحبى انما أنا عايش فيها، وأمى وأختى عايشين فيها، وأبويا مات فيها، ورزقى منها..

وقالت فايضة وهى تنظر اليه بعينين غاضبتين:
- والحل!!؟..

وسكت أحمد قليلا كأنه يخاف أن يتكلم، ثم قال بعد أن استجمع شجاعته:

- الحل اننا ننهى الموضوع ده بأى شكل..

قالت وكلامه ينزل على قلبها جامدا كالثلج:
- تنهيه إزاي!!؟..

قال فى سرعة كأنه يخاف أن يعدل عن قراره:

- ما نشوفش بعض، لغاية ما الموضوع يتنسى والكلام يبطل!!..

قالت فى مرارة:

- يعنى تتخلى عنى فى الوقت اللى كنت فاكراك راجل

تقدر تقف جنبى وتحمينى.. يعنى تسببى وتجرى زى العيال..

يعنى ترمينى للكلاب.. يعنى تنسى حبنا وكلامك اللى كنت بتقوله ليه..

وقاطعها أحمد:

- ما تتكلميش كده يا فايضة.. أرجوكى انك تقدرى موقفى!!..
- وانت.. ما بتقدرش موقفى ليه.. انت عارف انى مظلومة ولا لا؟!!..
- عارف!!..
- ولما انت عارف، عايز تسيبنى وتقطع علاقتك بيه ليه؟
- تأكدى أنى باضحى أد تضحيتك!!..
- تضحى بأيه؟..
- باضحى بيكى.. بسعادتى.. بحبى!!..
- وتراجع غضبها وقالت فى لهجة أخف حدة:
- وايه لزوم التضحية بس؟!!..
- باضحى علشان أمى وعلشان أختى.. الكلام اللى يمسنى يمسه.. بكره يقولوا على سميرة، دى أخت اللى بيحب المدرسة، وما حدش يرضى يتجوزها.. بكره يعايروا أمى بابنها.. بكره يطفشونا من البلد كلها، وما نلقيش حته نروحها!!..
- وأنا ذنبى ايه فى ده كله؟!!..
- مالكىش ذنب.. ده قضا!!..
- و ماليش ذنب.. وبرضه تضحى بيه؟..
- مضطر..
- وثارت فايضة كأن النار قد اندلعت فيها وصرخت:
- مش مضطر ولا حاجه.. انت اللى جبان.. جبان.. جبان..
- خايف تقف قدام الناس وتدافع عن نفسك وعننى.. خايف تحمى

نفسك وتحمينى.. خايف تواجه الحقيقة وتقوللهم انك صحيح
كنت بتحبنى وكنت بتقابلنى وكنت بتوعدننى بالجواز..
وحاول ان يقاطعها:

- يا

وارتفع صراخها حتى طغى على صوته واستطردت:
- أوعى تفتكر انى حارضى بيبك بعد كده.. أنا كنت بحبك
لأنى كنت فاكراك راجل.. انما دلوقت باكرهك.. باحتقرك.. مش
عايزه أشوف وشك!!
واختنق صوتها حتى عصر دموعها..
وبكت..

ومد يده وهو يقول فى صوت حزين:
- أنا عازرك يا فايضة.. انما لسه بارجوكى ان تقدرى
تضحيتى!!..

وصرخت من بين دموعها وهى تزيح يده عن كتفها:
- أوعى تحط ايدك على.. ما تلمسنىش.. تضحية ال..
التضحية ما تكونش على حساب المظلوم، تكون على حساب
الظالم.. التضحية تكون فى سبيل الحق مش فى سبيل
الباطل.. على كل حال أنا ما يهمنىش.. الناس كلهم كلاب.. كل
أهل البلد دى كلاب..

ورفعت اليه عينين تقدحان شررا وقالت:
- أنا كنت مغشوشة فيك يا أحمد.. انت غلبان.. انت
مسكين..

ثم ابتعدت فى خطوات ثائرة..

تركت الساقية.. وصعدت الى الجسر.. وهو واقف لا يتحرك وقد نكس رأسه الى الأرض..
وابتعدت أكثر..

وأخذت تجرى.. الى أن صادفتها عربة حنطور ركبتها
واتجهت الى البلدة، وما أن أصبحت فى الشارع الرئيسى
حتى صاحت فى السائق بلهجة أمرة:
- نزل الكبوت يا أوسطى:

وأطاع السائق، ودفع «الكبوت» بذراعه فسقط الى الوراء
ليكشف فائزة أمام الناس، على غير ما جرت به العادة فى
المدينة عندما تركب النساء عربات الحنطور..
ووضعت فائزة على شفتيها ابتسامة تحد..

وأخذت تنظر الى المارة والى الجالسين على جانبي الطريق
فى عيونهم، كأنها تتحدى كلا منهم بنفسها، وكأنها تتحدى أيا
منهم بأن يسمعها كلمة!!..

ونظر الناس اليها متعجبين لجرأتها، وقد عقدت الدهشة
ألسنتهم حتى لم ينطقوا!!..

ووصلت الى المدرسة، وقد شعرت أنها انتصرت على الناس
بمجرد تحديها لهم..

ونظرت الى البناء الكبير.. وترددت فى النزول من العربة..
ثم التفتت الى السائق تسأله:

- اكسبريس مصر ينفوت الساعة كام يا أوسطى؟
وقال السائق وهو أيضا لا يزال واقعا تحت تأثير التعجب
والدهشة:

- كمان عشر دقائق..
وقالت فائزة فى لهجة حازمة كأنها قررت أمراً لا رجعة فيه:
- طيب ارجع على المحطة!!

وتركت فائزة كل شىء وراءها، فلم يكن معها الا حقيبة
يدها..
تركت ثيابها.. وتركت التحقيق.. وتركت وظيفتها.. وتركت
مشاكلها!..

لم يعد يهمها شىء...
ان الدنيا كلها لا تساوى شيئاً..
وجلست فى القطار تغلى!!..
لم تكن ثائرة على الدنيا، بقدر ما هى ثائرة على نفسها..
انها تعيد وتكرر نفس السؤال: لماذا تتحدى الناس؟!.. لماذا لا
تخضع للمجتمع؟!.. لماذا تقف وحدها تقاوم كل هذه الشرور
التي تغرق الدنيا؟!..
ربما لأنها مغرورة!!
ربما لأنها غبية!..
هل تستمر فى نفس الطريق؟!..
هل تقاوم اكثر مما قاومت؟!..
لماذا؟!..

لقد كانت تقاوم فى سبيل أمل.. فى سبيل أن تجد يوماً
الرجل الذى تحبه وتتزوج.. وقد وجدته، ولكنه لم يقدر
مقاومتها، ولم يتزوجها.. بل تركها عند اول صدمة؟

هل تنتحر لأنه هجرها؟..

انها لا تفكر فى الانتحار، ولا تريد ان تنتحر.. ربما لأن الحب لا يكفى سببا للانتحار، أو ربما لأنها لم تحبه إلى حد أن تنتحر.

ترى لو هذا الرجل نفسه أحبته أختها خديجة أو أختها فوقية وأرادته احدهما زوجا لها.. هل كان يستطيع أن يفلت منها.. هل كان يتخلى عنها؟
مستحيل!..

ان كلا منهما تعتمد على ذكائها فى الحياة، بل ان كلا منهما تعتقد أن الفتاة الشريفة هى الفتاة الذكية.. وما دامت تستطيع أن تلعب بالرجال، وما دامت تستطيع ان تختار منهم من يعجبها.. فهى ذكية وهى شريفة.. هكذا يقول المجتمع!..
واستطردت فائزة فى تفكيرها:

ترى لو كانت ذكية.. ماذا كانت تفعل؟..

كانت تلجأ الى الدكتور عوض صاحب الاجر خانة كما نصحتها زميلتها سعدية.. وتمنحه ابتساماتها.. وتتحمل عينيه وهما يسقطان على كل قطعة من جسدها، وتدعه يتعلق بأمال كبار.. ثم تستغل نفوذه لدى أعيان البلدة وكبار موظفى الوزارة ولدى ناظرة المدرسة، حتى يلغى التحقيق، ويسكت الناس.. ثم بعد ذلك تخدعه وتفر منه وتعود الى حبيبها أحمد.. فيتزوجها لأنه لن يجد ما يحول دون زواجها، ولن يعلم ابدا بأنها لجأت للدكتور عوض لأنها ستكذب عليه.. ستكذب على أحمد.. وعلى كل الناس.. وستظل تكذب طول حياتها..
كان هذا ما يجب أن تفعله لو كانت ذكية..

وستكون ذكية ابتداءً من اليوم..
ووقف القطار فى محطة بنها.. وصعد رجل لا يتجاوز
الخامسة والثلاثين من عمره يحمل حقيبة صغيرة فى يده..
أنيق تبدو عليه النعمة والعز!.
ورفعت اليه عينيه، ثم اعتدلت فى جلستها، وادارت رأسها
تطل من النافذة، وقد قررت فى نفسها أمرا..
قررت أن تجرب ذكاءها..
وجلس الرجل قبالتها وهى تحس بعينيه فوق ساقيهها..
وتحرك القطار، ومضت فترة من الوقت، وقامت تغلق النافذة،
وتظاهرت بأن اغلاقها يستعصى عليها..
وقام الرجل يساعدها فى اغلاق النافذة..
- تسمى!؟..
- مرسى!!..
وأغلق النافذة وهو يقول:
- الحقيقة الواحد يبحث فى القطارات دى.. يقفل الشباك
يتخفق من الحر، يفتح الشباك يتخفق من التراب!!..
- فعلا..
قالتها فى اقتضاب، ولكنها تعمدت أن تقولها فى دلال..
ومضت فترة اخرى، ثم أخرج الرجل علبة سجائره وقدمها
اليها قائلا:
- تسمى يا افندم..
- مرسى ما بدخنش!!..
- يا بختك.. تعرفى انى دكتور متخصص فى القلب..

- وعارف السجاير بتعمل ايه، ورغم كده مش قادر ابطلها.
والتفتت اليه فايضة فى اهتمام مفتعل:
- صحيح حضرتك دكتور فى القلب؟..
- أيوه يا افندم.. انا الدكتور عبدالحميد وافى.. تحت
امرك!!..
- مرسى.. امر ربنا سبقنا..
- خير يا افندم..
- لا أبدا.. أصل بابا الله يرحمه مات بالقلب من ثلاث
سنين.
- الله يرحمه..
- انما صحيح يا دكتور انه مرضى وراشى؟..
- أبداً ما تصدقيش.. وعلى كل حال اذا كان عندك أقل
شك أنا مستعد أعملك رسم قلب علشان تطمنى على قلبك..
- مرسى..
- حضرتك من مصر ولا من اسكندرية؟..
- احنا ساكنين فى مصر.. انما بسافر العزبة كثير!!..
- والعزبة فين.. يمكن نطلع جيران.. احنا أرضنا فى شبين
الكوم؟..
- احنا فى كفر صقر.. انما الحقيقة ما لناش فيها الا
خمسین فدان والباقي فى بنى سويف؟!
واستمر الحديث بينهما..
ووجدت فايضة متعة عجيبة وهى تكذب.. ثم وهى توجه
الحديث الوجهة التى تريدها.. ثم وهى تستقصى منه أخباره ثم

وهى ترى فتنتها تنعكس فى عينيها، وتراه مقبلا عليها فى أدب
يحاول أن يربط أيامه بها..

ووصل القطار الى محطة مصر، وقام الرجل يتلفت باحثا
عن حبيبته، ثم سألها:

- هيه الشنطة فين يا هانم؟!

وأجابت وعلى شفيتها ابتسامة رشيقة:

- ما فيش.. أنا عمري ما أسافر العزبة ومعايا شنطة..

شايلة هدوم وكل حاجة هناك بدل ما أجيب وودى!!..

وصدق الرجل بسهولة..

وهنأت فائزة نفسها على ذكائها، بل خيل اليها انها لم

تكتشف ذكاءها إلا اليوم!!..

ونزل عبدالحميد وراءها من القطار وهو يقول:

- تسمحي أوصلك يا أفندم؟!!..

وقالت فائزة:

- والله أنا قتلهم فى العزبة يضربوا تليفون فى مصر

علشان عربية جوز أختي تستناني.. مش عارفة إذا كانوا

لحقوا يتصلوا بمصر ولا لا..

وسار بجانبها..

وتلفتت فائزة الى السيارات الواقفة منتظرة فى فناء المحطة

ثم دقت الأرض بقدمها كأنها غاضبة، وقالت:

- أهى العربية ما جتش.. الخدامين دول حيجننوني!!..

وقال الدكتور وقد فتحت أمامه أملا كبيرا:

- عربيتى تحت أمرك!!..

وركبت بجانبه.. سيارة جميلة بيضاء اللون كأنها جناح ملاك.. واستطرد بينهما الحديث حتى وصلا الى باب العمارة التى تقيم فيها أمها بالجيزة..

ونزلت، ومد عنقه اليها يريد ان يقول شيئا.. وقالت قبل أن يتكلم:

- مرسى قوى يا دكتور.. حابقى أضريك تليفون علشان نتفق على ميعاد تعملى رسم قلب.. هيه مواعيد العيادة من امتى لأمتى؟..

- بكره من خامسة لتسعة!..

- بكره بس..

- وكل يوم.. بس بكره يكون أحسن لأنى عايز أطمئن على قلبك!..

وابتسمت فائزة ابتسامة كبيرة، وقالت:

- اطمئن!..

وأدارت له ظهرها وخطت نحو باب العمارة.. وخيل اليها ان خطواتها أرشق وأكثر فتنة مما تعودتها: وتباعدت وهى فى المصعد:

- ما اسهل ان يكون المرء ذكيا.. يكفى ان تلتقى بهذا الدكتور مرتين لتتزوج.. انه مغفل كبير.. كل الرجال مغفلون.. وهم يسحقون كل من لا يفترب بأنهم مغفلون..

وفتحت باب الشقة بالمفتاح الذى تحمله دائما فى حقيبتها. وابتسمت ابتسامة خفية عندما لمحت أمها واختها ومعهما رجالان يجلسون فى الصالون حول مائدة تحمل زجاجات

الويسكى والصودا وأطباق المزة..
وصاحت فوقية بمجرد ان لمحتها:
- فائزة!!..
ثم قامت اليها تحتضنها وتقبلها..
والتفتت امها ملهوفة، وقامت وفي عينيها تساؤل اقرب الى
اللوعة:
- ايش جابك يا فائزة دلوقت.. خير يا بنتى؟..
وقالت فائزة وهى تقبل أمها:
- ما فيش حاجة يا نينه.. وحشتونى!!..
وتعمدت أن تفتح ابتسامتها الى آخرها حتى تطمئن امها..
وقالت الأم:
- انما النهاردة الاتنين.. والدنيا ليل.. مش ميعاد اجازة ولا
سفر!!..
- مافيش حاجة والنبي.. الحقيقة انى زهقت من الشغلانه
دى، وما صدقت اتخانقت مع الناظرة، ورحت سايبه المدرسة
وجاية عليكم..
وقالت الأم:
- ما كنتى سمعت الكلام من الأول بدل المرمطة اللى
بتتمرمطها دى.. وكنتى قعدت وهديتى..
- أهو برضه شفت الدنيا!!..
- وفين شنطتك؟..
- قتلهم بيعثوها لى بكره..
ونظرت الأم الى عيني ابنتها كأنها تبحث فيهما عن

الحقيقة ثم قالت:

- طب خشى يا حبيبتي على أودتك واحكىلى على كل
حاجه!!..

وقالت فائزة وهى تنظر الى داخل الصالون:

- مش نقعد مع الضيوف شوية!!..

وعادت الأم تنظر الى عيني ابنتها كأنها تنظر الى فتاة
غريبة عنها.. ولم تدعها فائزة تتكلم بل خطت الى داخل
الصالون وصافحت الرجلين وجلست بينهما ولحقت بها أمها
وأختها..

وقال أحد الرجلين:

- مش تاخدى معنا كأس!!..

وردت فوقية:

- إلا دى.. دى الشيخة فائزة عمرها ما تدوقه!!..

وقالت فائزة وهى تبتسم:

- انتى حتفضلى تشنعى عليه يا فوقيه على طول. طب

أدينى حاخد كأس علشان تحرمى تقولى الشيخة فائزة!!..

وصب الرجل كأسا..

وفغرت فوقية فاها دهشة وقالت:

- هيه البلاد بتعمل فى البنات كده.. دى مدرستكم لازم

مدرسة أنس قوى!!..

وبدت على وجه الأم سحابة من التفكير، ثم قالت:

- أنا متهاى لى يا فائزة ان خناقتك مع الناظرة كبيرة قوى!!

وردت فايضة ضاحكة:

- ولا كبيرة ولا حاجة.. بكره تعرفى كل حاجة!!

ورفعت الكأس الى شفيتها..

وانسكبت الخمر فى الجوف الطاهر الذى لم يلوثه محرم.

وأحسست بغصة كأن الشيطان يقهقه فى صدرها..

وتحاملت على أعصابها حتى لا تبدو عليها تأثير الجرعة

الأولى كانت لا تزال مصرة على أن تكون ذكية..

وأعملت ذكاءها.. ولم تمض برهة حتى كانت هى الوحيدة

التي تتكلم، وحتى الرجال كانا قد نسيا أمها وأختها وركعا

بكل حواسهما تحت قدميها..

ورفعت الكأس الى شفيتها مرة ثانية..

ثم لم تعد تتحمل..

تعبت من ذكائها..

وقامت مستأذنة.. وأرادت أمها ان تلحق بها، ولكنها ألحت

عليها ان تبقى مع «الضيوف» وأقنعتها بأنها متعبة من السفر

وتريد أن تستريح..

ودخلت حجرتها، وعلى شفيتها ابتسامة غرور كأنها معجبة

بذكائها..

وخلعت ثيابها..

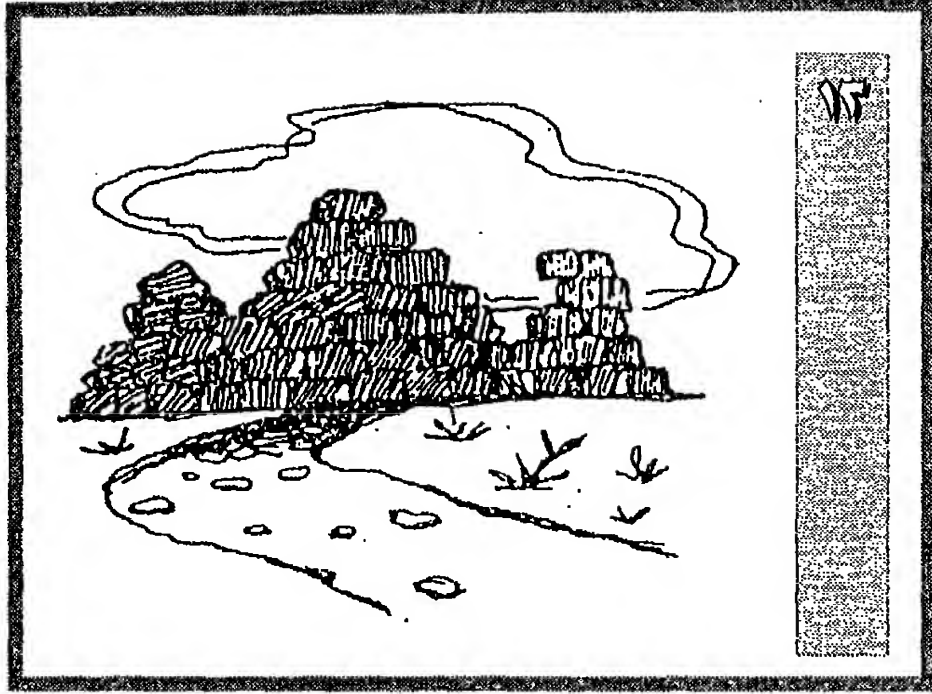
ورقدت فى فراشها..

وبحثت عن ابتسامتها فلم تجد، كانت قد تخلت عنها ولم

تجد معها الا خيالها فوق الوسادة وعذابها تحت اللحاف..

وبدأت تستعرض قصتها من جديد كما تعودت أن

تستعرضها كلما كانت تأوى الى فراشها وهى صغيرة..
وتوقف خيالها عند أحمد.. لا يريد أن يمر..
أحمد بقامته الطويلة، وصدره العريض، ووجهه القوي...
وانقلبت على وجهها، وهى تضرب الوسادة بقبضتيها،
كأنها تطعن خيالها بخنجر من عذابها، ووجدت نفسها تهمس:
- الجبان.. الجبان.. الجبان..
وأغاثتها دموعها..



ولم يشغل صباح فايزة شيء مما تركته وراءها في
البلدة..

لم تفكر في المدرسة، ولا في التحقيق الذي تجريه معها
وزارة المعارف، ولا في ثيابها التي تركتها هناك..

كانت قد قررت أن تستقيل من وظيفتها فهي لم تقبلها
سعيًا وراء الرزق، بل قبلتها لتفر من المجتمع الذي نشأت
فيه.. وقد فرت لتجد نفسها في مجتمع أسوأ منه.. الرجال هم
الرجال، والنساء هم النساء، والفساد هو الفساد، والانحلال
هو الانحلال..

كانت تظن انها تفر الى مجتمع ثابت مستقر له مبادئه وله

تقاليد له احترامه، ولكنها وجدته مجتمعا كالأغابة يحتاج كل من يعيش فيه إلى ذكائه ليحمي نفسه من الوحوش.. من الكلاب.. من الناس.. وخير لها أن تستغل ذكاءها في القاهرة بدلا من أن تستغله في هذه المدينة الصغيرة.. فالصيد هنا أوسم وأسهل.. وهي هنا ليست في حاجة إلى تحمل شقاء الوظيفة، وقسوة ناظرة المدرسة وفسائس زميلاتهن المدرسات..

حتى أحمد لم يشغل صباحها.. ولم تكن تفكر فيه كرجل قائم بذاته.. إنما كان يطوف برأسها كممثل للرجال أجمعين.. كانت تفكر فيه كصورة للمجتمع كله..

لقد كان مهذبا، ولم يحاول أن يأخذ منها أكثر مما تعطيه، ولكنه تخلى عنها عندما وقفت وحيدة تواجه الناس كلهم.. تخلى عنها في الوقت الذي احتاجت فيه إليه ليثبت لها حبه. هل كان من الأفضل ألا يكون مهذبا.. أن يحاول أن ينال من جسدها.. ثم يحميها بعد ذلك من الناس، ويحميها من تحقيق وزارة المعارف، ويقف بجانبها قويا ماردا يصد عنها الظلم ويصد عنها الكيد؟..

أيهما أفضل..

أحمد المهذب الوديع، الذي ضحى بها وحبها ليحمي نفسه وسمعته من السنة الناس؟.. أم الدكتور عوض صاحب الأجرخانة الذي عرض عليها أن يقف بجانبها وينصرها على السنة الناس، على أن يأخذ الثمن من جسدها؟..

إنها لا تدري؟..

ويخيل اليها أن كل الرجال الشرفاء ضعفاء!!
وكل الرجال الأقوياء، ليسوا شرفاء!!
وكلهم.. الضعفاء والأقوياء، والشرفاء والأنذال.. كلهم لا
يعتمد عليهم، انما عليها أن تعتمد على نفسها.. على
ذكائها!!

وهي ذكية والحمد لله!!
وابتسمت وهي تتذكر صباها وشبابها اللذين قضتهما
تتخيل الحب.. الحب العف البريء الذي ليست له نهاية الا
الزواج أو الانتحار..

ان الحب - للأسف- يحتاج الى طرف ثان.. يحتاج الى
رجل.. والرجال لا يتزوجون للحب، ولا يستحقون ان تنحصر
من أجلهم امرأة!!
انها لن تحب..
كفرت بالحب..

وستنتقم.. ستنتقم لصباها وشبابها.. ستنتقم من الرجال
كلهم.. من المجتمع كله.. وستنتقم بذكائها.. ستثبت للناس
انها اذكى امرأة مرت بهم وسمعوا عنها..
من اين تبدأ الانتقام؟

وقفزت الى عينيها نظرة قاسية ملتهبة.. وتقلصت اصابعها
فوق الوسادة كأن الناس كلهم قد تجمعوا في واحد وهي
تحته، وانطبقت اسنانها فوق بعضها وانفجرت شفتاها. كأنها
تتلذذ من هذه القسوة التي تشعر بها..

ومرت بها صور الرجال الذين التقت بهم في حياتها..

الرجال الذين أقامت لكل منهم تمثالا فى قلبها ما كادت
تتمه حتى تحطم.. الرجال الذين فرت منهم او فروا منها،
لأنها كانت «عبيطة» غبية لا تجيد فن معاملة الرجال..

ستنتقم منهم واحدا واحدا..

ستجعلهم يعودون اليها زحفا على بطونهم.. وستجعل كلا
منهم يطلبها للزواج، رغم نشأتها ورغم بيئتها.. لأنها لن
تستجديهم باسم الحب، بل ستلوح لهم بأنوثتها..

ان اولهم الاستاذ منير حلمى الكاتب الشهير الذى ملأ
خيالها بقصص الحب..

ستعود اليه متجردة من خيالها..

لن يكون الحب موضوعا بينها وبينه.. انه موضوع يصلح
فقط لكتابة القصص، ولقراءة القصص، ولكنه لا يصلح لخلق
قصة واقعية من صميم الحياة!!

واتسعت ابتهاماتها وهى تتخيل شكله عندما يراها امامه
من جديد.. وعندما تعامله بأسلوبها الجديد..

الأسلوب الذى يريده المجتمع ويدفعها اليه..

اسلوب الخطيئة..

ورغم ذلك فهى ستظل امام المجتمع شريفة.. لأنها
ستحرص على ان تبقى عذراء، اما ما دون ذلك فمباح.. كله
مباح الا أن تفقد عذريتها.. هكذا تقول امها.. ويقرها عليه
المجتمع..



ودخلت امها الى حجرتها تحمل صينية القهوة وهى تقول

فى صوت يبدو فيه افتعال المرح:

- صباح الخير يا فائزة.. قومى بأه يا بنتى الساعة بقت
حداشرا!

ووضعت صينية القهوة بجانب الفراش، ودارت تفتح نوافذ
الحجرة، ثم عادت وجلست بجانب فائزة على الفراش.. وما
كادت تجلس حتى قفزت فائزة من رقتها وألقت نفسها بين
احضان امها واخذت تقبلها قبلات متعددة على وجهها فى
حنان وشوق، ثم قالت:

- تعرفى يا نينة انك وحشانى قوى.. عمرك ما وحشتينى
اد اليومين دول!!

وربتت توحيدة هانم على ظهر ابنتها قائلة:

- اخص عليكى يا فائزة.. بأه ما وحشتكىش الا اليومين
دول؟!..

وقالت فائزة فى دلال الابنة:

- مش قصدى.. انما أنا عرفت اخيرا ان الواحدة ما
تساويش حاجة من غير امها.. وأنا فى الحقيقة يا نينة كنت
حاسة طول عمري انى بعيدة عنك.. ما عرفتش انى ماليش
غيرك الا لما ألقيت نفسى وحيدة بين الناس...
وابتسمت الأم وإن كان لا يزال يبدو فى عينيها سحب من
القلق:

- ربنا يخلينا لبعض يا حبيبتي.. هوه أنا ليه حد الا انتى
واخواتك.. غير شى انتى اللى طول عمرك عنيدة وما
بتسمعيش الكلام ومشحطة قلبى عليكى..

وقالت فاييزة وهى تقبل امها من جديد:

- خلاص.. حرمت.. من هنا ورايح حاسمع كلامك!.

ونظرت توحيدة فى عينى فاييزة نظرة ثاقبة، وقالت فى جد:

- انا قلت نشرب القهوة سوا ونتكلم.. احكى يا فاييزة..

قوليلى على كل حاجه.. ما تخبيش عليه.. احسن لو جيتى

للحق انا قلقانه عليكى وحالك مش عاجبنى..

وبدأت فاييزة تقص على امها ما حدث لها فى المدينة..

روت لها كل شىء إلا قصة حبها لأحمد.. واكتفت بأن

ذكرت أن أحمد شقيق لحدى تلميذاتها وان الناس اتهموها

به زورا..

وقالت الأم وهى تفكر تفكيراً عميقاً بعد ان استمعت الى

القصة:

- برضه انتى الحق عليكى يا فاييزة.. كان لازم تعملى

حساب ده كله..

وقالت فاييزة:

- فعلاً.. انا كنت غبية.. كنت مغفلة.. كانت نيتى سليمة

وفاكره ان الواحدة لما تبقى كويسة الناس تحبها وتحترمها..

انما من هنا ورايح لا حابقى مغفلة ولا غبية..

وقالت الأم فى لهجة القائد الذى يبحث خطة:

- وناوية تعملى ايه دلوقت؟

- ناوية استقيل من الشغل.. خلاص قررت اقعد جنبك فى

البيت..

- ما كان من الأول..

- كنت غلطانة..

على كل حال أحسن نكفى على الحكاية دى ما جور ولا
نجبش لها سيرة.. ونخللى اسماعيل جوز اختك يروح الوزارة
ويوقف التحقيق.. واهو له معارف كتير هناك.. ولو ان نفسى
أسافر وأمسك البتاعة الناضرة دى وأقطم رقبتها وأسيح دم
الراجل المجرم اللى ضربك بالقلم.. أنا بنتى تنضرب بالقلم؟..
يا أخى قطع ايده وايد اللى جابوه.. انما معلهش.. المهم انك
تكونى اتعلمت وعقلت!..

قالت فايضة:

- اطمنى..

وقامت الأم تستدعى اسماعيل «بيه» بالتليفون لتكافه
بالذهاب الى الوزارة..

وقضت فايضة يومها بين شقيقتيها خديجة وفوقيه، تروى
لهما نوادر البلدة التى تركتها، وتصف لهما الشخصيات التى
التقت بها هناك وتقلد هذه الشخصيات فى حركتها
ولهجتها..

كانت تضحك كثيرا وكانت تتحدث بجرأة لم تتعودها منها
شقيقتها، وكانت تتعرض لموضوعات دقيقة لم تتعرض لها
فى حديث من قبل..

وقالت خديجة:

- انما لو جيتى للحق يا فايضة، البلد دى دردحتك قوى..
كان لازم تسافريلها من زمان..
وضحكت فايضة قائلة:

- ده انا لو كنت قعدت فيها كمان يومين كنت رجعتكم
وفى ايدى عمدة اد الدنيا!!!
وقالت فوقيه:
- وماله.. والنبي حق واحدة فينا تتجوز عمدة، على الاقل
نضمن السمن وخزين البيت!!!
وقالت فايضة فى جراحة:
- عمدة ايه يا عبيطه.. ده انا قابلت فى القطر حنة دكتور
يتاكل اكل ووقع لشوشته.. شوية شوية كان حيبيب المأذون.
وقالت خديجة فى اهتمام:
- وراح فين الدكتور ده!!!
وقالت فايضة:
- موجود.. واول ما شفته قلت أهو ده ينفع لفوقية.. زى
ما يكون متفصل عليها!!!
وقالت فوقية:
- وما تخدهش انتى ليه!!!
وقالت فايضة فى استهتار:
- مش «التيب» بتاعى.. ثم أنا مش ناوية اتجوز دلوقت
لسه بدرى!!!
وعادت فوقية تقول:
- على كل حال أنا مش محتاجه.. كلها يومين وعبدالعزیز
حيطلبنى!!!
وقالت فايضة:
- والنبي لو شفتى الدكتور ده لترمى ألف عبدالعزیز..

وتأخديه.. تعالوا نضربه تليفون!!..

وتبادلت فوقية وخديجة النظرات كأنهما لا تصدقان أن
فايزة اختهما هي التي تقول هذا الكلام.. ولكن واحدة منهما
لم تبد دهشتها حتى لا تجفل فايزة من الاستمرار في
سلوكها!!..

وقالت خديجة:

- اقولك.. قوليله في التليفون انك عيانه وخليه بيحي
يكشف عليكى علشان نشوفه!!..

وقالت فايزة كأنها تلوم شقيقتها على غيابها:

- ما تبقيش عبيطه.. خليه يستنى شويه.. ده أنا لسه
عارفاه امبارح!!..

ولم تحتمل فوقيه أكثر من ذلك.. فصرخت ضاحكة:

- يا خرابى.. مش معقول.. بأه دى فايزة اختنا.. ما
تقوللنا يا حبيبتي المدرسة اللي كنتى فيها دى تبقى فين
علشان نخشها ونتعلم زيك كده!.

وابتسمت فايزة كأنها تتلقى تهنئة على ذكائها.. ثم فتحت
دفتر التليفون وبحثت عن نمرة الدكتور وافى، وتكلمت فى
صوت يقطر رقة ونعومة:

- ألو.. الدكتور موجود من فضلك؟..

- أنا يا أفندم..

- أنا فايزة يا دكتور.. أنا أسفة قوى مش حا قدر أجي
العيادة النهاردة.. ممكن تحدد لى ميعاد تانى..

- بس يا أفندم أنا كنت عايز اطمئن على قلبك!!..

- مرسى.. الحالة دلوقت كويسة!!..
- أنا عايز اخليها أحسن من كده!!..
- على كل حال.. أنا متأكدة انك دكتور كويس..
- علشان كده لازم اشوفك النهاردة.. الدكتور الكويس مايقدرش يستنى على العيانيين، لازم يشوفهم كل يوم.
- أصلى رايحه الأوبرا يا دكتور.
- اجيلك فى الأوبرا يا افندم.
- تكشف عليه هناك؟..
- قصدى..
- أنا خايفة من قصدك يا دكتور.. أوفوار!!.
- بس يا فايضة هانم.. و..
- وقاطعته:
- أوفوار يا دكتور!!.
- ووضعت السماعة، والتفتت الى شقيقتها كأنها تسألها عن ذكائها.
- وعادت خديجة وفوقية تتبادلان النظرات والابتسامات، وقالت خديجة:
- ده انتى بقيتى استاذة.
- وقالت فوقية:
- من هنا ورايح اعتبرينى تحت أمرك.
- وقالت فايضة وكأنها تتباهى بنفسها:
- ولسه، يا واش.. يا واش.. كلها يومين والدكتور الجميل يطب ويتفرتك حتت من الحب، وساعتها أعيطله واقوله

انى كنت مضطرة أكذب عليه وأفهمه انى عندى عزيه، علشان
ما اخسروش.. وانى بنت مسكينة عايزة اهرب من بيتنا.. من
العيشة اللى أنا عايشاها.. تروح واخذاه الشهامة ومتجوزنى
مش هو ده اللى بيحصل.

وأجابت خديجة وفوقية فى نفس واحد:

- مضبوطا.

واخذت الشقيقات الثلاث يتنصرون بقصص الناس..
ويتضاحكن ويتبادلن ذكرياتهن ومغامراتهن فى صراحة
جريئة، الى ان احست فايضة بالتعب، التعب من ادعاء الذكاء،
ومن افتعال المرح، ومن تمثيل دور الفتاة المستهترة، ومن
تخيل الخطط المصطنعة للايقاع بالرجال..

ولكن فكرة الانتقام كانت لا تزال تملكها..

الانتقام لصباها وشبابها من المجتمع والناس..

وكانت لا تزال مصرة على أن تبدأ بالانتقام من الأستاذ
منير حلمى.. الرجل الذى ضرب الضربة الأولى فى صرح
خيالها ومبادئها..

وكانت الساعة السابعة مساء عندما رفعت سماعة
التليفون وأدارت رقم الأستاذ منير حلمى..

غريبة.. انها لم تنس ابدا هذا الرقم رغم كل ما مر بها..
وسمعت صوته.

ولم ترد.. وظلت ضاغطة بسماعة التليفون على أذنها كأنها
تسمع صدى أحلام ماضيها البعيد..

ثم اعادت السماعة الى مكانها كأنها تنزع نفسها من

ماضيها.

لقد تأكدت الآن من وجوده فى بيته، وستفاجئه بزيارتها.
وكذبت على أمها وقالت أنها ذاهبة لزيارة صديققتها هدى..
زميلتها فى الدراسة..

ووضعت نفسها فى سيارة أجرة، وأعطت السائق العنوان
وأحست انها عادت الى الورااء خمس سنوات.. الى اليوم
الذى ذهبت فيه الى الاستاذ منير حلمى فى بيته لأول مرة..
لقد كانت يومها وجلة واجفة القلب، وكانت تحلق فى سماء
ظاهرة تتجاوب فيها ترانيم الملائكة.. ترانيم الحب النقى
الصافى.. وكان يخيل اليها وهى فى طريقها اليه انها
تصعد.. وتصعد.. وتصعد.. الى حيث يقيم فى أبراج
السحاب بعيدا عن الناس.. بعيدا عن الدنيا.. بعيدا عن
الشر..

ولكنها اليوم ليست وجلة ولا واجفة القلب.. انها ذاهبة اليه
وهى تعلم انه ليس ملاكًا، انه رجل.. مجرد رجل ككل
الرجال.. رجل سافل.. وهى تحس فى طريقها انها تهبط،
وتهبط.. وتهبط.. الى حيث يقيم كل الرجال.. فى الحضيض..
فى الطين!!..

ولكن..

انها تكذب على نفسها..

انها تحس برعشة خفيفة تنتاب قلبها.. وتحس بأطراف
اصابعها باردة كالثلج.. وتحس بدمائها تسرع فى عروقها
كأنها تحاول الهرب من شىء او الاختباء من شىء..

مم تخاف؟..

ما لزوم الخوف الآن؟!..

انها تعلم بالضبط ماهى مقدمة عليه.. سيتحادثان طويلا وستلوح له خلال الحديث بأنوثتها.. وسيتقرب اليها ويتحسس جسدها بأصابعه، ويضمها، ويقبلها.. ويستدعه يفعل كل ذلك، لأنه ليس من الصنف الذى يرضى بأقل من ذلك.. وسيتعلق بها بعد ذلك.. سيشركها فى كل احلامه وآماله.. فتأخذ فى خداعه وفى اللعب به الى ان تراه جاثيا تحت قدميها باكيا متوسلا، فترفضه ببوز الحذاء وتتم انتقامها!!

انها تعلم كل ذلك.. ان الخطة واضحة فى ذهنها لا تحتل الشك.. وليس عليها خلال تنفيذها إلا ان تحرص على شىء واحد.. هو أن تبقى عذراء! لِمَ الخوف، اذن!!..

ووقفت السيارة امام باب العمارة.. ونزلت منها وسارت فى خطى ثابتة نحو المصعد..

ان البواب لا يزال هو نفسه، ولا يزال فى جلسته لم يغيرها.. ولا تزال فى عينيه هذه النظرة التى استقبلها بها أول مرة، كأنه يعلم بإحساسه انها فى طريقها الى الاستاذ منير حلمى، وانها لذلك لا تستحق ان يقف لها احتراماً!!

وأغلقت على نفسها باب المصعد كأنها تغلق على نفسها باب زنزانة ضيقة فى سجن الخطيئة..

ووقفت امام باب الشقة، وضغطت على الجرس وهى تجمع

كل ارادتها لتحتفظ بثباتها وسيطرتها على نفسها..
وسمعت للجرس صوتًا بعيدًا داخل الشقة كأنه الفحيح..
فحيح ثعبان خبيث يكتم ضحكات ساخرة..
وفتح الخادم الباب وسأله في صوت حاولت ان يكون
جادًا:

- الاستاذ موجود؟..

- نقوله مين يا افندم!!..

- هوه عارف!!

وقال الخادم وهو يبتسم ابتسامة ميتة كأنه يلعن حظا، في
الحياة:

- اتفضللى!!..

قالها بلا مبالاة كأنه تعود ان يفتح الباب لآلاف النساء
وكلهن لهن حق الدخول!!..

ودخلت فايضة وهى تجيل عينيها فيما حولها كأنها
تستعرض ذكرياتها.. ان كل شىء كما هو.. كل قطعة من
الأثاث مكانها.. حتى طقاطيق السجائر والتحف الصغيرة لم
تتغير ولم تزد ولم تنقص.. لا شىء يبدو أكثر قدما، ولا شىء
يبدو أكثر جدة، كأن الزمن لا يمر بهذا البيت انما ينام فيه..
ودخل الأستاذ منير حلمى بخطوات سريعة ملهوفة كأنه
يتسرع المفاجأة..

انه هو بعينه..

لم يتغير..

نفس الوجه الهادئ الوسيم كأنه طيف من عالم الخيال،

والعينان الصافيتان كأنهما لم تقعا أبداً على شر يعكرهما،
والشففتان الغليظتان كأنهما اكتنزتا بتنهداته، والابتسامة
الحنون كأنها رسالة يحملها نبي لإسعاد البشرية..

كل ما هنالك أن الشعرات البيض قد زحفت من فؤديه
وصعدت الى رأسه كأنها اكليل من الفل.. وخطوط باهتة قد
أحاطت بعينه، وتجعدات ضعيفة برزت فوق وجنتيه كأنها
أثار شفاه مجنونة قتلت نفسها تقبيلاً..

وكان يرتدى نفس الثياب التي تعرفها.. البنطلون والقميص
والسترة المنزلية.. كان هذا هو الزى الرسمي الذي يقابل به
كل النساء..

ونظرت فايزة اليه.. انها لا تراه كما رآته أول مرة.. انها
ترى خلف وجهه الهادئ زوبعة، وترى وراء العينين
الصافيتين بريقا احمر فيه اغراء باقتحام الخطر وبمخالفة
لوائح المرور، ولا تحس في ابتسامته حناناً، بل تحس فيها
دعوة ماكرة..

وابتسمت.. كأنها تبسم للشيطان الذي يحاول ان يبدو
ملاكاً..

ونظر اليها كأنه يحاول أن يتذكر شيئاً..
نظر الى القوام الذي يتثنى في رقة كأنه يتأوه من الألم،
والى البشرة السمراء كأنها استار معبد مقدس، والى
العينين الواسعتين وقد اجتمع فيهما الليل والنهار، فلا تكاد
تغفو بينهما حتى تصحو، والى الشفتين الحاليتين وقد نامت
احدهما فوق الأخرى كأنها تتدفأ بهما..

واتسعت عيناه كأنه يلوم نفسه لأنه لا يستطيع ان يتذكر
اين رأى كل هذا الجمال من قبل..

وقالت من بين ابتسامتها فى صوت يضج بالدلال:

- مش فاكرنى يا أستاذ؟!

وخبط على جبينه وصاح:

- فايضة؟!.. مش!!..

- ازيك يا استاذ؟!..

قال وهو يمسك بكلتا يديها بين يديه:

- ايه ده كله.. ده انتى احلويتى قوى..

- صحيح؟!..

- إلا صحيح.. تعالى شوفى بنفسك.

وجذبها الى مرآة صغيرة ضمن المشجب الموضوع بجانب
الباب، وأوقفها امامها ووقف وراءها وهو ممسك بكتفيها،
وقال:

- شايفه العينين دول.. بأه كانوا كده زمان.. شايفة

شفافيك.. شايفة خدودك.. مش ممكن تكونى احلويتى. كده

لوحدك، لازم بتاخدى دوا مخصوص!!..

وضحكت فايضة فى مرج، وقالت:

- انت طول عمرك تبالغ يا استاذ!!

- ياريت اقدر ابالغ لغاية ما وصل للحقيقة.. ده انتى فقتى

كل مبالغة.. تعالى.. تعالى احكىلى كنت فىن، وعملتى ايه طول

المدة دى.. بقالى أد ايه ما شفتكيش.. ثلاث سنين؟

- خمسة!!..

وقال منير وهو يبتسم كأنه يدارى بابتسامته طعنة:
 - ما تقوليس كده.. بعدين أحس انى عجزت قوى!!..
 - انتة اللى زيك عمره مايعجز.. بالعكس.. كل ما قرالك
 قصة جديدة يتهيا لى انك بتصغر عن الأول..
 - ده يبقى مدح ولا زم؟..
 - الحقيقة أنا جايا لك النهارده علشان اهنك على القصة
 الأخيرة.. تجنن.. انما قوللى بتعرف الحاجات دى كلها زى..
 ده انتة بتوصف البنات زى ما تكون عايش معاهم.. وبتوصف
 الفلاحين زى ما تكون فلاح.. انما عيبك انك بتتكلم عن الحب
 الأفلاطونى
 وقال منير وهو يجذبها من يدها ويجلسها بجانب الأريكة:
 - ليه؟.. مابتؤمنيش بالحب الأفلاطونى؟..
 - مش موجود..
 قال وهو لا يزال يحتفظ بيدها فى يده:
 - لازم حبيتى، وعرفتى ان الحب مش ممكن يكون
 افلاطونى!
 - ابدأ.. لسه بخيرى.. زى آخر مرة شفقتى فيها!!..
 قال وهو يبتسم ابتسامة تفضح غروره بنفسه:
 - آخر مرة كنت بتحبنى انا..
 وأرخت فايزة عينيها فى خفر، وقالت على استحياء:
 - انما انت ما كنتش بتحبنى!..
 وقال وهو يضغط على يدها:
 - ماكنتش أقدر احبك.. يمكن كنت احبك انما ما كنتش

أقدر أعرف قيمة عواطفى.. كنتى لسه صغيرة.. ما كنش ممكن اعتبرك ست، وأعاملك على انك ست..

قالت فى دلال:

- ودلوقت.. يا ترى كبرت كفاية؟..

قال وهو يفتعل الأسى:

- بس أنا كبرت كمان ١١..

قالت كأنها تدافع عنه:

- لا.. أنا بس اللى كبرت.. انت لسه زى ما انتة.. متهيا

لى انك ماكبرتش يوم واحدا..

- ياريتا..

- باكلمك جد.. ده أنا نفسى مستعجبه إزاي ما بتكبرش!

قال وهو يطوف بعينه فوق وجهها:

- أنا من ساعة ما شفتك وأنا متهيا لى انى رجعت لورا

خمس سنين.. متهيا لى انى استرديت من عمري كل اللى

ضاع منه، ودلوقت بس عرفت انى طول عمري مبذر ومتلاف

لدرجة انى ضيعت عمري من غيرك.. لدرجة انى فرطت

فيكى..

واقترب منها وقال وهو يكاد يضع خده فوق خدها:

- فايضة.. احلفيلى انك ما نستينيش طول المدة دى..

قوليلى انك مش جايه تشوفى منير حلمى كاتب القصص،

انما جايه تشوفى منير حلمى الانسان.. الانسان المسكين

اللى ضيع خمس سنين من عمره بعيد عنك..

وقالت فايضة وهى تشد ظهرها فى دلال فيقفز نهداها امام

عينيه، ثم تحنى رأسها كأنها لا تستطيع أن تواجهه، وتخضع
من صوتها حتى يصبح همس:

- ما كانش ممكن أنساك.. مالقتش اللي يخلينى أنساك!..
واقترب منها أكثر، ورفع ذراعيه فى صمت كأنه يبتهل
بهما إليها، ثم انزلهما فوق ظهرها وأخذ يطوف فوقه بكفيه
كأنه يتبرك بأستار المعبود المقدس.. ثم وجدت نفسها فى
أحضانها وخده فوق خدها كأنه التصق بها الى الأبد..

وجفلت قليلا.. وشهقت شهقة صغيرة.

وحاولت أن تدفعه عنها فى رفق وهى تقول:

- لا يا منير.. خلينا نقعد نتكلم احسن!..

قال وهو يضغطها اليه ويضغط بخده على خدها:

- مافيش كلام فى الدنيا يكفينى دلوقت.. ما فيش كلام
فى الدنيا يقدر يعبر عن فرحتى بيكى.. مش قادر أصدق
أنك رجعتىلى.. وأنك حتبقي بتاعتى.. قوليلى أنك بقيتى
بتاعتى..

وقالت وهى تحاول أن تلهيه عن نفسها:

- الكلام ده بتقوله لبنات كثير يا منير!

- انما عمري ما صدقت فيه الا دلوقت.. ما تحاسبينيش

على اللي فات يا فايضة، حاسبينى على اللي جاي..

وأحست بخده يتحرك فوق خدها..

وأحست بأنفاسه تزحف نحو أذنيها كأزيز العاصفة

المقبلة..

وأحست بأصابعه تضغط فوق ظهرها حتى تكاد تشعر

بالألم.

ونشط عقلها ..

ان الخطة دخلت فى دور التنفيذ أسرع مما قدرت لها ..

عليها الآن أن تتحمل أنفاسه وقبالاته ولسات كفيه ..

ولكن لماذا؟ ..

لماذا تتحمل كل ذلك؟ ..

وتنبه عقلها الى شفتيه وهما تقتربان من أذنيها وتستقران

فوقهما .. وأحست لمسة من كهرباء تسرى فى بدنهما كله،

وانتفض رأسها بعيدا عنه، وهى تقول كأنها تتوسل اليه:

- منير .. لا !! ..

ولم يتكلم منير .. انما سقط بشفتيه فوق شفتيها .. وأحست

كأن أنفاسها قد أخدمت .. وحاولت ان تقاوم .. ولكنها عدلت ..

يجب .. ان تستمر فى الطريق الذى قررته لنفسها أخيرا ..

الطريق الذى دفعها الى المجتمع .. انه طريق مرصوف

بالقبالات وتلفح الأنفاس الملهبة كل من يمر به ..

انها ليست فى حاجة الآن إلا الى ذكائها ..

ولكن أين هو هذا الذكاء؟ !! ..

انها تحس بالضيق .. تحس بكل عصب فيها يكاد

يختنق .. تحس بدمائها تهرب منها .. تحس بقشعريرة تلف

صدرها كأنها رداء الموت ..

لماذا تتحمل كل ذلك؟ ..

لأنها ذكية .. لأنها تنتقم لصباها وشبابها من المجتمع؟

ولكنها لا تنتقم .. انها تستسلم ..

تستسلم للخطيئة..

وشعرت بمنير يدفعها بصدرة حتى أرقدها فوق الأريكة..
وأحست بكفه تنسحب من وراء ظهرها ثم تستقر فوق
صدرها.. ثم أحست بهذه الكف تعصر النهد البكر في قسوة
كأن أصابعه أنياب ثقب.. وتأوت في ضعف. وصرخت بلا
صوت.. يا مجنون.. ما هذا التوحش.. ما هذا الظلم!!...
ثم لم تعد تستطيع..

ان كل شيء فيها يبرد.. شفثاها.. وخداها.. وأطرافها
قطع من الثلج.. ووجهها يمتقع.. وعيناها زائغتان مفتوحتان
واسعتان لا تتحركان كأنها فقدت النظر وفقدت الاحساس
بهما..

ولم تعد تشعر بشيء..

ولم تحس بأصابع منير وهي تعبث بأزرار ثوبها وتقتحم
لحم كتفها..

انها جسد ميت..

وتوقفت كفا منير.. وأطلقت شفثاه شفثها.. وأحست بثقله
ينزاح من فوق صدرها..

ورأته من خلال عينيها الزائغتين يقف بعيدا عنها..
ومضت برهة..

هي في رقدتها.. وهو بعيد عنها.. وكلاهما صامت..
واستردت انفاسها، وعادت الدماء تسرى في عروقها
بطيئة مترددة كأنها دماء خائفة..

وقالت في صوت متنهد متهم كأنه نقيع السم:

- سكت ليه ١٩..
ولم يرد منير..
ظل صامتا..
وأحست بثورة صغيرة تتجمع فى صدرها وتتصاعد الى
رأسها، وقالت ساخرة:
- ما تكمل ١٩..
ولم يرد.. بقى ينظر اليها كأنه يفحصها بعينه..
وعادت تسخر منه وقد أصبحت سخريتها كالصراخ:
- ما تيجى تبوسنى.. ساكت ليه.. مش ده اللي كنت
عايزه.. مش ده اللي الرجالة كلها عايزاه..
وقال منير فى هدوء:
- أسف.. ما تعودتش أبوس فريجيديرات.. أنا سافل
صحيح.. انما مش للدرجة دى.. مش لدرجة انى أبوس واحدة
مش عايزه تبوسنى!..
وقالت مستمرة فى سخريتها:
- تحب اكتب وأمضى بالسماح لحضرتك بانك تبوسنى!
قال وهو ينظر اليها فى عطف:
- انتى مسكينة يا فايزة!..
ورأت نظرة العطف فى عينيه، فاعتدلت من رقدتها،
وأصلحت من ثوبها كأنها شعرت بنفسها أمام رجل غير الذى
جاءت اليه.. رجل كأبيها.. وقالت كأنها تقاوم:
- مسكينة ليه.. مش مسكينة ولا حاجة.. انتم اللي
مساكين.. الناس كلها هيه اللي مساكين.. انما أنا مش

مسكينة ١١

وجلس منير حلمى فى مقعد قريب منها وأشعل سيجارة،
ثم بدأ يحادثها فى صوت لم تألفه منه.. صوت هادىء وقور،
كأنه صوت طبيب:

- قوليلى بالحق يا فايضة.. ما تكديش عليه.. انتى جيتى
النهاردة ليه؟..

وأحنت رأسها، كأن رأسها قد تعب من كثرة ما يحمله
فارتضى فوق عنقها، وقالت كأنها عادت طفلة لا تحمل حقدًا
لأحد:

- جيت أدليك اللى انت عايزه.. من خمس سنين جيتك
وطردتنى لأنى مارضتش انك تقربلى.. والنهارده رجعتك وأنا
ناويه انك ما تطردنيش!!
قال فى اهتمام:

- وايه اللى خلاكى تغيرى رأيك؟..

- الناس.. الناس كلهم.. كلهم زيك.. ما حدش رضى
يقبلنى بشرفى وبكرامتى.. كل طريق مشيت فيه لقيتيه
مسدود.. مسدود بالسفالة والانحطاط والأخلاق الزفت..
واخيرًا قررت انى أنا كمان اكون سافلة ومنحطة وأخلاقى
زفت علشان الطريق يفتح قدامى.

قال وهو لا يزال يفحصها بعينه:

- انتى مقتنعة باللى بتعمليه.. مقتنعة بالسفالة؟..

قالت كأنها تخاطب نفسها:

- أنا حاولت كتير.. استمررت فى تعليمى علشان ما

اقعدش فى جو البيت الفاسد.. واتوظفت علشان ما احتاجش
لحد.. بعدت عن الناس ما سبونيش فى حالى.. اختلطت
بالناس.. الناس ضربونى على دماغى.. كان لازم استسلم من
زمان علشان استريح وأريح الناس..

قال:

- ما جاوبتنيش على سؤالى. انتى مقتنعة باللى ناويه
تعمله!؟

- قصدك ايه!؟

- يعنى مقتنعة مثلاً بانك تجيلى وتدينى نفسك بالشكل
!؟

قالت وكأنها تلوم نفسها:

- لا..

- ده المهم.. يبقى لازم تعرفى ان مش كل واحدة تقدر
تمشى فى السكة دى.. اللى تمشى المشى ده لازم تكون
مقتنعة باللى بتعمله. لازم تكون مقتنعة بالخطيئة.. حاسة انها
ما بتعملش حاجة غلط، انما بتعمل الحاجة الطبيعية اللى لازم
تعملها والناس كلها بتعملها.. زى الحرامى، مش ممكن يقدر
يكون حرامى ناجح وفالح الا إذا كان مقتنعا بأن السرقة
حداقة وشرطة وفهلوة، وان من حقه ان يسرق، انما لو كان
راجل صاحب مبادئ مش ممكن يقدر يسرق حتى ولو
اضطرته الحاجة الى السرقة، تلاقى اللى زى ده وهو بيسرق
يتردد وايده ترتعش ويتلخم لغاية ما البوليس يطب عليه.. تمام
زى حضرتك لما جيئى النهاردة.. جيئى وانت مش مقتنعة

باللى بتعملية.. جيتى غصب عنك، لأن الناس دفعوكى للطريق ده.. وكانت النتيجة انك ارتعشتى واتلخمتى وبقيتى زى لوح الثلج.. وكان ممكن تخسرى كل حاجة فى لحظة وتعيشى طول عمرك ندمانة..

وفتحت عينيها كأن السحب انقشعت من امامها، وقالت فى صوت يائس:

- واعمل ايه دلوقت؟

- خليكى زى ما انتى.. خليكى فى الطريق اللى كنت ماشيه فيه طول عمرك!

- أرجع تانى اتعذب واقاسى شرور الناس؟!

- مهما اتعذبتى حيكون عذابك أرحم من العذاب اللى حتشوفيه لو مشتى فى سكة ثانية!!

- مش ممكن.. انت مش عارف أنا اتعذبت اد ايه.. ثم انى مش غبية.. أنا نبيهة أقدر أمشى.. فى اى سكة من غير مايجرا لى حاجة!!

- الذكاء لوحده ما يكفيش.. الذكاء دايماً يدور حول مبادئ.. واذا كانت مبادئك فى ناحية وعقلك بيشتغل فى ناحية ثانية تبصى تلاقى نفسك وقعتى فى مصيبة ما تخلصيش منها.. تمام زى ما تكونى بتحبنى واحد فقير وتروحي تتجوزى واحد غنى.. تلاقى نفسك خسرت الحب وما قدرتيش تعيشى مع الغنى وبقت حياتك نكد فى نكد..
قالت كأنها تبكى:

- أنا حيرانه يا منير.. حيرانه فى عيشتى.. مش عارفه

اعمل ايه .. الكلام اللى بتقوله أنا مصدقاه ومقتنعة بيه، انما
اعمل ايه فى عذابى، اعمل ايه فى دنيتى!!
ونظر اليها فى حنان كأنها ابنته وقال:

- ما تعمليش حاجة ضد مبائك.. ما تعمليش حاجة يمكن
تندمى عليها.. أنا أكبر منك تكثير يا فايضة، وعارف الدنيا
اكثر منك.. وما تفتكريش انى سافل دايم.. أنا سافل بس مع
السفلة.. انما انتى حاجة تانية.. انتى بنت رقيقة وطاهرة
وكريمة.. خليكى كده على طول.. وسامحيني اذا كنت ظلمتك
فى الأول.. كان لازم تفوت خمس سنين علشان اعرف انى
ظلمتك وانك مش زى بقية البنات اللى باعرفهم.. وسامحى
الناس كلهم اللى ظلموكى زى ما ظلمتك.. ظلموكى لأنه ما
كانوش يعرفوكى.. يوم ما يعرفوكى حيعتذرو لك زى ما يعتذر
لك.. لأن يوم ما يعرفوا انك اخطأت مش حيرحمكى، ولا أنا
حارحمك.. حا تلاقينى رجعت بقيت سافل معاكى واسفل
كمان..

ولم ترد فايضة..

وقامت فى بطة وهى تصلح من ثوبها ومن شعرها بحركات
آلية..

وقالت كأنها غارقة فى الهم:

- مرسى يا استاذ.. أنا أسفة!!..

وضغط منير على اليد التى مدتها اليه فى حنان، وقال وهو
يبتسم كأنه يعينها على الحياة:
- توعدينى..

وقالت فايضة وكأنها ليست واثقة من نفسها:
- باذن الله.. حا حاول!!
وتبعها حتى فتح لها الباب..
ووقف معها حتى دخلت المصعد..
وقال وهو يضغط على يدها مرة ثانية:
- ارجوكى تثقى بيه.. وفى اى وقت تكلمينى فى التليفون
حتلاقينى جنبك!
وهزت رأسها دون ان تتكلم..
نزل بها المصعد..

وسارت فى خطى زاحفة كأنها تخوض فى السحب..
سحب الحيرة..
لم تعد تفكر فى الانتقام..
ولم تعد تفكر فى ذكائها..
كانت قد عرفت شيئاً جديداً..
عرفت ان الخطيئة ليست سهلة..
انها عذاب..
وعرفت ان القبلة من رجل لا تحبه اقصى على النفس من
ظلم الناس..
وعرفت ان الكف الغريب فوق جسدها، اقصى من الحرمان
الطويل..
ولكنها لم تكن تدري الى اين تفر؟..
لم تكن ترى شيئاً فى طريق حياتها..

كانت حائرة..
والحيرة تستبد بها حتى تكاد تطمس عقلها..
هل ظلمت الناس؟..
هل ظلمت المجتمع؟..
هل هناك طريق آخر غير هذا الطريق المسدود؟..
انها لا تدري..
وجدت نفسها تبلى في عجالات الترام التي تمر امامها.
ثم وجدت نفسها تبلى في مياه النيل عندما مرت فوق
الكوبري!!..
وجدت نفسها ترى سطح العمارة التي تقيم فيها..
وتقيس المسافة بين السطح والأرض..
وجدت نفسها تعد حبات الاسبرين في الانبوبة التي
تحتفظ بها بجانب فراشها..
ولكنها سارت..
سارت لتنضم الى الموكب الضخم..
موكب الحائرات!!..

رقم الإيداع ١٤٨٨٧ / ٩٧
التقييم الدولي

I. S. B. N

977 - 08 - 0701 - 1

طبع بمطابع أخبار اليوم

Bibliotheca Alexandrina



04366630



To: www.al-mostafa.com